الأسرة الأموية في الأدب الأموي

إعداد الطالب: أحمد إبراهيم العدوان

إشراف: الأستاذ الدكتور حسين أحمد عطــوان

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه

في اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب / الجامعة الأردنية

كانون ثاني / ٢٠٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ : / / ٢٠٠٢م

أعضاء لجنة المناقشة :

		التوقيع
١-	الأستاذ الدكتور حسين أحمد عطوان / رئيساً	--------
٢-	الأستاذ الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي / عضواً	--------
٣-	الأستاذ الدكتور عبد العزيز عبد الكريم الدوري / عضواً	--------
٤-	الأستاذ الدكتور رشدي علي الحسن / عضواً	--------

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـــــداء

إلى والدتي التي أشعلت لي شمعة حين اشتد الظلام...

إلى والدي الذي علمني أن الحياة نصب وعطاء...

إلى شقيقاتي وأشقائي رفاق الدرب على الطريق الطويل...

إلى المؤنسات الغاليات زوجتي وبناتي: حنين، ياسمين، صابرين ثمرة صبرهن وعطائهن...

إلى روح الأخ الفقيد: سلامة أبو عرابي العدوان...

إلى الأخ الوفي رياض محمد العساف عرفاناً بالجميل...

إلى كل من ساهم في إخراج هذا العمل إلى حيز الوجود ...

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويـــات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	ج
المحتويات	د – ح
ملخص الرسالة	ط – ي
المقدمة	ك – س
التمهيد : تقاليد الزواج في المجتمع الأموي:	١-١١
١- الدَّلاَّلة :	١
٢- إرسال الوسطاء:	٢
٣- وضع صفات خاصة للزوجة:	٢-٣
٤- الحرص على تكافؤ النسب:	٣-٤
٥- عدم تزويج الموالي:	٤-٦
٦- عدم تزويج المرأة للرجل الذي شبب بها:	٦
٧- خطبة النكاح:	٦-٧
٨- تجهيز الأثاث للعروس:	٧
٩- الجِلْوة:	٨
١٠- تزيين العروس:	٨-٩
١١- الغناء:	٩-١٠
١٢- الولائم:	١٠-١١
الفصل الأول : العلاقات الأسرية في المجتمع الأموي:	١٢-٧١
• الجوانب الإيجابية في الحياة الزوجية :	١٣-٢١
١- الغزل في الزوجة:	١٣-١٥
٢- مدح الزوجة:	١٦
٣- الوفاء بين الزوجين:	١٦-١٨
٤- رثاء الزوجين أحدهما الآخر:	١٨-٢١
• **الجوانب السلبية في الحياة الزوجية:**	٢٢-٣٨
١- الملاحاة بين الزوجين:	٢٢-٢٤
٢- المخاصمة عند ولي الأمر:	٢٤-٢٥
٣- ضرب الزوجة:	٢٦
٤- ضرب الزوج:	٢٦-٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	رقم الصفحة
٥- تعدد الزوجات وأثره السلبي:	٢٧-٣٠
٦- التسري وأثره السلبي:	٣٠-٣١
٧- مجون الزوج وأثره:	٣١-٣٢
٨- هجاء الزوجة:	٣٢-٣٣
٩- الطلاق وأسبابه:	٣٣-٣٨
أ- التحريض:	٣٣-٣٥
ب- نشوز الزوجة وسوء أخلاقها:	٣٥-٣٦
ج- الطلاق بطلب من الزوجة:	٣٦-٣٧
د- الطلاق التعسفي:	٣٧-٣٨
• **الأبوة والبنوة في المجتمع الأموي:**	٣٩-٥٥
١- الجوانب الإيجابية في علاقة الآباء بالأبناء:	٣٩-٤٥
٢- الجوانب الإيجابية في علاقة الأبناء بالآباء :	٤٦-٥١
أ- بر الآباء:	٤٦-٤٨
ب- الفخر بالآباء:	٤٨-٤٩
ج- رثاء الأب:	٥٠-٥١
٣- الجوانب السلبية في علاقة الأبناء بالآباء :	٥١-٥٥
أ- عقوق الوالدين:	٥١-٥٢
ب- ضرب الأب:	٥٢-٥٣
ج- عقوق الأب بسبب الزوجة:	٥٣-٥٤
د- سوء الأدب مع الأم:	٥٤-٥٥
• **علاقة الأخوة في المجتمع الأموي :**	٥٦-٦٢
١- بعض الجوانب الإيجابية:	٥٦-٦٠
٢- بعض الجوانب السلبية:	٦٠-٦٢
• **علاقة العمومة في المجتمع الأموي:**	٦٣-٦٧
١- بعض الجوانب الإيجابية:	٦٣-٦٥
٢- بعض الجوانب السلبية:	٦٥-٦٧
• **علاقة الخؤولة في المجتمع الأموي:**	٦٨-٧١
١- بعض الجوانب الإيجابية:	٦٨-٦٩
٢- بعض الجوانب السلبية:	٧٠-٧١
الفصل الثاني : العوامل المؤثرة في العلاقات الأسرية عند بني أمية:	٧٢-١١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	رقم الصفحة
• **العامل السياسي : التنافس على الخلافة وأثره :**	٧٣-١٠٥
١- التنافس بين الفرعين السفياني والمرواني:	٧٣-٧٥
٢- الصراع بين عبد الملك بن مروان وولد سعيد بن العاصي وأثره:	٧٥-٧٦
٣- التنافس بين المروانيين ودور ولاية العهد فيه:	٧٧-١٠٥
أ- عبد الملك بن مروان وعبد العزيز بن مروان:	٧٧
ب- الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك:	٧٧-٧٩
ج- سليمان بن عبد المللك وشقيقيه مروان ويزيد:	٨٠
د- موقف هشام بن عبد الملك من البيعة لعمر بن عبد العزيز:	٨٠
هـ- مسلمة بن عبد الملك وعبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك:	٨١
و- هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد:	٨٢-٨٣
٤- انتقام الوليد بن يزيد من بعض أبناء الأسرة الأموية وأثره:	٨٣-٩٠
٥- تآمر بني أمية بقيادة يزيد بن الوليد بن عبد الملك للإطاحة بالوليد بن يزيد:	٩٠-٩٤
٦- اغتيال الوليد بن يزيد وأثره في الأسرة الأموية:	٩٤-١٠٠
٧- انقسام بني أمية بعد مقتل الوليد بن يزيد:	١٠٠-١٠١
٨- الصراع بين مروان بن محمد بن مروان وبعض أمراء بني أمية:	١٠١-١٠٥
• **العامل الإجتماعي : دور نسب الأم في تباغض أمراء بني أمية:**	١٠٦-١٠٧
• **العامل الاقتصادي: أثر المال في العلاقات الأسرية عند بني أمية:**	١٠٨-١١٠
الفصل الثالث: الحياة الزوجية في الأسرة الأموية:	١١١-١٥٧
• **توظيف الزواج لتحقيق مآرب سياسية:**	١١٢-١١٥
• **أسس اختيار زوجات الخلفاء والأمراء الأمويين:**	١١٦-١٢٥
١- الزواج من العربيات العريقات النسب:	١١٦-١١٨
٢- الحرص على الزواج من بنات عثمان بن عفان وحفيداته:	١١٨-١٢٠
٣- الزواج من الهاشميات:	١٢٠-١٢١
٤- الزواج من الفرع السفياني:	١٢١-١٢٢
٥- التقرب للقبائل القوية:	١٢٢-١٢٤
٦- الحرص على الزواج من بنات العم:	١٢٤-١٢٥
• **أسس اختيار أزواج الأميرات عند بني أمية :**	١٢٦-١٢٧
١- تزويجهن في البيت السفياني والمرواني :	١٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	رقم الصفحة
٢- تزويجهن أبناء عثمان بن عفان وأحفاده:	١٢٧
• **الجوانب الإيجابية في الحياة الزوجية عند بني أمية:**	١٣٠-١٣٩
١- تمتع الزوجة بمكانة رفيعة:	١٣٠-١٣١
٢- الغزل في الزوجة:	١٣١-١٣٧
٣- مدح الزوجة:	١٣٧-١٣٩
٤- دور الزوجة في ايجابية الحياة الزوجية عند بني أمية :	١٤٠-١٤٣
أ- الخوف على الزوج:	١٤٠-١٤١
ب- استرضاء الزوج بشتى السبل:	١٤١-١٤٣
٥- رثاء الزوجة:	١٤٣-١٤٤
• **الجوانب السلبية في الحياة الزوجية عند بني أمية:**	١٤٥-١٥٧
١- الملاحاة بين الزوجين :	١٤٥-١٤٧
٢- تعدد الزوجات وأثره:	١٤٧-١٤٨
٣- التسري وأثره في الحياة الزوجية عند بني أمية:	١٤٨-١٤٩
٤- الطلاق وأسبابه:	١٤٠-١٥٧
الفصل الرابع : صلة القربى في الأسرة الأموية:	١٥٨-١٩٣
• **الأبوة والبنوة في الأسرة الأموية:**	١٥٩-١٨٥
١- علاقة الآباء بالأبناء الذكور:	١٥٩-١٧٧
أ- تسمية الأبناء:	١٥٩-١٦٢
ب- الحرص على كثرة الإنجاب:	١٦٢
ج- التباهي بالأبناء:	١٦٢-١٦٣
د- الحرص على إسناد ولاية العهد للأبناء:	١٦٣-١٦٦
هـ- الحرص على إشراك الأبناء في الجهاد والغزو:	١٦٦-١٦٧
و- الحرص على تولية الأبناء موسم الحج:	١٦٧-١٦٨
ز- الحرص على تعليم الأبناء:	١٦٨-١٧١
ح- تقديم الوصايا النافعة للأبناء:	١٧١-١٧٥
ط- القسوة على الأبناء ابتغاء تعليمهم:	١٧٦-١٧٧
ك- الإجابة عن أسئلة الأبناء ابتغاء تعليمهم:	١٧٧
٢- علاقة الآباء بالبنات في الأسرة الأموية:	١٧٧-١٧٩
٣- علاقة الأمهات بالأبناء في الأسرة الأموية:	١٨٠-١٨١
٤- رثاء الأبناء وتأبينهم في الأسرة الأموية:	١٨١-١٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	رقم الصفحة
علاقة الأبناء بالآباء في الأسرة الأموية:	١٨٣-١٨٥
• **علاقة الأخوة عند بني أمية :**	١٨٦-١٨٨
١- بعض الجوانب الإيجابية:	١٨٦
٢- بعض الجوانب السلبية:	١٨٧-١٨٨
• **علاقة العمومة عند بني أمية :**	١٨٩-١٩١
١- بعض الجوانب الإيجابية:	١٨٩-١٩٠
٢- بعض الجوانب السلبية:	١٩٠-١٩١
• **علاقة الخؤولة عند بني أمية:**	١٩٢-١٩٣
١- بعض الجوانب الإيجابية:	١٩٢-١٩٣
٢- بعض الجوانب السلبية:	١٩٣
• **الخاتمة :**	١٩٤-٢٠١
• **المصادر والمراجع:**	٢٠٢-٢٠٨
• **Abstract**	٢٠٩-210

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخـــص

عنوان الرسالة: الأسرة الأموية في الأدب الأموي

إعداد الطالب: أحمد إبراهيم سالم العــدوان

إشـــــراف: الأستاذ الدكتور حسيـــــن أحمد عطــوان

تناولت هذه الرسالة موضوع الأسرة الأموية في الأدب الأموي وعنيت بالعلاقات الأسرية التي كانت تسود بين أبناء هذه الأسرة.

وتكمن أهمية هذه الرسالة في أنها ناقشت العلاقات الأسرية بـــين أبنـــاء الأســـرة الحاكمة في العصر الأموي للتعرف إلى دور هذه العلاقات في نشوء حكمها واســـتمراره وانهياره من ناحية ، والمقارنة بين هذه العلاقات عند الطبقة الحاكمة والرعية للتعرف إلى وجوه الاتفاق والاختلاف فيها بين الطبقتين من ناحيةٍ ثانية.

وبسبب الطابع التاريخي الذي اتسمت به الأخبار المتصلة بالعلاقات الأسرية عنـــد الطبقتين في المصادر الأدبية والتاريخية التي أرخت للعصر الأموي اتبعت الرسالة المنهج الوصفي التحليلي في توظيف هذه الأخبار بما يخدم أهداف الرسالة.

وقد اشتملت الرسالة على تمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، ناقشت في التمهيد تقاليد الزواج في المجتمع الأموي لأن الزواج هو الأساس الذي تنبثق منه العلاقـــات الأســـرية بجميع أشكالها ومن هذه التقاليد: الدِلالة، وإرسال الوسطاء لأهل الزوجة، ووضع صفات خاصة للزوجة، والحرص على تكافؤ النسب، وعدم تزويج الموالي، وعدم تزويج المـــرأة للرجل الذي تغزل فيها، وخطبة النكاح، وتجهيز الأثـــاث للعـــروس، والمهـــر، وتـــزيين العروس، والغناء، والزفاف، والولائم.

وناقشت الرسالة في الفصل الأول الجوانب الإيجابية والسلبية في الحياة الزوجيـــة عند الرعية؛ وفي علاقة الآباء بالأبناء، وعلاقة الأبناء بالآباء؛ وعلاقة الأخوة، وعلاقـــة العمومة، والخؤولة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتطرقت الرسالة في الفصل الثاني إلى العوامل المؤثرة في العلاقات الأسرية عند بني أمية، وهي: العامل السياسي المتمثل في التنافس على الخلافة وأثره. والعامل الاجتماعي: المتصل بأثر نسب الأم في العلاقات الأسرية بين أمراء بني أمية. والعامل الاقتصادي المتعلق بأثر المال في العلاقات الأسرية بينهم.

وعالجت الرسالة في الفصل الثالث الجوانب الإيجابية والسلبية في الحياة الزوجية عند بني أمية.

واهتمت الرسالة في الفصل الرابع بدراسة الجوانب الإيجابية والسلبية في علاقة الآباء بالأبناء، وعلاقة الأبناء بالآباء، وعلاقة الأخوة، وعلاقة العمومة، والخؤولة عند الأسرة الأموية.

وانتهت الرسالة بخاتمة أُجملت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال عقد مقارنة بين العلاقات الأسرية عند بني أمية، والعلاقات نفسها عند الرعية لتوضيح وجوه الاتفاق والاختلاف في هذه العلاقات بين الطبقتين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين وبعد:

فقد جعل أستاذي الدكتور حسين عطوان شخصية الوليد بن يزيد محوراً رئيسياً لمتطلب دراسات في الأدب الأموي الذي درسته عليه، وقد أثار دهشتي وحفيظتي تآمر بعض أمراء بني أمية من أبناء عمومته على قتله دون مراعاة لأواصر القربى التي تجمعهم به؛ وسرعان ما تحولت هذه الدهشة إلى أسئلة ما فتئت تلح عليَّ حول طبيعة العلاقات الأسرية التي كانت تسود بين أبناء الأسرة الأموية؛ وهل كان لهذه العلاقـــات دور في انهيار حكم هذه الأسرة ؟! فوجدت في هذا الموضوع ضالتي التي أبحث عنها موضوعاً لأطروحتي للحصول على درجة الدكتوراه.

وحين عرضت الفكرة على أستاذي لقيت عنده قبولاً؛ فوجهني إلى المنهج العلمي في استقراء أخبار هذه الأسرة من مظانها الأدبية والتاريخية، وتولدت لدي قناعة بعدم إمكانية دراسة العلاقات الأسرية عند بني أمية بمعزل عن المجتمع الذي كانت تعيش فيه والتعرف إلى جوانب الاتفاق والاختلاف في هذه العلاقات بين الطبقتين؛ لأن ذلك يجعل الدراسة قاصرة عن إعطاء صورة متكاملة عن العلاقات الأسرية في المجتمع الأموي، فاستقر الرأي على إفراد الفصل الأول لدراسة العلاقات الأسرية عند الرعية تمهيداً لمقارنتها مع العلاقات نفسها عند بني أمية .

وقبل الشروع في استقصاء أخبار العلاقات الأسرية السائدة عند الرعية والأسرة الأموية في العصر الأموي بذلت الجهد المستطاع في البحث والاطلاع على الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع حرصاً على ما فيها من الفائدة، وتجنباً لتكرار ما فيها من النتائج؛ ومن أهمها ، نظام ولاية العهد ووراثة الخلافة في العصر الأموي، والوليد بن يزيد(عرض ونقد) للأستاذ الدكتور حسين عطوان، والعلاقات الأسرية في الشعر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسلامي والأموي للباحثة هويدا نجاري، والمجتمع في العصر الأموي لأسيمة العظم وغيرها من الدراسات، فأفدت منها إفادة عظيمة بما فتحته أمامي من الآفاق.

ومضيت بعدها أجمع الأخبار المتصلة بالعلاقات الأسرية عند بني أمية والرعية من المصادر الأدبية والتاريخية التي أرخت للعصر الأموي ومنها على سبيل المثال لا الحصر: نسب قريش لمصعب الزبيري، وتاريخ خليفة بن خياط لخليفة بن خياط، والمحبّر لابن حبيب، وعيون الأخبار لابن قتيبة، وأنساب الأشراف للبلاذري، والأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري، وتاريخ اليعقوبي لليعقوبي، وتاريخ الأمم والملوك للطبري، والعقد الفريد لابن عبد ربه، ومروج الذهب للمسعودي، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، وتاريخ الإسلام للذهبي، والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها.

وأفدت من الكتب التاريخية الحديثة التي أرخت للأسرة الأموية ومنها، تاريخ الدولة العربية ليوليوس فلهاوزن، وخلافة بني أمية لنبيه عاقل، وتاريخ العراق في ظل الحكم الأموي لعلي حسني الخربوطلي.

ورجعت إلى معظم الدواوين والمجموعات الشعرية لشعراء العصر الأموي التي توافرت؛ واستخرجتُ منها الشواهد الشعرية عن العلاقات الأسرية لتوظيفها في مواضعها من الدراسة.

وحين أحسست أن مادة الدراسة استتمت أو كادت بدأت أصنفها مستبعداً منها الفاحش الذي يخدش الذوق؛ وغيره مما يستهدف التشنيع على بني أمية جرياً وراء الهوى الشخصي، والميل السياسي.

وبسبب الطابع التاريخي الذي اتسمت به الأخبار المتصلة بالعلاقات الأسرية عند الرعية وبني أمية اتبعتُ في الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، فأوردت هذه الأخبار في مكانها المناسب، وعلقت عليها بما يتوافق مع أهداف الدراسة.

والدراسة مقسومة بين تمهيد وأربعة فصول، عرضت في التمهيد تقاليد الزواج في المجتمع الأموي لأنه الأساس الذي تنبثق منه العلاقات الزوجية بجميع أشكالها؛ وهذه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التقاليد هي الدِلالة، وإرسال الوسطاء، ووضع صفات خاصة للزوجة، والحرص على تكافؤ النسب، وعدم تزويج الموالي، وعدم تزويج المرأة للرجل الذي شبب بها، وخطبة النكاح، وتجهيز الأثاث للعروس، والجِلْوة، وتزيين العروس، والغناء، والولائم.

وتناولت في الفصل الأول العلاقات الأسرية في المجتمع الأموي، فناقشتُ الجوانب الإيجابية في الحياة الزوجية، وهي الغزل في الزوجة، ومدح الزوجة، والوفاء بين الزوجين، ورثاء الزوجين. والجوانب السلبية وهي والمخاصمة عند ولي الأمر، وضرب الزوجة، وضرب الزوج، وتعدد الزوجات وأثره السلبي، والتسري وأثره السلبي، ومجون الزوج وأثره، وهجاء الزوجة، والطلاق وأثره وأسبابه.

ثم انتقلت إلى مناقشة صلة القربى في المجتمع الأموي مبتدئاً بالأبوة والبنوة وما فيها من جوانب إيجابية في علاقة الآباء بالأبناء كالوصايا للأبناء، ورثائهم. والجوانب الإيجابية في علاقة الأبناء بالآباء من برهم، والفخر بهم، ورثائهم. والجوانب السلبية في هذه العلاقة ومن أهمها عقوق الوالدين وأسبابه.

وناقشت أيضاً بعض الجوانب الإيجابية والسلبية في علاقة الأخوة، والعمومة، والخؤولة في المجتمع الأموي.

واهتممت في الفصل الثاني بدراسة العوامل المؤثرة في العلاقات الأسرية عند بني أمية سلباً وايجاباً وهي: العامل السياسي المتمثل في التنافس على الخلافة وأثره، والعامل الاجتماعي المتصل بدور نسب الأم في علاقة أمراء بني أمية بعضهم ببعض، والعامل الإقتصادي المتصل بأثر المال في العلاقات الأسرية عند بني أمية، لما لهذه العوامل من أهمية تساعد في تكوين صورة عن طبيعة العلاقات التي كانت تسود بين أمراء الأسرة الأموية.

وتطرقت في الفصل الثالث إلى الحياة الزوجية بين خلفاء بني أمية وأمرائهم، وزوجاتهم فتحدثتُ عن توظيفهم الزواج لتحقيق مآرب سياسية، وأسس اختيار زوجاتهم وهي: الزواج من العربيات العريقات النسب، والحرص على الزواج من بنات عثمان بن عفان وحفيداته، والزواج من الهاشميات، والزواج من الفرع السفياني، والتقرب للقبائل القوية، والحرص على الزواج من بنات العم. ثم عرجت على أسس اختيار أزواج

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأميرات، الأمويات وهي : تزويجهن في البيت الأموي، وتزويجهن أبناء عثمان بن عفان وحفدته.

ووقفت بعد ذلك عند تقاليد الزواج في الأسرة الأموية وهي خطبة النكاح، وعقد النكاح، ودخول الشعراء لتهنئة العروسين شعراً في حضرة الخليفة، وتوزيع الأعطيات على الحضور، وقضاء حاجاتهم ابتهاجاً بعقد الزواج، كما وقفت عند الجوانب الإيجابية في الحياة الزوجية عند بني أمية وهي: تمتع الزوجة بمكانة رفيعة؛ والغزل في الزوجة، ومدح الزوجة، والخوف على الزوج، واسترضاؤه بشتى السبل، ورثاء الزوجة، والجوانب السلبية وهي: الملاحاة بين الزوجين وأثرها، وتعدد الزوجات وأثره، والتسري وأثره، والطلاق وأثره. لافتاً الانتباه إلى استعانة بعض خلفاء بني أمية بالرعية لاسترضاء الزوجة.

وتحدثت في الفصل الرابع عن صلة القربى عند الأسرة الأموية، فناقشت علاقة الأبوة والبنوة؛ مبتدئاً بجوانب علاقة الخلفاء بأبنائهم الذكور وهي : تسمية الأبناء، والحرص على كثرة الإنجاب، والتباهي بالأبناء، والحرص على إسناد ولاية العهد لهم، والحرص على إشراكهم في الجهاد والغزو، والحرص على توليهم موسم الحج، والحرص على تعليمهم، وتقديم الوصايا النافعة لهم، والقسوة عليهم ، والإجابة عن أسئلتهم ابتغاء تعليمهم. وألممت بعلاقة الخلفاء ببناتهم على ندرة اهتمام المصادر بها، وهي تتبدّى في العطف عليهن، والمحبة لهن، ومتابعتهن في حياتهن الزوجية، ثم ألممت بعلاقة الأمهات بالأبناء في الأسرة الأموية، وهي تتضح في العطف عليهم، والعناية بهم، والغضب من أجلهم. وانتهيت إلى الحديث عن رثاء الخلفاء وتأبينهم لأولادهم بعد موتهم.

واهتممت بعلاقة الأبناء بالآباء في الأسرة الأموية وما فيها من جوانب إيجابية من أهمها شحذ هممهم على إمضاء الأمور، والحزن عليهم بعد موتهم، وجوانب سلبية تمثلت في قلة كياسة بعضهم في تعامله مع والده، وتدخله في خصوصياته، كما اهتممت بمناقشة بعض الجوانب الإيجابية والسلبية في علاقة الأخوة، والعمومة، والخؤولة عند بني أمية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحاولت في الخاتمة ربط فصول الدراسة بعضها ببعض من خلال عقد مقارنة بين العلاقات الأسرية عند الرعية وبني أمية مبيناً وجوه الإتفاق والاختلاف بينهما فيها.

وألحقت بالدراسة قائمة بالمصادر والمراجع التي أفدت منها، وفهرساً بالموضوعات التي اشتملت عليها.

ولا يفوتني (وقد وصل هذا الجهد المتواضع إلى مرحلته النهائية) أن أتقدم بالشكر الجزيل، لأستاذي الدكتور حسين عطوان لما قدمه لي من نصح صادق، وما حباني به من رعاية فائقة.

وأرى لزاماً علي أن أتقدم إلى العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري بالشكر والعرفان بالجميل لما أسداه إلي من نصائح أثناء المراحل الأولى من هذا العمل، فتحت أمامي كثيراً من الآفاق المغلقة، ويسرت لي غير قليل من الأمور الصعبة.

وأتقدم أيضاً بالشكر والتقدير لأستاذي الدكتور عبد الجليل عبد المهدي، ولأستاذي الدكتور رشدي علي الحسن اللذين تتلمذت عليهما؛ فكان من نتاج ما زرعاه فيّ من العلم والمعرفة هذا الجهد المتواضع؛ فجزاهما الله عني وعن كل من تتلمذ على يديهما من طلاب العلم والمعرفة خير الجزاء.

وبعد، فهذه الدراسة لا تزعم بحال من الأحوال أنها أحاطت بالموضوع إحاطة شاملة، ولم تترك للباحثين مجالاً للإدلاء بدلائهم فيه، بل هي محض اجتهاد فإن كنت قد أصبت فهذا أملي، وإلا فحسبي نصيب المجتهد، والله ولي التوفيق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيـــــد

تقاليد الزواج في المجتمع الأموي

١- الدَّلاّلة:

تكشف المصادر الأدبية والتاريخية المتاحة أن الزواج في المجتمع الأموي كان يمر بمراحل عدة؛ من أولها الخِطْبة وكان بعضها يتم بوساطة وسطاء من الجنسين امتهنوا مهنة الدلالة من خلال قصد الراغبين في الزواج لهم للحصول على زوجات وفق الأوصاف التي يريدونها؛ قال أبو الفرج الأصفهاني مفسراً سبب تسمية أحد الرجال بالدَّلال [١]: ((... إنما لُقِّب بالدَّلال لشكله وحسن دَلِّه ... وكان من أراد خطبة امرأة سأله عنها وعن غيرها، فلا يزال يصف له النساءَ واحدة فواحدة حتى ينتهي إلى وصفٍ يُعْجبه؛ ثم يتوسط بينه وبين من تعجبه منهن حتى يتزوجها ...)).

ومن الأمثلة على الدِلالة قبل الزواج قصد مصعب بن الزبير خاطبة تدعى حُبّى المدينية عندما رغب في الزواج؛ روى البلاذري [٢]: ((... أن المصعب بن الزبير قال لحُبَّى المدينية : ابغيني امرأة أتزوجها، فقالت : بأبي أنت وأمي عائشة بنت طلحة على عُظْمٍ في أُذنيها وقدميها، فقال المصعب: أما الأذنان فيغطيهما الخمار، وأما القدمان، فيغطيهما الخُفّ، فتزوجها ...)).

وكان للدَّلاَّلة أو الخاطبة مجلسٌ خاصٌ يجتمع إليها فيه الرجال فتدلهم على زوجاتٍ تنسجم أوصافهن مع رغباتهم؛ قال ابن عبد ربه[٣] : ((نظر خالد بن صفوان إلى جماعة في المسجد بالبصرة، فقال: ما هذه الجماعة!؟ قالوا : على امرأة تدل على النساء. فأتاها فقال لها: أبغني امرأة. قالت: صفها لي. قال : أريدها بكراً كثيب، أو ثيباً كبكر، حلوة من قريب، فخمة من بعيد؛ كانت في نعمة فأصابتها فاقة، فمعها أدب النعمة وذل الحاجة؛ فإذا اجتمعنا كنا أهل دنيا، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة ...)).

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، دار إحياء التراث العربي، ج٤، ص٤٤٢. وانظر ترجمة الدَّلالُ: المصدر نفسه،ج٤، ص٤٤١.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف سهيل زكّار، ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ج٧، ص٢٧٤٣. وانظر كذلك : أبو مخنف: نصوص من تاريخ، كامل سلمان الجبوري، دار المحجة البيضاء، ج٢، ص١٨٦. والأصفهاني: الأغاني، ج٣،ص٢٥٠-٢٥١.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، محمد سعيد العريان، دار الفكر، القاهرة، ج٧، ص ١٠٠-١٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- إرسال الوسطاء:

وكانت الخطبة تتم أحياناً عن طريق الوسيط وذلك بإرساله إلى أهل الفتاة لينقل إليهم رغبة الخاطب؛ ثم يعود له بالجواب، ومن أمثلة هذه الوساطة ما رواه ابن قتيبة فقال[١]: ((قال الحجاج لأيوب بن القِرِيَّة: اخطب عليّ هند بنت أسماء، ولا تزد على ثلاث كلمات : فأتاهم فقال: أتيتكم من عند من تعلمون، والأمير معطيكم ما تسألون، أفتُنكِحون أم تردون؟ قالوا: بل أنكحنا وأنعمنا. فرجع ابن القِرِّية إلى الحجاج فقال: أقر الله عينك، وجمع شملك، وأنبت رَيعْكَ على الثبات والنبات، والغنى حتى الممات، جعلها الله ودوداً ولوداً ، وجمع بينكما على البركة والخير)).

وفي بعض الأحوال كان الخاطب يستعين بمجموعة من الرجال لمرافقته إلى بيت المخطوبة ليضمن إجابة طلبه؛ ومن أمثلة ذلك استعانة شريح القاضي بأصدقائه من القرّاء لخطبة زينب بنت حدير؛ قال فيما رواه أبو الفرج الأصفهاني [٢]: ((... فانصرفت فامتنعت من القائلة، فأرسلت إلى إخواني القراء الأشراف: مسروق بن الأجدع، والمسيّب بن نَجبَة، وسليمان بن صُرد الخزاعي، وخالد بن عُرفُطة العُذْري، وعُروة بن المغيرة بن شعبة، وأبي بردة بن أبي موسى، فوافيت معهم صلاة العصر، فإذا عمُها جالس، فقال: أبا أمية، حاجتك؟ قلت: إليك، قال: وما هي؟ قلت: ذُكرت لي بنت أخيك زينب بنت حدير، قال: ما بها عنك رغبة، ولا بك عنها مَقْصد، وإنك لنُهْزَة . فتكلمت فحمدت الله جلَّ ذكره وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم، وذكرت حاجتي، فردّ الرجل عليَّ وزوّجني، وباركَ القوم لي، ثم نهضنا ...)).

٣- وضع صفات خاصة للزوجة:

ويوحي تقليدا الدلالة والوساطة في الخطبة بأن الرجل في المجتمع الأموي كان يضع صفات خاصة للمرأة التي تصلح للزواج ؛ قال ابن عساكر[٣]: ((... قال خالد بن صفوان : من تزوج امرأة فليتزوجها عزيزة في قومها، ذليلة في نفسها، أدبّها الغنى، وأذلها الفقر، حصانٌ من جارها، متحننة على زوجها)).

---

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت م٢،ج٧،ص٦٩.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج١٧، ص ١٤٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، ج١٦، ص١٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإضافة إلى الصفات الخُلُقية كانوا يطلبون في المرأة صفاتٍ خَلْقية قال ابن عساكر[١] : ((... أخبرني حفص بن غلاث: قال: قلت لخالد بن صفوان: يا أبا صفوان ما يمنعك من التزويج وإني استقبح لك أن لا يكون عندك امرأة عربية وأنت أيسر أهل البصرة؟ قال : فابغني امرأة، قال: أي امرأة تريد؟ قال: أريدها بكراً كَثِّيب أو ثَيِّباً كبير، لا ضرعاء صغيرة، ولا عجوزاً كبيرة، لم تقرأ فتحنن ولم تفت فتمجن، قد كانت في نعمة وأدركتها حاجة، فخلق النعمة معها وذل الحاجة فيها، حسبي من حسنها أن تكون واسطة في قومها، إن عشت أكرمتها، وإن مت ورّثتها، لا ترفع رأسها إلى السماء رفعاً ولا تضعه في الأرض وضعاً)).

وكان بعضهم يضع هذه الصفات ضمن وصايا عامة ليفيد منها الناس، روى ابن عبد ربه عن يزيد بن عمر بن هبيرة أنه كان يقول[٢]: ((... لا تنكحن برشاء ولا عمشاء، ولا وقصاء، ولا لغثاء، فيجيئك ولد ألثغ؛ فوالله لولد أعمى أحب إليَّ من ولد ألثغ)).

وأوصى سُراقة البارقي الراغبين في الزواج أن لا يعتمدوا الجمال أساساً لاختيار الزوجة، كما أوصاهم أن يتحروا صاحبة الدين والأخلاق العالية فقال: [٣]

لاَ تَطْلُبَنَّ فَتاةً مِنْ وَسَامَتِهَا مَا لَمْ يُوَافِقْكَ مِنْهَا الدِّينُ وَالْخُلُقُ

٤- الحرص على تكافؤ النسب:

ولعل حرصهم على صفات المرأة المخطوبة الخَلْقية والخُلُقية دفعهم إلى وضع صفات للرجل الراغب في الزواج من أهمها عراقة النسب، ومن هنا سرى تقليد في المجتمع الأموي أن لا تزوج النساء العريقات النسب إلى رجال لا يكافئوهن حتى وإن كانوا من الولاة، أو أصحاب المناصب الرفيعة، وقد حزنت ابنة عبد الله بن جعفر حين حُملت إلى الحجاج، لأنها كانت تعتقد أنه دونها في النسب، قال المدائني[٤] : ((... لما زُفّت ابنة عبد الله بن جعفر - رضي الله عنهم - وكانت هاشمية جليلة إلى الحجاج بن

---

(١) ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق، ج١٦، ص١١٣.

(٢) ابن عبد ربه: طبائع النساء، محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة، ص ١٥٠. والبرشاء: ما كان على جلدها نقط بيض. والوقصاء : قصيرة العنق. اللسان: مادتي: (برش)و (وقص).

(٣) سراقة البارقي: الديوان، حسين نصار، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص٥٢.

(٤) ابن طيفور: بلاغات النساء، عبد الحميد هنداوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص ٢٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يوسف ونظر إليها في تلك الليلة وعبْرتها تجول في خدّيها، فقال لها: بأبي أنت وأُمي ممّا تبكين؟ قالت : من شرف اتضع، ومن ضعةٍ شُرّفت)).

ورفض اسماعيل بن جرير بن عبد الله أن يزوج ابنته خالد بن عبد الله القسري على الرغم من مكانته ونفوذه لأنه كان دونه في النسب ؛ قال البلاذري [١]: ((... وبعث خالد محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة الأنصاري إلى إسماعيل، فقال: أبلغ الأمير وأعلمه أن عمه جريراً أوصى ألاّ تخرج واحدة من بناته إلا إلى رجل من قريش وهو أحق من لم يثرب وصية عمه ولم يحاول نقضها ... فلما أتت خالداً الرسالة أمسك)).

ويتأكد هذا التقليد من خلال تقريع ابن نوفل لخالد بن عبد الله القسري بسبب تجرئه على طلب الزواج من قرشية؛ قال البلاذري [٢]: ((... وبلغ الخبر ابن نوفل فقال:

لَعَمْري لَقَدْ أَصْبَحْتَ حَاوَلْتَ خُطَةً مُمَنَّعَةً والدَّهْرُ يَقْذِفُ بالعَجَبْ
أَتَخْطِبُ جَهْلاً إِنْ وُلِيّتَ إِمَارَةً بَنَاتُ جَرِيْرٍ في المَكَارِمِ والحَسَبْ
وَأَنْتَ دَعِيٌّ لَيْسَ يُعْرفُ أَصْلُهُ مَنَوْطٌ بِقَسرَ كالعلاقَةِ في الحَقَبْ
فَرَدَّكَ رَدَّ العَبِيْدِ إِذْ جِئْتَ خَاطِباً وَهَلْ يُنْكِحُ الأَحْرارُ عَبْداً إِذا خَطَبْ))

٥- عدم تزويج الموالي.

وساد تقليد آخر في المجتمع الأموي وهو عدم تزويج الموالي، أو أولاد أمهات الأولاد انسجاماً مع عصبية العرب لأنفسهم، وإحساسهم بالتفوق على غيرهم من الشعوب التي دخلت في الإسلام ، ومن الأمثلة على ذلك رفض تزويج ابن ميادة الشاعر امرأة عربية لأنه هجين ؛ قال أبو الفرج الأصفهاني [٣]: ((... وذكر أبو الأشعث أن ابن ميّادة خطب امرأة من بني سَلمْى بن مالك بن جعفر ثم من بني البُهْثة - وهم بطنٌ يقال لهم البهثاء- فأبوا أن يزوجوه وقالوا: أنت هجين ونحن أشرف منك...)).

ولعل هجاء أحد الرجال إبراهيم بن النعمان بن بشير الأنصاري لأنه زوج ابنته لأحد الموالي يعد دليلاً على هذا التقليد ؛ قال المبرد[٤] : ((ولما زوّج إبراهيمُ بن النعمان

(١) البلاذري: أنساب، ج٩ ، ص ٣٦٨٧ –٣٦٨٨.
(٢) المصدر نفسه: ج٩،ص٣٦٨٧-٣٦٨٨.
(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج٦،ص٥٥٩.
(٤) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، ج١،ص٢٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن بشير الأنصاري يحيى بن أبي حفصة مولى عثمان بن عفان ابنته على عشرين ألف درهم، قال قائل يعيِّره :

لَعَمْري لَقَدْ جَلَّلْتَ نَفْسَكَ خَزيّةً وَخَالفْتَ فِعْلَ الأَكْثَرِينْ الأَكَارِمِ
وَلَوْ كَانَ جَدّاكَ اللّذانِ تَتَابعا بِبَدْرٍ لَمَا راما صَنِيْعَ الأَلائِمِ)).

وحتى لا يتجرأ الناس على كسر هذا التقليد بادر محمد بن بشير الخارجي إلى استعداء والي المدينة على رجل عربي زوّج ابنته أحد الموالي؛ ففرق بينه وبين زوجته؛ وضربه مائتي سوط، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه؛ قال أبو الفرج الأصفهاني[١] :((... قدم أعراب من بني سُليم أقحمتهم السنة إلى الرَّوْحاء، فخطب إلى بعضهم رجل من الموالي من أهل الروحاء، فزوّجه؛ فركب محمد بن بشير الخارجي إلى المدينة، ووليها يومئذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة، فاستعداه الخارجي على المولى. فأرسل إبراهيم إليه وإلى النفر السُّلميين وفرّق بين المولى وزوجته، وضربه مائتي سوط، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه فقال محمد بن بشير في ذلك:

شَهِدْتُ غَدَاةَ خَصْمِ بني سُلَيْمٍ وُجُوهاً مِنْ قَضَائِكَ غَيْرُ سُودِ
قَضَيْتَ بِسُنَةٍ وَحَكَمْتَ عَدْلاً وَلَمْ تَرِثِ الحُكُومَةَ مِنْ بَعيْدِ
... ...
حمى حَدَباً لُحوْمَ بَناتِ قَوْمٍ وَهُمْ تَحْتَ التُرابِ أَبو الوَلِيدِ
وفي المِئَتَيْنِ لِلْمَوْلى نَكَالٌ وفي سَلْبِ الحَواجِبِ والخُدُودِ
إذا كافَأَتَهُمْ بِبَناتِ كِسْرى فَهَلْ يَجِدِ المَوالي مِنْ مَزِيْدِ
فَأَيُّ الحَقِّ أَنْصَفُ لِلمَوالي مِنْ إصْهَارِ العَبِيْدِ إلى العَبِيْدِ)).

ولعل الحرص على هذا التقليد، والخوف من تجاوزه هو الذي دفع العُجيَر السلولي الشاعر إلى فسخ نكاح ابنته من المولى الذي تزوجها أثناء غيابه؛ قال أبو الفرج الأصفهاني[٢]: ((... غاب العُجَيْر غيبة إلى الشام وجعل أمر ابنته إلى خالها، وأمره أن يزوجها بكفء، فخطبها مولى لبني هلال كان ذا مال، فرغبت أمُّها فيه وأمرت خال الصبية الموصى إليه بأمرها أن يزوجها ففعل. فلاذت الجارية بأخيها الفرزدق بن العجير، وبرجالٍ من قومها، وبابن عم لها يقال له قَيْل، فمنعوا جميعاً منها إلا ابن عمها القيل فإنه

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج١٦، ص٣٢٧-٣٢٨.
(٢) المصدر نفسه: ج١٣، ص٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ساعد أمها على ما أرادت، ومنع منها الفرزدق، فلما قدم العجير أُخبر بما جرى ففسخ النكاح وخلع ابنته من المولى وقال:

أَلا هَلْ لِبَعْجَانَ الهِلالِيُّ زَاجِرٌ وَبَعْجَانُ مَأْدُومَ الطَعَامِ سَمِيْنُ
أَلَيْسَ أَمِيْرُ المُؤْمِنْينَ ابْنَ عَمِها وَبِالحِنْوِ آسَادٌ لها وَعَرِيْنُ
وَعَاذَتْ بِحَقْوَى عَامِرٌ وابْنَ عَامِرٍ وَلِلّهِ قَدْ بَتَّتْ عَليَّ يَمِيْنُ[١]
تَنالُونَها أَوْ يَخْضِبِ الأَرضَ مِنْكُمْ دَمٌ خَرَّ عَنْهُ حَاجِبٌ وجبينُ))

٦- عدم تزويج المرأة للرجل الذي شبب بها.

ومن التقاليد التي سادت في المجتمع الأموي عدم تزويج الخاطب الذي سبق له التشبيب بالمخطوبة دفعاً للشبهة، وخوفاً من الفضيحة؛ قال البكري[٢] : ((... وكانت العرب لا تُنكح المرأة من الرجل الذي شَبَّب بها ...)).

وغالباً ما كان أهل الفتاة التي شُبِّبَ بها يكرهونها على الزواج من رجلٍ آخر كما حصل مع قيس بن الملوح وليلى[٣]؛ وجميل وبثينة [٤] وغيرها من القصص المشهورة.

٧- خطبة النكاح.

روى عن الحسن البصري أنه كان يكرر خطبة موحدة بمناسبة النكاح؛ وقد رواها ابن قتيبة فقال[٥]: ((... كان الحسن البصري يقول في خطبة النكاح ، بعد الحمد لله والثناء عليه : أما بعد ، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة، والأنساب المتفرقة، وجعل

---

(١) الحنو :حنو ذي قار قرب الكوفة.والحقو: معقد الإزار والعرب تقـــول: " عذت بحقوه إذا عاذ به يمنعه".اللسان: مادتي (حنا) و(حقا) وانظر ترجمة العجير السلولي: المصدر نفسه: ج١٣، ص٤١.

(٢) البكري: سمط اللآليء، عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ج٢، ص٦٩٥.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج٢، ص ٣٣٧.

(٤) المصدر نفسه: ج٨، ص ٣٠٥. وانظر مثالاً آخر: نفسه، ج٢، ص ٥١٠ رفض تزويج ابن مَيَّادة بأم جحدر بنت حسان لأنه شبب بها.

(٥) ابن قتيبة: عين الأخبار، م٢، ج١٠، ص٧٣. وابن عبد ربه: العقد ، ج٤، ص ٢٠٥. وانظر في أصول هذه الخطبة: الجاحظ: البيان والتبيين، عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت، ج١، ص١١٦-١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك في سنة من دينه ومنهاجٍ واضحٍ من أمره؛ وقد خطب إليكم فلان وعليه من الله نعمة، وهو يبذل من الصَداقِ كذا فاستخيروا الله ورّدوا خيراً يرحمكم الله)).

ومما يؤكد شيوع هذا التقليد في العصر الأموي ما أورده البلاذري فقال[١]:((كان خالد يزوج أقاربه ويسوق عنهم المهر، فأراد أن يزوج بعضهم فذهبت عنه الخطبة فقال: إني واللهِ أروي في النكاح كذا وكذا خطبة، وما يحضرني الآن منها شيء، فاشهدوا إني قد زوجت فلاناً فلانة وأصدقتها عنه كذا)).

ويكشف دفع خالد بن عبد الله القسري المهر عن أقاربه عن أن أفراد المجتمع الأموي امتثلوا لأمر الإسلام بوجوب دفع المهر للمرأة المخطوبة؛ لكن أخبارهم توحي بأنهم تعاملوا معه على أساس طبقي إذ تفاوتت المهور بحسب نسب المرأة ومكانة قبيلتها، فعلى سبيل المثال دفع مصعب بن الزبير لعائشة بنت طلحة مهراً وصل إلى ألف ألف درهم نصفه مهر والآخر هدية .[٢]

وأصدق عمر بن عبيد الله عائشة بنت طلحة خمسمائة ألف درهم مهراً وخمسمائة ألف هدية.[٣]

وأمهر عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فاطمة بنت الحسين بن علي ألف ألف درهم.[٤]

٨- تجهيز الأثاث للعروس.

وإلى جانب المهر كانت العروس في المجتمع الأموي تحظى بالأثاث من النَّجْد والفُرُشُ التي كانت تصنع على أيدي فعلة متخصصين؛ قال أبو الفرج الأصفهاني[٥]: ((وأخبرني الأسدي قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن صالح النطّاح قال: إنما سُمِّي إسماعيل بن يسار النِّسائِيَّ لأنه كان يبيع النَّجْدَ والفُرُشَ التي تتخذُ للعرائس)).

---

(١) البلاذري: أنساب، ج٩، ص ٣٦٩٧. والمقصود هنا خالد بن عبد الله القسري.

(٢) البلاذري: نفسه، ج٧، ص ٢٧٤٣.والأصفهاني: الأغاني ،ج١١، ص ١٢٣.

(٣) الأصفهاني: نفسه ، ج١١، ص١٢٥.

(٤) اليافعي: مرآة الجنان، عبد الله الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١، ص ٢٦١.

(٥) الأصفهاني : نفسه : ج٤ ، ص ٥٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩- الجِلْوة .

وتطبيقاً لأمر الإسلام بضرورة النظر إلى المرأة المخطوبة ظهر في المجتمع الأموي ما كان يُعرف بالجِلوَة ؛ ورد في اللسان[١]: ((... جلا العروسَ على بعلها جَلْوةً وجِلْوَةً وَجِلاءً واجْتَلاها وجلاها، وقد جَلَيت على زوجها واجتلاها زوجها أي نظر إليها. وَجلاَها زوجها وصيفة : أعطاها إياها في ذلك الوقت، وجِلْوتُها ما أعطاها وقيل: هو ما أعطاها من غُرَّةٍ أو دراهم)).

ويبدو أن هذا التقليد كان يقضي بنظر الزوج إلى زوجته ثم منحها ما تجود به نفسه من عطاء ، ويدل على ذلك جلوة موسى شهوات [٢] على إحدى زوجاته؛ قال أبو الفرج الأصفهاني [٣] : ((... زُوِّج موسى شهوات بنت مولى لمعن بن عبد الرحمن بن عوف يقال له : داود بن أبي حُمَيدة، فلما جُلِيّت عليه قال داود : ما لِلْجلْوة؟ فأنشأ يقول:

تَقُولُ لِيَ النِسَاءُ غَداةَ تُجْلَى حُمَيْدَةَ يا فتى لِلجلاَءِ
فَقُلْتُ لَهُمْ: سَمَرْ قَنْدٌ وَبَلْخٌ وَمَا بالصيْنِ مِنْ نَعَمٍ وَشَاءِ
أَبُوها حَاتِمٌ إِنْ سيْلَ خَيْراً وَلَيْثُ كَرِيْهَةٍ عِنْدَ اللقاءِ))

١٠- تزيين العروس.

وكانت العروس في المجتمع الأموي تزين قبل زفافها باستخدام بعض وسائل التجميل؛ وهذا ما يوحيه البيت الذي قاله عَدّي بن الرقاع العاملي يصف أثر الصحراء

---

(١) ابن منظور: اللسان ، مادة (جلا).

(٢) قال الأصفهاني : الأغاني ، ج٣، ص ٢٤٤ : ((... إنما لُقِّب موسى شهوات لأنه كان مسؤولاً مُلحفاً، فكان كلما رأى مع أحدٍ شيئاً يعجبه من مال أو متاعٍ أو ثوبٍ أو فرسٍ تباكي، فإذا قيل له: مالك ؟ قال: أشتهي هذا، فسمي موسى شهوات)).

(٣) الأصفهاني: نفسه ، ج٣ ، ص٢٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القاحلة على وجه ظبية مشبهاً هذا الأثر بالنقط في وجه العروس تكون من زعفران: [١]

خَضَبَتْ لها عُقُدُ البِرَاقِ جَبْيَنَها مِنْ عَرْكِها عَلَجانَها وَعَرادَها [٢]

كَالزَّيْنِ في وجْهِ العَرُوسِ تَبَدَّلَتْ بَعْدَ الحَياءِ فلا عَبَتْ أَرْآدها [٣]

١١- الغناء :

وكان التعبير عن الفرحة بالزفاف يتمثل في الغناء الذي يصاحبه النقر على الدفوف، ويتبعه تشييع العروس مع جواريها بالهوادج إلى بيت زوجها؛ قال أبو الفرج الأصفهاني[٤]:((لما أراد عبد الله بن جعفر إهداء ابنته إلى الحجاج، كان ابن أبي عتيق عنده، فجاء الدَّلال متعرِّضاً فاستأذن فقال له ابن جعفر: لقد جئتنا يا دلاّل في وقت حاجتنا إليك ... فغنّى ونقر بالدُّف، والهوادج والرواحل قد هُيئَّت، وصُيِّرت بنت أبي جعفر فيها مع جواريها والمشيعين لها ...)).

ومما يؤكد شيوع تقليد الزفاف الذي يرافقه مشاركة المشيعين لموكب العروس في المجتمع الأموي ما قاله عبيد الله بن قيس الرقيات مصوراً زفاف سكينة بنت الحسين إلى مصعب بن الزبير وموكبها [٥] :

ظَعَنَ الأَمِيْرُ بِأَحْسَنِ الخَلْقِ وَغَدا بِلُبِّكَ مَطْلَعَ الشَّرْقِ

مَرَّتْ على قَرْنٍ يُقَادُ بِهَا جَمَلٌ أَمَامَ بَرَازِقٍ زُرْقِ

وعكس نابغة بني شيبان ما كان يراه في مجتمعه من مآدب وغناء، ونقر دفوف في الأفراح فقال يشبه سحاباً يرافقه صوت الرعد والأمطار الغزيرة بمأدبة عرس يرافقها

---

(١) عَدّي بن الرقاع العاملي: الديوان ، نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن،مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ص٨٤ . وانظر كذلك : الثعالبي: المنتخب في محاسن أشعار العرب، عادل سليمان، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ج٢،ص٩١.

(٢) خَضَبَت : أي أثرت في جبينها . البِراق: جمع بُرْقَةَ وهي أرض ترابها وحجارتها مختلفة الألوان. عراك الشيء: دلكه. والعلجان: شجر أخضر مظلم الخضرة. العِراد : خمص الحمض أجمع ينبت في القيعان.

(٣) الزين : نقط في وجه العروس تكون من زعفران . الآراد : جمع رِئْد وهو التُرْب : أي من هو في سنك.

(٤) الأصفهاني : الأغاني ، ج٤ ، ص٤٥٧.

(٥) عبيد الله بن قيس الرقيات: الديوان، دار صادر، بيروت، ص٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغناء والنقر على الدفوف: [١]

وكُلُّ مُجَلْجِلٍ دانٍ زَحُوفٍ تَشابَهَ غَيْمُهُ فيهِ اسْتِوَاءٌ[٢]
كَأَنَّ على غَوارِبِهِ زُحُوفاً لها لَجَبٌ يُصَمُّ بِهِ الدُّعاءُ [٣]
كأَنَّ دِفَافَ مَأْدُبَةٍ وَعُرْسٍ وَرَجَّازٍ يُجَاوِبُهُ الحُداءُ[٤]

و قال ابن عبد ربه[٥] : ((... حدثّني رجل من أهل المدينة، قال : كان طويس يتغنى في عرس رجلٍ من الأنصار، فدخل النعمان بن بشير العرس، وطويس يتغنى:

أَجَدَّ بِعَمْرَة عُتْباها فَتَهْجُرْ أَمْ شَأْنُنا شانُها
وَعَمْرَةُ مِنْ سَرَواتِ النِّساءِ تَنْفُخُ بِالمِسْكِ أرْادنُها

فقيل له: اسكت ! اسكت لأن عمرة أم النعمان بن بشير ...))..

وقد حاول عمر بن عبد العزيز ضبط الغناء في الأعراس حتى لا يتعارض مع أحكام الشريعة، قال يزيد بن أبي حبيب[٦] : ((كتبت إلى عمر بن عبد العزيز في اللعب بالدفاف والبرابط في العرس. فكتب إليَّ عمر بن عبد العزيز : امنع الذين يضربون البرابط، ودع الذين يضربون بالدّفاف، فإن ذلك يفرق بين النكاح والسفاح)) .

١٢- **الولائـــم.**

وكان العريس في المجتمع الأموي يولم للناس ويدعوهم إلى وليمته قبل زفاف العروس إليه، قال أبو الفرج الأصفهاني يصف ممارسة الناس لهذا التقليد في المجتمع الأمــوي [٧]: ((... تزوج ذيبان بن أبي ذيبان العدوي من بَلْعُدَوية ، فدعا الناس في وليمته، فدعا ابن أبي الشيخ الفقُيميّ، فألفى الفرزدق عنده، فقال له: يا أبا فراس، انهض،

---

(١) نابغة بني شيبان: الديوان، شرح قدري مايو، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٢٤.
(٢) المجلجل: السحاب المرعد. استواء: انتشار وانبساط.
(٣) الغوارب: الأعالي كالأكتاف أو الأمواج. الزُحوف: الحشود الزاحفة كالجيش. لجب: ضجة وصخب.
(٤) الدِفاف: جمع دف وهو ما يضرب عليه للغناء.
(٥) ابن عبد ربه : العقد، ج٧، ص ٦٦.
(٦) عبد الله بن الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز، أحمد عبيد، مكتبة وهبة، القاهرة، ص ١٠٦.
(٧) الأصفهاني: الأغاني، ج٢١، ص١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: إنه لم يدعني، قال: إن ابن ذيبان يُؤتى وإن لم يَدْعُ، ثم لا تخرج من عنده إلا بجائزة، فأتياه فقال الفرزدق حين دخل:

كَمْ قَالَ ليَ ابنُ أبي شَيْخٍ وَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ السَبِيْلُ إلى مَعْرُوفِ ذُبْيانِ
إِنَّ القَلُوصَ إِذا أَلْقَتْ جآجِئَها قُدامَّ بَابِكَ لَمْ نَرْحَلْ بِحِرْمانِ

قال: أجل يا أبا فراس، فدخل فتغدى عنده، وأعطاه ثلثمائة درهم)).

تلك هي أهم تقاليد الزواج في المجتمع الأموي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

العلاقات الأسرية في المجتمع الأموي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجوانب الإيجابية في الحياة الزوجية

ظهر في الحياة الزوجية في المجتمع الأموي جوانب إيجابية أسهم الزوجان في صنعها، بما أظهره كل واحد منهما من مشاعر صادقة، وأفعال كريمة تجاه الآخر ومن أهمها:

١- الغزل في الزوجة:

هام بعض الأزواج في المجتمع الأموي بزوجاتهم حباً فاق حب العُشّاق المحرومين، وعبّروا عن ذلك بقصائد بثوا فيها لواعج حبهم، وحُرَقَ أفئدتهم، وتغنوا فيها بجمالهن وحسنهن ، ومن أمثلة ذلك ما قاله الحارث بن خالد المخزومي يتغزل في زوجته ظليمة ذاكراً أنه لا يبالي بما أصابه من معاناة بسبب شحها في وصاله، مصوراً جمال مبسمها الذي جعله يشتاق إليها اشتياق الغريق إلى النجاة: (١)

بَانَ الخَلِيْطُ الذَّي كُنَّا بِهِ نَثِقُ ... بَانُوا وَقَلْبُكَ بِهِمْ عَلِقُ
تُنِيْلُ نَزْراً قَلِيْلاً وَهَي مُشْفِقَةٌ ... كَما يَخَافُ مَسِيْسَ الحَيَّةِ الفَرِقُ
يا أُمَّ عِمْرانَ مَا زَالَتْ وَما بَرِحَتْ ... بِيَ الصَبَّابَةُ حَتّى شَفَّني الشَّفَقُ
لا أَعْتَقَ اللهُ رِقِّي مِنْ صَبابَتِكُمْ ... مَا ضَرَّنِي أَنَّني صَبٌّ بِكُمْ قَلِقُ
ضَحِكْتِ عَنْ مُرْهَفِ الأَنْيابِ ذي أَشُرٍ ... لا قَضَمٌ في ثَنَاياهُ وَلا رَوَقُ
يَتُوقُ قَلْبي إِلَيْكُمْ كَيْ يُلاقِيَكُمْ ... كَما يَتُوقُ إلى مَنْجَاتِهِ الغَرِقُ

وتغزل هدبة بن الخشرم في زوجته في أحلك الظروف، فقد نظم غير قصيدة في سجنه يعبّر فيها عن حبه لها؛ ومنها قوله يعبر عن تذكره لها رغم معاناته الشديدة من السجن وقيوده : (٢)

وَلَمّا دَخَلْتُ السِّجْنَ يا أُمَّ مَالِكٍ ... ذَكَرْتُكِ والأَطْرَافُ في حَلَقٍ سُمْرِ
وَعِنْدَ سَعِيْدٍ غَيْرَ أَنْ لَمْ أَبُحْ بِهِ ... ذَكَرْتُكِ إِنَّ الأَمْرَ يُذْكَرُ بالأَمْرِ

(١) الحارث بن خالد المخزومي: :الديوان، يحيى الجبوري، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ص٧٢-٧٤. وانظرمثالاً آخر لغزله فيها : المصدر نفسه:ص٨٩-٩٢.

(٢) هدبة بن الخشرم العذري : شعره ، يحيى الجبوري، وزارة الثقافة ، بغداد ، ص ٩٩. وسعيد هنا هو سعيد بن العاص والي المدينة آنذاك . وانظر في قصة سجنه، الأصفهاني: الأغاني، ج٢١، ص١٦٦ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال في سجنه متغزلاً فيها، وذاكراً أن سجنه وطول نأيه عنها لم يغيرا من حبه لها مشبهاً سحر بسمتها وعذوبة ريقها بسحر الخمر وعذوبتها : (١)

أَبَى القَلْبُ إلا أُمَّ عَمْرٍو وَمَا أَرَى نَوَاهَا وَإِنْ طَالَ التّذكُّرُ تُسْعِفُ
وَجَرَّتْ صُرُوفُ الدَّهرِ حَتّى تَنَكّرَتْ وَقَدْ يُخلِقُ النَأيُ الوِصَالَ فَيَضْعُفُ
وَقَدْ كُنْتُ لا حُبٌّ كَحِبّي مُضْمَرٌ يُعَدُّ ولا إِلْفٌ كَمَا كُنْتُ آلَفُ
... ...
أَسِيْلَةُ مَجْرَى الدَّمْعِ يَرْضَى بِوصْلِها مُطَالِبُهَا ذو النِّيقةِ المُتَطَرِّفُ
كَأَنَّ ثَنَاياهَا وَبَرْدَ لِثَاتِها بُعَيْدَ الكَرى تَجْري عَلَيْهِنَّ قَرْقَفُ

وبلغ حبه لها درجة جعلته يوصيها بأن لا تتزوج بعده، فقال : (٢)

فَأُوْصِيْكِ إِنْ فَرقْتِني أُمَّ عَامِرٍ وَبَعْضُ الوَصَايَا في أَماكِنَ تَنْفَعا
ولا تَنْكِحي إِنْ فَرَّقَ الدَّهر بَيْنَنَا أَغَمَّ القفا والوَجْهِ لَيْسَ بِأَنْزعَا

ونظم الطِرمّاح قصيدة في زوجته صوّر فيها حنينه إليها، وحبه لها، وشوقه للقائها بعد أن غاب عنها في كرمان سنة كاملة بقوله : (٣)

فَيَا سَلْمَ لاَ تَخْشَيْ بِكَرْمانَ أَنْ أُرَى أُقَسِّسُ أَعْراجَ السَّوامِ المُرَوَّحِ
كَفى حَزَنَاً، يا سَلْمَ، أَنْ كَانَ ذَاهِباً بِكَرْمَان بي حَوْلٌ وَلَمْ أَتَسَرَّحِ
أَنَامُ لأَلْقَى أُمَّ سَلْمٍ، وربَّما رَمَاني الكَرَى بِالزائِرِ المُتَزَحْزِحِ
وَيَا سَلْمَ ما أَرْبَحْتُ إِنْ أَنَا بِعْتُكُمْ بِدُنْيَا ، وَكَمْ مِنْ تَاجرٍ غَيْرُ مُرْبِحِ

واستمر في تصوير شوقه وحنينه وحبه لها مخاطباً ابنه يقول : (١)

---

(١) هدبة بن الخشرم : شعره ، ص ١١١-١١٢.

(٢) المصدر نفسه : ص١٠٥. وانظر كذلك :البحتري: الحماسة، لويس شيخو، دار الكتاب ، بيروت،ص١٢٦. والأصفهاني: الأغاني، ج٢١،ص١٧٥

(٣) الطِرّماح: الديوان، عزة حسن، وزارة الثقافة ، دمشق، ص١٠٠-١٠١. وقسس الرجل ماشيته، إذا روّحها مع العشي إلى مُراحِها، والأعراج: جمع عَرْج: وهو القطع الضخم من الإبل .والسوام: الإبل السائمة في المراعي والمروح: الإبل التي يروحها أصحابها إلى المُرَاحِ في العشي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَصَمْامَ، إِنْ تَشْفَعْ لأُمِّكَ تَلْقَها لَها شَافِعٌ في الصَّدْرِ لَمْ يَتَبَرَّحِ
إِذا غِبْتَ عَنَّا لَمْ يَغِبْ، غَيْرَ أَنَّهُ يَعِنُّ لَنَا في كُلِّ مُمْسىً ومُصْبَحِ
هَلِ الحُبُّ إِلاّ أَنَّها لَوْ تَجَرَّدَتْ لِذَبْحِكَ، يا صَمْصامَ، قُلْتَ لها: اذْبَحي

ويعبر عن أثر بعده عنها في نفسه، ووفائه لها في غيبتها عنه، يقول : (٢)

وَذِكْراكِ مَا لَمْ تُسْعِفِ الدَارُ بَيْنَنا تَبارِيْحُ مِنْ عَيْشِ الحَياةِ المُبَرِّحِ
أَغَارُ على نَفْسي لسَلْمَةَ خَالِياً وَلَوْ عَرَضَتْ لي كُلُّ بَيْضَاءَ بَيْدَحِ
تَمَلَّحُ ما اسْطَاعَتْ وَيَغْلِبُ دُونَها هَوىً لَكِ يُنْسِي مُلْحَةَ المُتَمَلِّحِ
وَمَا وَصْلُكُمْ بِالرَّثِّ، يا سَلْمَ، فانْعِمي صَبَاحاً، ولا بالمُسْتَعارِ المُمَنَّحِ

ووصف عروة بن أذينة قِدم حبه لزوجته فقال : (٣)

عَلَقْتُكِ نَاشِئاً حَتَّى رَأَيْتِ الرَّأْسَ مِبْيَضَّا
على يُسْرٍ وَإِعْسارٍ وَفَيْضِ نَوالِكُمْ فَيْضا
أَلا أَحْبِبْ بِأَرْضٍ كنـــتِ تَحْتَلِّينَها أَرْضا
وَأَهْلُكِ حَبَّذا ماهُمْ وَإِن أَبْدَوا لِيَ البُغْضا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة في زوجته عَثْمة يتغزل فيها: (٤)

تَغَلْغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ في فُؤَادي فَبادِيْهِ مَعِ الخَافي يَسِيْرُ
تَغَلْغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرابٌ وَلاحُزْنٌ ولم يَبْلُغْ سُرورُ
صَدَعْتِ القَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتِ فيه هَواكِ فَلِيْمَ والتأَمَ الفُطُورُ
أَكَادُ إِذا ذَكَرْتُ العَهْدَ مِنْها أَطِيْرُ لَوْ أَنَّ إِنْساناً يَطِيْرُ
غَنِيُّ النَفْسِ أَنْ أَزدادَ حُبّاً وَلَكِنّي إلى صِلَةٍ فَقِيْرُ
وأَنْفَذَجارِحاكِ سَوادَ قَلْبي فَأَنْتِ عَلَيَّ مَا عِشْنا أَميرُ

---

(١) المصدر نفسه : ص ١٠١-١٠٢.
(٢) الطِرِمّاح : الديوان، ص ١٠٣-١٠٤.
(٣) عروة بن أُذينة: شعره، يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد ، ص ٣٣٧-٣٣٨.
(٤) الأصفهاني: الأغاني،ج٩، ص١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- مدح الزوجة :

شحّت في المصادر الأدبية والتاريخية المتاحة الشواهد المتضمنة مدح الزوج، زوجته في المجتمع الأموي وربما يكون السبب في ذلك هو التحرج من مدح المرأة؛ وممن مدح زوجته من الشعراء الفرزدق؛ إذ يقول مشيداً بكرم نسب زوجته حدراء : (١)

لَوْ أَنَّ حَدْرّاءَ تَجْزِيني كَمَا زَعَمتْ أَنْ سَوْفَ تَفْعَلُ مِنْ بَذْلٍ وَإِكْرَامِ
لَكُنْتُ أَطْوَعَ مِنْ ذِي حَلْقَةٍ جُعِلَتْ في الأَنْفِ ذَلَّ بِتَقْواءٍ وَتَرْسَامِ(٢)
عَقِيْلَةٌ مِنِ بَنِي شَيْبَانَ يَرْفَعُها دَعَايِمُ لِلْعُلَى مِنْ آلِ هَمَّامِ
مِنْ آلِ مُرَّةَ بَيْنَ المُسْتَضَاءِ بِهِمْ مِنْ رُؤسَاءٍ مَصَالِيْتٍ وَأَحْكَامِ (٣)
بَيْنَ الأَحَاوِصِ مِنْ كَلْبٍ مُرَكَّبُهَا وَبَيْنَ قَيْسِ بْنِ مَسْعُودٍ وَبِسْطَامِ

ومدح زوجته رهُيمة بنت غنيم منوهاً بطيب محتدها، فقال : (٤)

أَبُوْهَا الذَّي أَدْنَى النَّعَامَةَ بَعْدَما أَبَتْ وَائِلٌ في الحَرْبِ غَيْرَ تَمَادِ

ومدح عمران بن حطان السدوسي زوجته جمرة مشيداً بأخلاقها الكريمة، وصفاتها الحميدة فقال: (٥)

يَا جَمْرَ إِنّي عَلى مَا كَانَ مِنْ خُلُقِي مُثْنٍ بِخَلاَّتِ صِدْقٍ كُلُّها فِيْكِ
اللهُ يَعْلَمُ أَنَّي لَمْ أَقُلْ كَذِباً فِيما عَلِمْتُ وَأَنّي لا أُزَكِّيْكِ

٣- الوفاء بين الزوجين:

اشتُهرت المرأة منذ القدم بأنها أقدر على الوفاء من الرجل؛ وخصوصاً زوجها؛ وقد أفرد ابن حبيب عنواناً خاصاً في هذا المجال وسمه بالوفيات لأزواجهن اللواتي لم

(١) الفرزدق : الديوان، ص ٥٣٠.
(٢) الترسام : ضرب من الإبل.
(٣) المصاليت: الشجعان.
(٤) الفرزدق: نفسه ، ص ١٢٤.
(٥) إحسان عباس: شعر الخوارج، دار الثقافة ، بيروت ، ص ١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتزوجن بعدهم، وذكر منهن أم الدرداء فقال[١] : ((... أُم الدرداء إمرأة أبي الدرداء ، خطبها معاوية فقالت : ما كنت لأختار على أبي الدرداء. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذا اجتمعت المرأة وزوجها في الجنة كانت لآخرهما)).

وذكر ابن حبيب منهن امرأة هُدبة بن خشرم العذري التي ضحّت بجمالها وفاءً لزوجها، فقال [٢]: ((... وامرأةُ هُدبة بن خشرم العذري. فإنه لمّا قُدِّم ليُقاد بزيادة رفع رأسه فقال:

لا تَنْكِحي إنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنا أَغَمّ القَفا والوَجْهِ لَيْسَ بِأَنْزَعا
ضَرُوْباً بِلَحْيَيهِ على عَظْمِ زَوْرِهِ إذا القَوْمُ هَمُّوا بالفِعَالِ تَقَنّعا

فسألت القومُ أن يمهلوا هُدبة قليلاً. ثم أتت جزاراً فأخذت منه مدية فجدعت أنفها؛ ثم أتته قبل أن يقتل وهي مجدوعة فقالت:أذات زوج ترى)).

وظلّت عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري وفية لزوجها المختار الثقفي، ودفعت حياتها ثمناً لهذا الوفاء؛ روى الطبري[٣]: ((... أن المصعب بعث إلى أُمّ ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار، وإلى عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري وهي امرأة المختار ، فقال لهما: ما تقولان في المختار؟ ! فقالت أم ثابت : ما عسينا أن نقول !! ما نقول فيه إلا ما تقولون فيه أنتم ، فقالوا لها: اذهبي . وأما عمرة فقالت : رحمة الله

---

(١)ابن حبيب : المُحَبَّر ، إيلزة ليختن، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ، ص ٣٩٧. وانظر كذلك : ابن قتيبة: عيون الأخبار ، م٢، ج١٠، ص١٥. والأصفهاني : الأغاني ، ج٢١، ص ١٧٥ . والبغدادي : خزانة الأدب ، عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ج٩، ص ٣٣٨ – ٣٣٩.

(٢) ابن حبيب: المُحبّر، ص٣٩٧. وانظر كذلك : ابن قتيبة : عيون الأخبار، م٢، ج١٠، ص١٥. والأصفهاني: الأغاني، ج٢١، ص١٧٥. والبغدادي: خزانة الأدب، ج٩، ص٣٣٨-٣٣٩.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم، ج٧، ص١٥٧. وانظر كذلك: أبو مخنف: نصوص من تاريخ ،ج٢، ص١٨٤. والبلاذري: أنساب ، ج٦، ص ٢٧١١. والدينوري: الأخبار الطوال، عمر فاروق الطباع، دار الأرقم ، بيروت، ص٢٨٢-٢٨٣. واليعقوبي :تاريخ ، دار صادر ، بيروت، م٢، ص ٢٦٤. والمسعودي : مروج الذهب ، محمد محي الدين عبد الحميد، مؤسسة السعادة، مصر، ج٣، ص١٠٧. والأصفهاني : الأغاني ، ج٩ ، ص ١٥٦. وابن الأثير: الكامل ، ج٤، ص ٧٠. وابن كثير: البداية والنهاية ، عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون ، دار المعرفة، بيروت ، ج٨، ص ٦٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليـــه، إن كان عبداً من عباد الله الصالحين؛ فرفعها مصعب إلى السجن، وكتب فيها إلى عبد الله بن الزبير أنها تزعم أنه نبي؛ فكتب إليه أن أخرجها فاقتلها ...)).

وبقيت امرأة عمرو بن سعيد بن العاص الكلبية على وفائها لزوجها بعد مقتله على الرغم من طلب الخليفة عبد الملك بن مروان منها التنكر له؛ قال الطبري[١] : ((... ثم إن عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو الكلبية : ابعثي إليَّ بالصلح الذي كنت كتبته لعمرو ، فقالت لرسوله: ارجع إليه فأعلمه أني قد لففت ذلك الصلح معه في أكفانه ليخاصمك به عند ربه)).

ولم يقتصر الوفاء بين الزوجين في المجتمع الأموي على الزوجة، بل وفى بعض الرجال لزوجاتهم، وبذلوا كل ما في وسعهم للمحافظة عليهن كريمات عزيزات، ومن أمثلة هؤلاء عبيد الله بن الحر الجعفي الذي سارع لإخراج زوجته من السجن الذي أودعها إياه المختار الثقفي، وعبر عن وفائه لها قائلاً : [٢]

أَلَمْ تَعْلَمي يَا أُمَّ تَوْبَةَ أَنّني ... أَنا الفَارِسُ الحَامي حَقَائِقَ مُذَحَّجِ
وَأَنّي صَبّحْتُ السِجْنَ في سَوْرَةِ الضُحى ... بِكُلِّ فَتًى حَامِي الذِمَار مُدَجَّج
فَما إِنْ بَرِحْنَ السِجْنَ حَتّى بَدا لنا ... جَبِيْنٌ كَقَرْنِ الشَمْسِ غَيْرُ مُشَنّجِ
وَخَدٌ أَسِيْلٌ عَنْ فتاةٍ حَبِيْبَةٍ ... إِلَيْنا سَقاهَا كُلُّ دانٍ مُثَجّجِ
فَمَا العَيْشُ إِلا أَنْ أَزُورَكِ آمِناً ... كَعَادَتِنا مِنْ قَبْلِ حَرْبي وَمَخْرَجي
وَمَا أَنْتِ إِلا هِمَّةُ النَفْسِ والهَوى ... عَلَيْكِ السَلامُ مِنْ خَلِيْطٍ مُسَجّجِ
وَمَا زِلْتُ مَحْبوساً لِحَبْسِكِ وَاجِماً ... وَإِنّي بِمَا تَلْقَيْنَ مِنْ بَعْدِهِ شَجِ
فَباللهِ هَلْ أَبْصَرْتِ مِثْلي فَارِساً ... وَقَدْ وَلَجُوا في السِجْنِ مِنْ كُلِّ مَوْلِجِ
وَمِثْلي يُحامي دُوْنَ مِثْلِكِ إِنّني ... أَشَدُّ إِذا مَا غَمْرَةٌ لَمْ تُفَرَّجِ
أُضَارِبُهُمْ بالسّيْفِ عَنْكِ لِتَرْجِعي ... إِلى الأَمْنِ والعَيْشِ الرَفِيْعِ المُخَرْفَجِ

٤- رثاء الزوجين أحدهما الآخر:

(١) الطبري: تاريخ الأمم ، ج٧، ص١٧٩. وانظر كذلك : ابن الأثير: الكامل، ج٤ ، ص ٨٩. وابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨، ص٧١٣.

(٢) البلاذري:أنساب، ج٧، ص ٢٧٥٨.والطبري: نفسه،ج٧، ص ١٦٨-١٦٩. وابن الأثير: نفسه،ج٤،ص٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يُعد الموت أكثر اللحظات إيلاماً للزوج والزوجة حين يفقد أحدهما الآخر ؛ وخاصة إذا كانت العشرة بينهما طويلة تحمل ذكريات جميلة، وقد عبّر بعض الأزواج الذين تعرضوا لمثل هذه المصيبة في المجتمع الأموي عن أحزانهم في أشعارهم، ومن الأمثلة الشهيرة على ذلك قول جرير يرثي زوجته خالدة :(١)

لَوْلا الحَيَاءُ لَعَادَني اسْتِعْبَارُ ... وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ وَالحَبِيْبُ يُزَارُ
وَلَقَدْ نَظَرْتُ، وَمَا تَمَتُّعُ نَظْرَةٍ ... في اللَحْدِ، حَيْثُ تَمكَّنَ المِحْفَارُ
فَجَزَاكِ رَبُّكِ في عَشِيْرِكِ نَظْرَةً ... وَسَقَى صَدَاكِ مُجَلْجِلٌ مِدْرَارُ
وَلَّهَتِ قَلْبي؛ إذ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ ... وَذَوو التمائِمِ مِنْ بَنِيْكِ صِغَارُ
أَرْعَى النّجُومَ وَقَدْ مَضَتْ غَوْرِيّةً ... عُصَبُ النّجُومِ كَأَنّهُنَ صِوَارُ(٢)
نِعْمَ القَرِيْنُ وَكُنْتِ عِلْقَ مَضِنَّةٍ ... وَارَى بِنَعْفِ بُلَيّةَ الأَحْجَارُ(٣)
عَمِرَتْ مُكَرَّمَةَ المَسَاكِ وَفَارَقَتْ ... مَا مَسّهَا صَلَفٌ ولا إِقْتَارُ(٤)

فهو يصور ما تعمقه من الحزن الشديد بعد مفارقتها له، وقد كبر في السن وبنوها بحاجة إلى رعايتها وحنانها، وهو يرى النجوم في السماء في حالة أفول ووحدة كأنها بقر وحشي يعيش وحيداً مثله وكانت زوجة طيبة عاشت وماتت كريمة لا تعرف البغضاء، ولا البخل ، وهو يدعو لروحها بالسقيا؛ يقول : (٥)

فَسَقَى صَدَى جَدَثٍ بِبُرْقَةُ ضَاحِكٍ ... هَزِمٌ أَجَشٌّ وَدِيْمَةٌ مِدْرَارُ
هَزِمٌ أَجَشٌّ إِذا اسْتَحارَ بِبَلْدَةٍ ... فَكَأَنّمَا بِجوَائِهَا الأَنْهَارُ
مُتَرَاكِبٌ زَجِلٌ يُضيءُ وَمِيْضُهُ ... كَالبُلْقِ تَحْتَ بُطُونِها الأَمْهَارُ

وينتقل إلى تأبينها فيذكر مناقبها وصفاتها الحميدة؛ فيقول: (٦)

كَانَتْ مُكَرِّمَةَ العَشِيْرِ وَلَمْ يَكُنْ ... يَخْشَى غَوَائِلَ أُمِّ حَرَزَةَ جَارُ

---

(١) جرير : الديوان، مهدي محمد ناصر، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٥٢ . والمجلجل المدرار: السحاب الكثير المياه.

(٢) الغورية: النجمة التي تصبح على شفا المغيب. والصوار: البقر الوحشي.

(٣) علق مضنة: الذي لا يعطي بسهولة. ونعف بلية: اسم موقع.

(٤) الصلف: البغضاء. والاقتار: البخل.

(٥) جرير: الديوان، ص ١٥٣. والهزم: صوت الرعد الشديد. والديمة: السحابة الممطرة. والزجل : صوت الرعد.

(٦) المصدر نفسه: ص ١٥٣ . والعشير هنا : الصاحب والصديق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَلَقدْ أَراكِ كُسِيتِ أَجمَلَ مَنْظَرٍ وَمَعَ الجَمالِ سَكِيْنَةٌ وَوَقَارُ
وَالرّيْحُ طَيّبَةٌ إذا استَقْبَلْتِها وَالعِرْضُ لا دَنِسٌ وَلا خَوّارُ
وَإذا سَرَيْتُ رَأَيْتُ نَارَكِ نَوّرَتْ وَجْهاً أَغَرَّ يَزِيْنُهُ الإسْفَارُ
صَلّى المَلائِكَةُ الذِيْنَ تُخيّروا وَالصّالحُونَ عَلَيكِ وَالأبْرارُ
وَعَلَيْكِ مِنْ صَلَواتِ رَبّكِ كُلّما نَصِبَ الحَجِيْجُ مُلَبِّيْنَ وَغَارُوا

ويختم رثاءه لها بالإقرار بأن الموت مصير كل إنسان؛ فيقول:(١)

كَانَ الخَلِيْطُ هُمُ الخَلِيْطَ فأَصْبَحوا مُتَبَدِّلِيْنَ، وَبِالدّيار دِيَارُ
لا يَلْبَثُ القُرَنَاءُ أَنْ يَتَفَرّقوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمُ وَنَهَارُ

ورثى الأحوص زوجته رثاءً حزيناً بدأه بتصوير أثر موتها على نفسه وحياته فقال: (٢)

نَفَى نَوْمِي وَأَسْهَرَني غَلِيْلُ وَهَمٌّ هَاجَهُ حُزْنٌ طَوِيْلُ
وَقَالوا: قَدْ نَحلْتَ وَكُنْتَ جَلْداً وَأَيْسَرُ مَا مُنِيْتُ بِهِ النُحُوْلُ
فَإِنْ يَكُنِ العَوِيْلُ يَرُدُّ شَيْئاً فَقَدْ أَعوَلْتُ إِنْ نَفَعَ العَوِيْلُ

ثم يتذكر أيامه الجميلة معها؛ عائداً لتصوير حاله وما صار إليه من البؤس، والحزن، والإحساس بالضياع ؛ فيقول: (٣)

وَكَانَتْ لا يُلائِمُها مَبِيْتٌ عَلَيْها إِنْ عَتِبْتُ وَلاَ مَقِيْلُ
وَكُنّا في الصَفَاءِ كَمَاءِ مُزْنٍ تُشَابُ بِهِ مُعَتَّقَةٌ شَمُوْلُ
وَأَعْجَلُ عَنْ سُؤالِ الرَكْبِ صَحْبي وَأَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ أَقِيْلُوا
فَقَدْ أَصْبَحْتُ بَعْدَكِ لاَ أُبالي أَسَارَ الرَكْبَ أَمْ طَالَ النُزُوْلُ
فَمَنْ يَكُ بِالْقُفُولِ قَرِيْرَ عَيْنٍ فَمَا أَمْسَيْتُ يُعْجِبُني القُفُوْلُ
كَأَنّكَ لَمْ تُلاقِ الدَهْرَ يَوْماً خَلِيْلاً حِيْنَ يُفْرِدُكَ الخَلِيْلُ
فَصَبْراً لِلحَوادِثِ كُلُّ حَيٍّ سَبِيْلُ الهالِكِيْن لَهُ سَبِيْلُ

وقال مويلك المَزْمُوم يرثي امرأته أُمّ العلاء: (٤)

---

(١) جرير : الديوان ، ص ١٥٤.

(٢) الأحوص: حياته وشعره، محمد علي سعيد، دار الافاق الجديدة، بيروت ، ص ٢٩٢.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٩٢ –٢٩٣.

(٤) التبريزي: شرح ديوان الحماسة، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القــاهرة، ج٢ ، ص ٣٦٠ –٣٦١ . وانظر كذلك البغدادي ، خزانة الأدب، ج٨ ، ص ٥٣٥ . واحسان عباس ، شعر الخوراج ، ص ١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أُمْرُرْ عَلى الجَدَثِ الذَّي حَلَّتْ بِهِ أُمُّ العَلاءِ فَنَادِها لَوْ تَسْمَعُ
أَنَّى حَلَلْتِ وَكُنْتِ جِدَّ فَرُوقَةٍ بَلَداً يَمُرُّ بِهِ الشُّجَاعُ فَيَفْزَعُ
صَلَّى عَلَيْكِ اللهُ مِنْ مَفْقُودَةٍ إِذْ لا يُلائِمَكِ المَكَانُ البَلْقَعُ
فَلَقَدْ تَرَكْتِ صَغِيْرَةً مَرْحُومَةً لَمْ تَدْرِ مَا جَزَعٌ عَلَيْكِ فَتَجْزَعُ
فَقَدَتْ شَمَائِلَ مِنْ لِزَامِكِ حُلْوَةٌ فَتَبِيْتُ تُسْهِرُ أَهْلَهَا وَتُفَجِّعُ
وَإِذا سَمِعْتُ أَنِينَها في لَيْلِهَا طَفِقَتْ عَلَيْكِ شُئُونُ عَيْنِي تَدْمَعُ

وعبّرت بعض الزوجات في المجتمع الأموي عن فجيعتهن بموت أزواجهن فصورنّ عظم مصيبتهن لأنهن فقدن من يعولهن، ويرعى أسرهن ومن ذلك رثاء الرَّباب بنت امرىء القيس زوجها الحسين بن علي بقولها : (١)

إِنَّ الذّي كَانَ نُوْراً يُسْتَضَاءُ بِهِ بِكَرْبُلاءَ قَتِيْلٌ غَيْرَ مُدْفُونِ
سِبْطُ النَبِيِّ جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً عَنّا، وَجُنِّبْتَ خُسْرانَ المَوازِيْنِ
قَدْ كُنْتَ لي جَبَلاً صَعْباً أَلُوذُ بِهِ وَكُنْتَ تَصْحَبُنا بِالرُّحْمِ وَالدِّيْنِ
مَنْ لِلْيَتامى! وَمَنْ لِلسَائِلِيْنَ وَمَنْ يُغْني وَيَأْوِي إِلَيْه كُلُّ مِسْكِيْنِ
واللهِ لا أَبْتَغي صِهْراً بِصِهْرِكُمْ حَتّى أُغَيَّبَ بَيْنَ الرَمْلِ وَالطِيْنِ

ورثتّه زوجته عاتكة بنت نفيل فقالت : (٢)

وَحُسَيْناً لا عَدِمْتُ حُسَيْناً أَقْصَدَتْهُ أَسِنَّةُ الأَعْداءِ
غَادَرْتُهُ بِكَرْبُلاءَ صَرِيْعاً جَادَتِ المُزْنُ في ذَرَى كَرْبُلاءِ

ورثت هند بنت النعمان بن بشير الأنصاري زوجها فقالت : (٣)

أَلا يَابْنَ المُهَاجِرِ قَدْ دَهَاني طَارِقٌ طَرَقَا
دَعَاكَ فَمَا أَبَيْتَ وَلا سَدَدْنا دُونَكَ الغَلَقا
أَلا عَيْنَيَّ جُوداً بالدُّمُوعِ عَلَيْهِ واسْتَبِقَا

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج١٦ ، ص ٣٦٢.
(٢) البصري: الحماسة البصرية، مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ج١، ص ٢٠٤.
(٣) البلاذري : أنساب ، ج٦ ، ص ٢٦٢٧ – ٢٦٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجوانب السلبية في الحياة الزوجية

١- الملاحاة بين الزوجين:

من أهم الجوانب السلبية في الحياة الزوجية خلال العصر الأموي الملاحاة بين الزوجين الناتجة عن سوء أخلاق الزوجة في تعاملها مع زوجها؛ فعلى سبيل المثال ساءت علاقة حميدة بنت النعمان بن بشير مع أزواجها بسبب مشاجرتها الدائمة معهم، ومن الأمثلة على ذلك ما جرى بينهما وبين أحد أزواجها؛ روى أبو الفرج الأصفهاني[١] : ((... أن الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة - ويقال : بل خالد بن المُهاجر بن خالد ابن الوليد بن المغيرة - كان تزوّج حُمَيدة بنت النعمان بن بشير بدمشق لمّا قدم على عبد الملك بن مروان، فقالت فيه :

نَكَحْتُ المَدينيَّ إِذْ جَاءني فَيالَكِ مِنْ نَكْحَةٍ غَاوِيهْ
كُهُولُ دِمَشْقَ وشُبَّانُها أَحَبُّ إلينا مِنْ الجَالِيهْ [٢]
صُنَانٌ لَهُمْ كَصُنَانِ التُّيو سِ أَعْيا على المِسْكِ والغَالِيهْ

فقال الحارث يجيبها:

أَسنا ضَوْءِ نَارِ ضَمْرَةَ بالقَفْـ ـرةِ أَبْصَرْتَ أَمْ سَنَا ضَوْءِ بَرْقِ
قَاطِناتُ الحَجُونِ أَشْهى إلى قلْـ ـبيَ مِنْ سَاكِنَاتِ دُورِ دِمَشْقِ
يَتَضوّعْنَ عَنْ لَوْ تَضَمَّخْنَ بِالمسـ ـكِ صُنَاناً كَأَنَّهُ رِيْحُ مَرْقِ [٣]))

---

(١) الأصفهاني : الأغاني، ج٩ ، ص ١٥٥ . و ج١٦ ، ص ٣٠٤ .

(٢) الجالية: أهل الحجاز، كان أهل الشام يسمونهم بذلك لأنهم كانوا يجلون عن بلادهم إلى الشام.

(٣) المرَق بالفتح: صوف العجاف والمرضى وهو منتن، أو هو الجلد المنتن. وانظر كذلك : البلاذري : أنساب، ج٦، ص ٢٦٢٧ – ٢٦٢٨. وابن طيفور: بلاغات النساء ، ص ١٨٧. والحارث بن خالد المخزومي: شعره، يحيى الجبوري، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ص١٢١. وانظر ملاحاتها الدائمة مع زوجها روح بن زنباع : الأصفهاني: نفسه، ص ١٥٦-١٥٩ . وابن طيفور: نفسه،١٨٣-١٨٥ . وابن عبد ربه : العقد ، ج٧ ، ص ١٠٧ . وابن قيم الجوزية : أخبار النساء: مطبعة التقدم العلمي، القاهرة ، ص ٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعمدت زوجة مسكين الدرامي ملاحاته وتحقيره أمام قومه؛ مما يؤكد دور الملاحة في تردي العلاقة الزوجية بين الزوجين في المجتمع الأموي، قال أبو الفرج الأصفهاني[١]: ((... كانت لمسكين الدراميِّ امرأة من منقر وكانت فاركاً كثيرة الخصومة والمُماظة فجازت به يوماً وهو ينشد قوله في نادي قومه:

إِنْ أُدْعَ مِسْكِيْناً فَما قَصَرَتْ قِدْري بُيوتُ الحيِّ والجُدْرُ

فوقفت عليه تسمع حتى إذا بلغ قوله:

نَاري ونَارُ الجَارِ وَاحِدةٌ وَإِلِيْهِ قَبْلي تُنْزَلُ القِدْرُ

فقالت له: صدقت والله، يجلس جارك فيطبخ قدره فتصطلي بناره، ثم ينزلها فيجلس فيأكل وأنت بحذائِه كالكلب، فإذا شبع أطعمك، أجل والله إن القدر لتنزل إليه قبلك، فأعرض عنها ومر في قصيدته حتى بلغ قوله:

مَا ضَرَّ جاراً لي أُجَاوِرَهُ أَلاّ يَكُون لِبَيتِهِ سِتْرُ

فقالت له: أجل، إن كان له ستر هتكته فوثب إليها يضربها ...))

وسألت زوجة الحُضَين بن المنذر زوجها سؤالاً لا يخلو من الملاحاة وسوء الأدب؛ قال الجاحظ [٢]: ((... قالت امرأة الحُضَيْن بن المنذر للحضين: كيف سُدْتَ قومك وأنت بخيل وأنت دميم ؟ قال: لأنيِّ سديد الرأي، شديد الإقدام)).

وكان البغض هو السبب المباشر في الملاحاة والتهاجي بين أبي وجزة السعدي[٣] وزوجته ؛ قال أبو الفرج الأصفهاني[٤] : ((... تزوّج أبو وجزة السعدي زينب بنت عُرْفَطة ابن سهل بن مكدَّم المزنية فولدت له عبيداً ، وكانت قد عنَّست وكان أبو وجزة يُبْغضها، وإنما أقام عليها لشرفها، فقال لها ذات يوم:

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج٢٠، ص ٣٥٨ . والمرأة الفارك: المبغضة لزوجها. والمُماظة: المنازعة والمشادة.

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين، ج٢ ، ص ١٦٩.

(٣) انظر ترجمة أبي وجزة السعدي: الأصفهاني، نفسه، ج١٢، ص٤٣٩.

(٤) الأصفهاني: نفسه، ج١٢، ص ٤٤٣-٤٤٤. والعجز: عظم البطن. المذق: اللبن المخلوط. الخَصِرْ: البارد. السعر: حر النار. المضرّ : الداني القريب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أُعْطى عُبَيْداً وَعُبَيْدٌ مَقْنَعُ مِنْ عِرْمِسٍ مَخْرِمُها جَلَنْفَعُ[١]

ذاتِ عِساسٍ مَا تَكادُ تَشْبَعُ تَجْتَلِدُ الصَحْنَ وَمَا إِنْ تَبْضَعُ[٢]
تَمُرُّ في الدارِ ولا تَوَرَّعُ كأَنَّهَا فيهم شُجاعُ أَقْرَعُ[٣]

فقالت أم وجزة تجيبه:

أُعْطى عُبَيْداً مِنْ شُيَيْخٍ ذي عَجَرْ لا حَسَنِ الوَجْهِ ولا سَمْحٍ يَسَرْ
يَشْرَبُ المَذْقَ في اليَوْمِ الخَصِرْ كَأَنَّما يُقْذَفُ في ذَاتِ السُّعُرْ

تَقَاذُفَ السَيْلِ مِنْ الشِّعْبِ المُضِرّ))

وأدى بُخل جندل بن الراعي إلى حدوث ملاحاة بينه وبين زوجته، إذ عيّرها بنحول جسمها فردت عليه مبينة أن سبب هذا النحول هو قلة الطعام عنده ؛ قال أبو الفرج الأصفهاني [٤]: ((... كانت لجندل بن الراعي امرأة من بني عُقَيل ، وكان بخيلاً فنظر إليها يوماً وقد هُزِلت وتخدد لحمها فأنشأ يقول:

عُقَيْلِيَّةٌ أَمَّا أَعَالي عِظامِها فَعُوُجٌ وأَمَّا لَحْمُها فَقَلْيلُ

فقالت مجيبة له عن ذلك:

عُقَيْلِيَّةٌ حَسْناءُ أَزْرى بلَحْمِها طَعَامٌ لَدَيْكَ ابنَ الرِّعَاءِ قَلْيلُ

فجعل جندل يسبها ويضر بها وهي تقول: قلت فأجبتُ، وكذبتَ فصدقتُ فما غضبك؟!)).

---

(١) العرمس: الناقة الصلبة الشديدة . والمخرم: ما وضع عليه الحزام ، يعني البطن . وجلنفع: واسع البطن.

(٢) عساس : جمع عُس (بالضم) وهو القدح الضخم. اجتلد الإناء : شرب كل ما فيه . وبضع من الماء وبه: روى وامتلا.

(٣) تتورع : تتحرج . والشجاع: ضرب من الحيات دقيق ، وشجاع أقرع قد تمعط جلد رأسه لكثرة سمه وطول عمره.

(٤) الاصفهاني: الأغاني، ج٢٤،ص٣٣١. وانظر كذلك : الراعي النميري: الديوان، تحقيق واضح الصمد، دار الجيل ، بيروت،ص ٢٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- المخاصمة عند ولي الأمر:

وكانت الملاحاة بين الزوجين تقود إلى جانب آخر من الجوانب السلبية في الحيـــاة الزوجية ؛ وهو المخاصمة عند ولي الأمر للشكوى وتبرم الزوجة من زوجها؛ مما يوحي بأن المرأة في المجتمع الأموي كانت تتمتع بشخصية قوية تؤهلها لتشكو من زوجها، ومن الأمثلة على هذه المخاصمة ما رواه ابن عبد ربه فقال[١]: ((... خاصم أعرابي امرأته إلى زياد ، فشدد على الأعرابي؛ فقال : أصلح الله الأمير؛ إن خير عمر الرجل آخره، يذهب جهله ويثوب حلمه، ويجتمع رأيه؛ وإن شرَ عُمرُ المرأة آخره، يسوء خلقها، ويحد لسانها، وتعقم رحمها! قال له : صدقت، اسفع بيدها)).

ومنها أيضاً ما رواه البلاذري فقال[٢]: ((... دخلت امرأة جميلة على عمر بن هبيرة، شكت زوجها وهو شيخ كبير، فقال الشيخ: واللهِ إنهم ليعلمون أني أقضي حقوقها، وأقوم بنوائبها. فقال للمرأة: يا عدوة اللهِ، أحين أدبر غزيرُهُ وأقبل هزيره إن دخل ذل، وإن خرج ظن، نشزتِ عنه تريدين البدل منه؟ خذ عدوة الله فأدخلها أضيق بيوتك ثم أوجعها ضرباً)).

ولم تتردد زوجة فَضَالة بن شريك الأسدي في مخاصمته عند سُلْم بن قتيبة مظهرة ما آل إليه حاله من الهرم والضعف العقلي والجسدي، قال ابن عبد ربه [٣]: ((نافرت امرأة فضالة زوجها إلى سُلْم بن قتيبة وهو والي خراسان فقالت : أبغضه واللهِ لخلال فيه. قال : وما هي ؟ قالت قليل الغيرة ، كثير الطيرة، شديد العتاب، سريع الحساب، قد أقبل بخره، وأدبر ذفره، وهجمت عيناه، واضطربت رجلاه، يفيقُ سريعاً، وينطق رجيعاً، يصبح جبساً ويمسي رحبساً، إن جاع جزع، وإن شبع جشع)).

ولم تكن المخاصمة بين الزوجين في المجتمع الأموي تقتصر على الزوجة بل كان بعض الرجال يخاصمون نساءهم عند ولي الأمر، ومثال ذلك الرجل الذي خاصم زوجته

---

(١) ابن عبد ربه: العقد ، ج٤، ص ٥٤ .

(٢) البلاذري : أنساب، ج٨، ص ٣٤٦٢.

(٣) ابن عبد ربه : طبائع النساء، ص ١٤٩ –١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى الشَّعبي ؛ قال ابن عبد ربه [١]: ((... ودخل رجل على الشَّعبي في مجلس القضاء ومعه امرأة وهي من أجمل النساء فاختصما إليه، فأدلت المرأة بحجتها وقرّبت بينتها ...)).

٣- ضرب الزوجة :

وتوحي الملاحاة والمخاصمة بين الزوجين بجانب سلبي آخر في الحياة الزوجية في المجتمع الأموي؛ وهو ضرب الزوجة، فالملاحاة بين مسكين الدرامي وجندل الراعي مع زوجتيهما انتهت بضربهما، وأوصى زياد ابن أبيه وعمر بن هبيرة الرجلين اللذان خاصما إليهما زوجتيهما بضربهما مما يؤكد شيوع هذا الجانب السلبي في بعض الأسر في المجتمع الأموي، حتى لقد قام به بعـــض القضاة والعلمـــاء؛ قال ابن عبد ربه[٢]:((قال شريح القاضي وكان من جلة التابعين والعلماء المتقدمين، استقضاه عليّ رحمه الله ومعاوية، وكان يزوج امرأة من بني تميم تسمى زينب فنقم عليها فضربها ، ثم ندم فقال:

رَأَيْتُ رِجالاً يضْرِبونَ نِسَاءهُمْ فَشُلَّتْ يَميني يَوْمَ أَضْرِبُ زَيْنَبا
أَأَضْرِبُها مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ أَتَتْ بِهِ فَما العَدْلُ مِنّي ضَرْبُ مَنْ لَيْسَ أَذْنَبَا
فَزَيْنَبُ شَمْسٌ والمُلُوكُ كَواكِبٌ إِذا بَرَزَتْ لَمْ تُبْدِ مِنهُنَّ كَوْكبا))

٤- ضرب الزوج:

ولم يكن الضرب في المجتمع الأموي يقع على الزوجات فقط، بل قامت بعض الزوجات بضرب أزواجهن؛ فزوجة الفرزدق كانت تنتف لحيته وقد صوّر عملها هذا فقـــال : [٣]

بَكَرَتْ عَلَيَّ نَوَارُ تَنْتِفُ لِحْيَتي نَتْفَ الجَعْيدةِ لِحْيَةَ الخَشْخَاشِ[٤]
كِلْتَاهُمَا أَسَدٌ إذا حَرَّبْتَها وَرِضَاهُما وَأَبِيْكَ خَيْرُ مَعَاشِ[١]

---

(١) ابن عبد ربه : العقد، ج١، ص ٦٦.

(٢) ابن عبد ربه: طبائع النساء، ص ١١٦-١١٧. وانظر كذلك : الأصفهاني: الأغاني ج١٧، ص ١٤٣-١٤٤. واليافعي : مرآة الجنان، ج١، ص ١٨٩-١٩٠.

(٣) الفرزدق: الديوان ، علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت ، ص ٣٣٧.

(٤) الجعيدة: امرأة الخشخاش العنبري وكانت تنتف لحيته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشكا رجلٌ زوجته إلى ابن أم الحكم والي معاوية بن أبي سفيان على الكوفة، لأنها اعتدت عليه بالضرب ؛ قال ابن عبد ربه [٢]: ((... جاء رجل بامرأة كأنَها برج فضة، إلى عبد الرحمن بن أم الحكم وهو على الكوفة، فقال : إن امرأتي هذه شجتني! فقال لها: أنت فعلت به؟ قالت نعم ...)).

وردّت زوجة عمار ذي كُبار على هجائه لها بضربه وتمزيق ثيابه، ونتف لحيته؛ روى أبو الفرج الأصفهاني[٣] : ((أن عمَّاراً ذا كبار كانت له امرأة يقال لها دُومَة بنت رباح، وكان يكنِّيها أم عمَّار وكانت قد تخلّقت بخُلُقُه في شُرب الشراب والمُجُون والسَّفه، حتى صـــارت تُدخل الرجال عليها وتجمعهم على الفواحش، ثم حجّت في إمارة يوسف بن عُمر فقال لها عمار:

اتْقِي اللهَ قَدْ حَجَجْتِ وتُوبي لا يَكُونَنَّ مَا صَنَعْتِ خَبَالا
وَيْكِ يا دُومُ لا تَدُومي على الخَمـــ ـرِ ولا تُدْخِلِي عَلَيْكِ الرِّجالا

... قال: فضربته دُوْمة وخرّقت ثيابه، ونتفت لحيته، وقالت: أتجعلني غرضاً لشعرِك ؟ فَطلّقها...)).

٥- تعدد الزوجات وأثره السلبي:

شاع تعدد الزوجات في المجتمع الأموي شيوعاً واسعاً لأسباب وغايات لخصتها أسيمة العظم فقالت[٤]: ((يظهر أن تعدد الزوجات راجت سوقه في العهد الأموي فأقبل عليه الناس خلفاؤهم وخاصتهم وعامتهم، وقد دفعهم إلى ذلك عوامل عدة أولها: الدين الذي أقره ، ثانيهما : الفتوحات الواسعة وما أدت إليه من سبي للنساء الأجنبيات، ثالثهما: المال الوافر الذي كان يُدر عليهم من خراج وغيره، ولقد كانت غاياتهم من تعدد الزوجات مزدوجة: التمتع بالمرأة من جهة، وإكثار النسل من جهة ثانية)).

---

(١) حرّب: أغضب.

(٢) ابن عبد ربه : نفسه، ص ١٧.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج٢٤، ص ٣٣٥-٣٣٦. وانظر ترجمة عمّار ذي كُبار: المصدر نفسه ، ج٢٤، ص ٣٣٣. وانظر تعاون زوجتي جران العَود على ضربه: البغدادي : خزانة الأدب، عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية للعامة للكتاب ، ج١٠، ص ١٨-١٩.

(٤) أسيمة العظم: المجتمع في العصر الأموي، دار العلم للملايين، بيروت ص٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظهر إقدام الرجال في المجتمع الأموي على تعدد الزوجات للمتعة من حديث الحجاج عن ليلاته مع زوجاته ؛ قال ابن عبد ربه [١]: ((... ذُكر النساء عند الحجاج فقال عندي أربعة نسوة: هند بنت المهلب، وهند بنت أسماء بن خارجة، وأم الجلاس بنت عبد الرحمن بن أسيد، وأَمة الرحمن بن جرير بن عبد الله البجلي. فأما ليلتي عند هند بنت المهلب فليلة فتى بين فتيان يلعب ويلعبون؛ وأما ليلتي عند هند بنت أسماء فليلة ملك بين الملوك، وأما ليلتي عند أم الجلاس فليلة أعرابي مع أعراب في حديثهم وأشعارهم، وأما ليلتي عند أمة الرحمن بن جرير فليلة عالم بين العلماء والفقهاء ...)).

وكانوا يميلون إلى تعدد الزوجات على الرغم من معرفتهم بسلبيات هذا التعدد؛ قال ابن عساكر[٢]: ((... جاء رجل إلى خالد بن صفوان، فقال له: تزوجت ؟ قال : لا، قال : فتزوج ثم لما كان بعد ساعة قال: لا تتزوج، قال: لمَ ؟ قال: لأنك إن تزوجت بواحدة فتطهر إن طهرت، وتحيض إن حاضت، وتغضب إن غضبت ، وترضى إن رضيت، وإن تزوجت اثنتين فتقع بين جمرتين، وإن تزوجت بثلاث تقع بين أثافي، وإن تزوجت بأربع فيفلسنك وينهبنك ...)).

ولعل ما جعل التعدد جانباً سلبياً من جوانب الحياة الزوجية في المجتمع الأموي هو سوء استخدام الرجال له من ناحية، وأثره السيء في العلاقة بين الزوجين من ناحية ثانية؛ إذ استخدمه الرجال لمعاقبة الزوجة ومناكدتها باستغلال غيرتها الفطرية من ضرتها؛ فالفرزدق على سبيل المثال تزوج غير مرة عقاباً لزوجته النَّوار ومناكفةً لها، فقد تزوج حدراء بنت زريق لأن النّوار كانت تخالفه ؛ قال أبو الفرج الأصفهاني[٣] :((فكانت لا تزال تشَارُّه وتخالفه لأنها كانت صالحة حسنة الدين وكانت تكره كثيراً من أمره، فتزوج عليها حدراء بنت زريق بن بسطام بن قيس... بن شيبان ، فتزوجها على مائة من الإبل ...)).

ولم يكتفِ بالزواج عليها؛ بل أمعن في مغايظتها بمدح ضرتها وتفضيلها عليها في شعر له رواه أبو الفرج الأصفهاني فقال[٤] : ((... فقالت له النّوار : ويلّك ! تزوجت

(١) ابن عبد ربه : العقد ، ج٧ ، ص ٩٨ .
(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج١٦، ص ١١١-١١٢.
(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج٩، ص٢٢٦-٢٢٧.
(٤) المصدر نفسه: ج٩، ص ٢٢٦-٢٢٧ . و ج٢١، ص٢٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعرابية دقيقة الساقين بوّالة على عقبيها على مائة بعير! فقال الفرزدق يفضّلها عليها ويعيِّرها أنها كانت تربيها أمة :

لَجارَيةٌ بَيْنَ السَّلِيْلِ عُروقُها وبَيْنَ أبي الصَّهْبَاءِ مِنْ آلِ خَالِدِ
أَحَقُّ بِغْلاءِ المُهُورِ مِنَ التي رَبَتْ وَهيَ تَنْزو في حُجُورِ الوَلائدِ

وقال أيضاً يمدحها ويعرِّض بالنَّوار:

لَعَمْري لأَعرابَيَّةٌ في مَظَلّةٍ تَظَلُّ بِأَعْلى بَيْتِها الرِّيْحُ تَخْفِقُ
كَأُمِّ غَزَالٍ أَوْ كَدُرَّةِ غَائصٍ إِذا ما أَتَتْ مِثْلَ الغَمامةِ تُشْرِقُ
أَحَبُّ إلينا مِنْ ضِنَاكٍ ضَفَنَّه إذا وُضِعَتْ عَنْها المَراوِحُ تَعْرَقُ))

وعاقبها أيضاً بزواجه رهيمة بنت غنيم، قال أبو الفرج الأصفهاني[١] : ((... تزوج الفرزدق مُضَارَّة للنّوار امرأةً يُقال لها رُهَيْمة بنت غنيم بن درهم من اليرابيع ...)).

وغايظها ايضاً بمدح هذه الضرة بقوله يفضلها عليها مستغلاً انتماءها لليرابيع حفدة الحارث بن عباد : [٢]

أَراهَا نُجُومَ اللَّيْلِ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ زِحَامُ بَناتِ الحَارِثِ بْنِ عُبَادِ
نِسَاءٌ أَبُوهُنَّ الأَغَرُّ، ولَمْ تَكُنْ مِنَ الحُتِّ في أَجْبَالِها وَهَدَادِ
....
أَبُوهَا الذَّي أَدْنَى النَّعَامَةَ بَعْدَمَا أَبَتْ وَائِلٌ في الحَرْبِ غَيْرَ تَمَادِ[٣]
عَدَلَتْ بِهَا مَيْلَ النَّوار فَأَصْبَحَتْ وَقَدْ رَضِيَتْ بالنِّصْفِ بَعْدَ بِعَادِ

وعاقب محمد بن بشير الخارجي زوجته بالإقامة عند ضرتها؛ قال أبو الفرج الأصفهاني[٤] : ((... كان الخارجي معجباً بزوجته سُعدى، وكانت من أسوأ الناس خُلقاً،

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج٩، ص ٢٣٤.
(٢) الفرزدق: الديوان، ، ص ١٢٤.
(٣) النعامة: هي فرس الحارث بن عباد.
(٤) الأصفهاني: نفسه ، ج١٦، ص٣٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأشدّه على عشير، فكان يلقى منها عَنتاً. فغاضبها يوماً لقوله آذته به، واعتزلها، وانتقل إلى زوجته الأخرى، فأقام عندها ثلاثاً ...)).

ويتأكد الأثر السلبي للتعدد في الحياة الزوجية في المجتمع الأموي مما جرى بين محمد بن بشير الخارجي وزوجته بعد أن تزوج عليها بسبب هرمها وكبر سنها؛ قال أبو الفرج الأصفهاني[١]: ((... تزوج الخارجي جارية من بني ليث شابة،وقد أسن وأسنت زوجته العدوانية فضربت دونه حجاباً، وتوارت عنه، ودعت نسوة من عشيرتها، فجلسن عندها، يلهون ويتغنَّين بالدفوف ، وعرف ذلك محمد فقال:

لَئِنْ عَانِسٌ قَدْ شَابَ ما بَيْنَ قَرْنِها إلى كَعْبِها وَأَبْيَضَ عنها شَبَابُها
صَبَتْ في طِلابِ اللَهْوِ يَوْماً وَعَلَّقَتْ حِجاباً لَقَدْ كانَتْ يَسيْراً حِجابُها
لَقَدْ مُتِّعَتْ بالعَيْشِ حَتىّ تَشَعَّبَتْ مِنَ اللَهْوِ إِذْ لا يُنْكِرُ اللَهْوَ بَابُها
فَبِيْني بِرَغْمٍ ثُمَّ ظَلِّي فَرُبَما ثَوى الرَغْمُ مِنْها حَيْثُ يَثْوي نِقَابُها
لِبَيْضَاءَ لَمْ تُنْسَبْ لِجَدٍّ يَعيْبُها هِجانٍ وَلَمْ تَنْبَحْ لِئيْماً كِلابُها
تَأَوّدُ في المَمْشي كأَنَّ قِنَاعَها على ظَبْيَةٍ أَدْماءَ طَابَ شَبَابُها
مُهَفْهَفَةُ الأَعْطَافِ خَفّاقَةُ الحَشَى جَمِيْلٌ مُحيّاها قَلِيْلٍ عِتَابُها))

ويقود الحديث السالف عن تعدد الزوجات وأثره السلبي في الحياة الزوجية إلى الحديث عن علاقة الضرائر المبنية على الغيرة، ومحاولة نيل الضرائر من بعض ، وتعمد السخرية من الضرة أمام الزوج، ومن أمثلة ذلك محاولة عائشة بنت طلحة تنفير زوجها عمر بن عبيد الله بن معمر... بن مـــرة من ضرتها بالسخرية منها أمامه، قـــال البلاذري: [٢]((وكانت عائشة بنت طلحة تقول لعمر : أي اليومين كان أشد عليك؟ يوم أبي فديك أو يوم فارقت رملة؟ فيضحك . ويقال إنها قالت : أو يوم كنت تزور فيه رملة فترى خلقتها وعظم أنفها ؟)).

(١) المصدر نفسه: ج١٦،ص٣٥١.

(٢) البلاذري: أنساب، ج٧ ، ص ٣١٨٦-٣١٨٧ . وأبي فديك خارجيٌّ خرج علي عبد الملك بن مروان سنة أربع وسبعين؛ فانتدب عمر بن عبيد الله بن معمر ... بن مرة لقتاله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسخرت النّوار زوجة الفرزدق من ضرتها حدراء بنت زريق مبينة عيوبها الخلقية، وصفاتها القبيحة، قال أبو الفرج الأصفهاني [١]: (... فتزوج عليها حدراء بنت زريق بن بسطام بن قيس ... بن شيبان ، فتزوجها على مائة من الإبل . فقالت له النّوار: ويلكَ! تزوجت أعرابية دقيقة الساقين بوّالة على عقبيها على مائة بعير ؟!...)).

٦- التسري وأثره السلبي:

ولم يكن غضب الزوجة وغيرتها على زوجها في المجتمع الأموي بسبب ضرتها فقط؛ بل كانت علاقتها معه تسوء أيضاً بسبب غيرتها من الجواري اللائي يملكهن، قال أبو الفرج الأصفهاني[٢]: ((ذُكر أن زيد بن عمرو بن عثمان العثماني خرج إلى مال له مغاضباً لسكينة، وعمر بن عبد العزيز يومئذٍ والي المدينة، فأقام سبعة أشهر، فاستعدته سكينة على زيد، وذكرت غيبته مع ولائده سبعة أشهر وأنها شرطت عليه أنه إن مس امرأة، أو حال بينها وبين شيء من ماله، أو منعها مخرجاً تريده فهي خلية، فبعث إليه عمر فأحضره، وأمر ابن حزم أن ينظر بينهما ... فقال لها ابن حزم: يا ابنة الحسين، إن الله عز وجل يحب القصد في كل شيء، فقالت له: وما أنكرت مني، إني وإياك والله كالذي يرى الشعرة في عين صاحبه، ولا يرى الخشبة في عينه ... ثم أحضرنا زيداً، فكلَمّها وخضع لها، فقالت: ما أعرفني بك يا زيد، واللهِ لا تراني أبداً، أتراك تمكث مع جواريك سبعة أشهر لا تقربهن؟ املأ عينك الآن مني، فإنك لا تراني بعد الليلة أبداً، وجعلت تردد هذا القول ومثله ... ثم حكم بينهما بأن سكينة إن جاءت ببينة على ما ادّعته، وإلا فاليمين على زيد. فقامت وقالت لزيد: يا ابن عثمان، تزوّد مني بنظرة، فإنك واللهِ لا تراني بعد الليلة أبداً ...)).

وقرّعت زوجة أبي الأسود الدؤلي زوجها بسبب جارية اشتراها؛ متذرعة لإخفاء غيرتها منها بإتلافه لمال أهله وولده دون إكتراث لمستقبلهم؛ فرد عليها قائلاً : [٣]

أَفَاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ لَوْمي فَإِنّما أُمَتِّعُ نَفْسَاً، قَدْ أُحِمَّ انطِلاقيا
تقولُ : حَمَلْتَ الدَّيْنَ عَيْناً ، وَعامِداً تَعَجَّلْتَ مَالي وادَّكَرْتُ خِلافيا
فَإِنْ كُنْتِ إِبقاءً أَرِدْتِ فَأَقْصِري عَلَيْكِ العنا تَبْقِيْنَ مَا كانَ بَاقِيا

(١) الأصفهاني : الأغاني ، ج٩، ص ٢٢٦-٢٢٧.
(٢) الأصفهاني : الأغاني ، ج١٦ ، ص ٣٧٠.
(٣) أبو الأسود الدؤلي: الديوان، محمد حسن آل ياسين، دار مكتبة الهلال، بيروت ، ص ١٣٣-١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَفَاطِمَ مَا تُغْنِيْنَ فِيْما يَنُوبُني إِذا صَعَّدتْ حَتّى تَمُسَّ التَّراقِيا
وَقَدْ أَرْسَلوا فُرّاطَهمْ فَتأَثَّلُوا قَلِيْباً نَزُوعاً لا تَبُلُّ العَراقيا
وَأَمْسى الأُلى كانوا يُحِبونَ صُحْبَتي أَحَبُّوا وَلَمْ أُذْنِبْ إِلَيْهِمْ فِراقيا

٧- مجون الزوج وأثره:

لامت بعض النساء في المجتمع الأموي أزواجهن على شرب الخمر فأدى هذا اللوم إلى حدوث جفوة بين الزوجين؛ صورها الشعراء في قصائد عبّروا فيها عن عدم تفهم زوجاتهم لوجهة نظرهم في هذا الموضوع، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله الأقيشر الأسدي رداً على لوم زوجته له بسبب تناوله الخمر : (١)

تَقُولُ: يا شَيْخُ أَمَا تستحِي مِنْ شُرْبِكَ الخَمْرَ على المَكْبَرِ
فَقُلْتُ: لَوْ باكَرْتِ مَشمُولَةً صَهْبَا كَلَوْنِ الفَرَسِ الأَشْقَرِ
رُحْتِ وفي رِجْلَيكِ عُقَّالَةٌ وَقَدْ بدا ... مِنَ المِئْزرِ

وقال ابنُ هَرْمَةَ لامرأته وقد عاتبته لشربه النبيذ: (٢)

لا نَبْتَغي لَبَنَ البَعِيْرِ وَعِنْدَنا مَاءُ الزَّبِيْبِ وَناطِفُ المِعْصارِ

٨- هجاء الزوجة:

كشف هجاء الأزواج زوجاتهم عن جانب آخر من الجوانب السلبية في الحياة الزوجية في المجتمع الأموي؛ إذ كان بعض الأزواج يهجون زوجاتهم ليعبروا عن كرههم لهن، ومللهم من طول عشرتهم معهن، وذهاب جمالهن بتأثير هرمهن وطعونهن في السن، وسوء أخلاقهن ، روى أبو الفرج الأصفهاني(٣) ((أن ابن أبي الزوائد كانت عنده امرأة أنصارية، فطال لبثها عنده حتى مَلَّها وأبغضها، فقال يهجوها:

يَا رَمْلُ أَنْتِ الغُولُ بَيْنَ رِمَالِ لَمْ تَظْفَرِي بِبُقّى وَلاَ بِجَمَالِ
يَا رَمْلُ لَوْ حُدِّثْتُ أَنَّكِ سَلْفَعٌ شَوْهاءُ كاالسِّعْلاةِ بَيْنَ سَعَالِي))

---

(١) الأقيشر الأسدي: الديوان، محمد علي دقة، دار صادر، بيروت، ص٧٧-٧٨.

(٢) ابن هَرْمة: شعره، محمد نفاع وحسين عطوان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ص ١٢٦.

(٣) الأصفهاني: الأغاني: ج١٤، ص٣٣٥. وانظر ترجمة ابن أبي الزوائد: المصدر نفسه، ج١٤،ص .
والسلفع : الصخّابة البذيئة السيئة الخُلق. والسعلاة: أخبث الغيلان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهجا جِرانُ العَوْدِ زوجته معبّراً عن عدم سعادته معها، ومصوّراً قبح منظرها، وقلة اهتمامها بأنوثتها، فقال: (١)

مَنْ كَانَ أَصْبَحَ مَسْروراً بِزَوْجَتِهِ ... مِنَ الأَنَامِ فَإِنّي غَيْرُ مَسْرورِ
كَأَنَّ في البَيْتِ بَعْدَ الهُدْءِ رَاصِدَةٌ ... غُوُلاً تَصَوّرُ في كُلِّ التَصَاوِيرِ
شَوْهَاءُ وَرْهَاءُ مَسْنونٌ أَظَافِرُها ... لَمْ تُلْفَ إلا بِشَعْرٍ غَيْرَ مَضْفُورِ
مَشْؤُومَةُ الوَجْهِ نَحْسٌ لا تُفَارِقُهُ ... كَأَنّها دَبْقَةٌ في رِيَشِ عُصْفُورِ
كَأَنّني حَيْنَ أَلْقى وَجْهَها بَكِراً ... أَهْوي إِلى اللَّيْلِ يَوْمي ذاكَ في بِيْرِ

وقال عمّار ذو كبار يهجو زوجته، ويصوّر سوء طباعها: (٢)

إِنَّ عِرْسي لا هَداها الله بِنْتٌ لِربَـــاحِ
كُلَّ يَوْمٍ تُفْزِعُ الجُلاّسَ مِنْها بالصِيَــاحِ
ولَهَا لَوْنٌ كَداجِي اللَيْلِ مِنْ غَيْرِ صَباحِ
ولِسانٌ صَارِمٌ كالسّيْفِ مَشحوذَ النَواحي
عَجّلَ الله خَلاصي مِنْ يَدَيْها وَسَراحـــي

وهجا ابن عبدل زوجته فقال : (٣)

أَعَاذِلَتَّي مِنْ لَوْمٍ دَعاني ... أَقِلاّ اللَوْمَ إِنْ لَمْ تَعْذِراني
فَإِنّي قَدْ ذُلِلْتُ علي عَجُوزٍ ... مُبَرْقَعَةٍ مُخَضّبَةُ البَيانِ
تَغَصّنَ جِلْدُها واخْضَرّ إِلا ... إِذا ما ضُرِّجَتْ بالزَعْفرانِ

٩- الطلاق وأسبابه :

إن الطلاق لا يعد جانباً سلبياً في الحياة الزوجية لأنه مباح شرعاً؛ ولكن آثاره في الحياة هي السلبية؛ إذ هو إنهاء للرابطة بين الزوجين، وقد وقع الطلاق في المجتمع الأموي لإسبابٍ منها:

أ- التحريض:

---

(١) البصري : الحماسة البصرية، مختار الدين أحمد ،عالم الكتب، بيروت، ج٢ ، ص٣٠٨.

(٢)الأصفهاني : الأغاني ، ج٢٤، ص ٣٣٦. وابن أبي الفرج: الحماسة البصرية ، ج٢ ، ص ٣١٣. وانظر ترجمة عمّار ذي كِبار : الأصفهاني : نفسه ، ج٢٤، ص ٣٣٣.

(٣) الأَصفهاني : نفسه ، ج٢، ص ٦١٢ – ٦١٣. وانظر ترجمة ابن عبدل : المصدر نفسه : ج٢ ، ص ٦٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقع الطلاق في المجتمع الأموي بسبب تحريض إحدى الزوجات على الأخرى، ومن أمثلة ذلك تطليق القتّال الكلابي زوجته بنت ورقاء بن الهيثم بسبب تحريض زوجته الأخرى له على ذلك؛ قال أبو الفرج الأصفهاني[١] : ((كانت عند القَتَّال بنت ورقاء بن الهيثم ... وكـــان جاراً لبني الحصين بن الحويرث بن كعب بن عبد بن أبي بكر، وكانت لها ضَرَّةٌ عنده يقال لها أُم رياح بنت ميسرة بن نفير بن الهصّان، وهي أُمُّ جنوب بنت القتّال؛ فخرج القتّال في سفر له، فلمّا آب منه أقبل حين أناخ إلى أهله، فوجد عند بنت ورقاء جرير بن الحُصين، فلمّا رأى جرير القتّال نهض، فسأل القتّال عنه، فقالت له امرأته أم رياح - وهي صفية ويقال صفيفة بنت الحارث بن الهصّان -: إن هذا البيت لبيتٌ لا نزال نسمع فيه ما لا يعجبنا! فطلقها القتال وهي حامل، فولدت له بعد طلاقها المُسَّيب ابنه... فقال القتّال في ذلك:

وَلَمّا أَنْ رَأَيْتُ بَنِي حُصَيْنٍ بِهِمْ جَنَفٌ إلى الجارات بادِ
خَلَعْتُ عِذارها وَلِهْيتُ عَنْها كما خُلِعَ العِذَارُ مِنَ الجَوادِ
وَقُلْتُ لَها: عَلَيْكِ بَنِي حُصَيْنٍ فَمَا بَيْني وَبَيْنَكِ مِنْ عُوّادِ))

وطلّق أعشى هَمْدان زوجته أُمُّ الجَلال باشتراط وتحريض من امرأة طلب خطبتها؛ قال أبو الفرج الأصفهاني[٢] : ((... كانت عند الأعشى امرأةٌ من قومه يقال لها أُمُّ الجَلاَل، فطالت مدتها معه وأبغضها، ثم خطب امرأة من قومه يقال لها جَزْلة- وقال الأصمعي: خولة - فقالت له : لا، حتى تُطلِّق أُمَّ الجلال؛ فطلَّقها؛ وقال في ذلك:

تَقَادَمَ وَدّكِ أُمَّ الجَلالِ فَطَاشَتْ نِبَالُكِ عِنْدَ النِّصَالِ
وَطَالَ لُزُومُكِ لي حِقْبَةً فَرَثّتْ قُوَى الحَبْلِ بَعْدَ الوِصَالِ
وَكَانَ الفُؤَادُ بِها مُعْجَباً فَقَدْ أَصْبَحَ اليَوْمَ عَنْ ذَاكَ سَالِي
صَحَا لا مُسِيْئاً وَلاَ ظَالِماً وَلَكِنْ سَلاَ سَلْوَةً في جَمالِ
وَرُضْتِ خَلائِقَنا كُلِّها وَرُضْنا خَلائِقَكُمْ كُلَّ حَالِ
فَأَعْيَيْتِنا في الذِّي بَيْنَنا تَسُومِينَني كُلَّ أَمْرٍ عُضَالِ
وَقَدْ تَأْمُرِيْنَ بِقَطْعِ الصَدِيقِ وَكَانَ الصَدِيْقُ لَنا غَيْرَ قَالي
وإتْيَانِ ما قَدْ تَجَنَّبَتُهُ وَلِيْداً وَلُمْتُ عَلَيْهِ رِجالي

(١) المصدر نفسه: ج٢٤، ص ٣١٠-٣١١.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج٦، ص٣٢٦-٣٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَفَا الْيَوْمَ أَرْكَبُهُ بَعْدَمَا عَلاَ الشَّيْبُ مِنِّي صَمِيْمَ القَذَالِ
لَعَمْرُ أَبِيْكِ لَقَدْ خِلْتِني ضَعِيْفَ القُوَى أَوْ شَدِيْدَ المِحَالِ
هَلُمِّي اسْأَلي نائلاً فَانْظُري أَأَحْرِمُكِ الخَيْرَ عِنْدَ السُؤَالِ
أَلَمْ تَعْلَمي أَنّني مُعْرِقٌ نمَاني إلى المَجْدِ عَمّي وَخَالي
وَأَنّي إِذا ساءَني مَنْزِلٌ عَزَمْتُ فَأَوْشَكْتُ مِنْهُ ارْتِحالي
فَبَعْضَ العِتَابِ، فَلا تَهْلِكي فَلاَ لَكِ في ذاكَ خَيْرٌ وَلاَ لي
فَلَمّا بَدا لِيَ مِنْها البَذا ءُ صَبّحْتُهَا بِثلاثٍ عِجَالِ
ثَلاثاً خَرَجْنَ جَمِيْعاً بِها فَخَلَّيْنَها ذَاتَ بَيْتٍ وَمَالِ
إِلى أَهْلِها غَيْرَ مَخْلُوعَةٍ وَمَا مَسّها عِنْدَنا مِنْ نَكَالِ
فَأَمْسَتْ تَّحِنُّ حَنِيْنَ اللِّقا حِ مِنْ جَزَعٍ إِثْرَ مَنْ لا يُبَالي
فَحِنِيِّ حَنِيْنَكِ وَاسْتَيْقِني بِأَنّا أَطَّرَحْنَاكِ ذات الشِمالِ
وَأَنْ لا رُجُوعَ فَلا تُكْذبيـ ـنَ مَا حَنَّتْ النِّيْبُ إِثْرَ الفِصَالِ
وَلا تحْسَبيني بِأَنّي نَدِمْـ ـتُ كَلاّ وَخَالِقَنا ذي الجَلالِ))

ب- نشوز الزوجة وسوء أخلاقها:

كان نشوز الزوجة وسوء أخلاقها سبباً مباشراً لتطليقها في المجتمع الأموي، فعلى سبيل المثال طُلِّقت حميدة بنت النعمان بن بشير من أزواجها بسبب سوء أخلاقها معهم، ونشوزها الدائم عليهم. (١)

وطلّق الفرزدق زوجته رهيمة بنت غني بسبب نشوزها، وصوّر هذا النشوز في أبيات رواها أبو الفرج الأصفهاني فقال(٢) : ((... نشزت رُهيّمة بنت غنيّ بن درهم النَّمريّة بالفرزدق فطلَّقها، وقال يهجوها:

لا يَنْكِحَنْ بَعْدي فَتَـى نَمرِيّةً مُرَمَّلَةً مِنْ بَعْلِهَا لِبِعَادِ (١)

---

(١) انظر في طلاقها من الحارث بن خالد بن العاصي: البلاذري: أنساب، ج٦، ص ٢٦٢٧-٢٦٢٨. وابن طيفور: بلاغات النساء، ص ١٨٧. والأصفهاني: الأغاني، ج٩،ص١٥٥، و ج١٦، ص ٣٠٤. وطلاقها من روح بن زنباع للسبب ذاته: ابن طيفور : نفسه، ص ١٨٣-١٨٥ . وابن عبد ربه: العقد ، ج٧، ص١٠٨. والأصفهاني: نفسه، ج٩، ص ١٥٦-١٥٥. وابن قيم الجوزية: أخبار النساء، ص٥٣.

(٢) الأصفهاني: نفسه، ج٢١، ص ٢٠٧. وانظر كذلك الفرزدق: الديوان، ص ١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَبَيْضَاءَ زَعْرَاءَ المَفَارِقِ شَخْتَةً مُوَلَّعَةً في خُضرَةٍ وسَوَادِ[٢]
لِها بَشَرٌ شَثْنٌ كأَنَّ مَضمَّهُ إذا عَانَقَتْ بَعْلاً مَضَمُّ قَتَّادِ[٣]
قَرَنْتُ بِنَفْسي الشُؤْمَ في وِرْدِ حَوْضِها فَجُرِّعْتُهُ مِلْحاً بِمَاءِ رَمَادِ
وَمَا زِلْتُ حَتّى فَرَّقَ اللهُ بَيْنَنا لَهُ الحَمْدُ مِنْها في أذًى وَجِهادِ
تُجَدِّدُ لي ذِكْرَى عَذَابِ جَهَنَّمِ ثَلاثاً تُمَسّيني بِهَا وتُغادي))

وطلّق أبو الأسود الدؤلي زوجته لسوء أخلاقها وعشرتها، وكذبها عليه، قال أبو الفرج الأصفهاني[٤]: ((... كان أبو الأسود يجلس إلى فناء امرأة بالبصرة، فيتحدث إليها، وكانت برزة جميلة، فقالت له: يا أبا الأسود، هل لك في أن أتزوجك؟ فإني صنَاع الكف، حسنة التدبير، قانعة بالميسور. قال: نعم، فجمعت أهلها فتزوجته، فوجد عندها خلاف ما قدّره، وأسرعت في ماله، ومدت يدها إلى خيانته، وأفشت سره، فغدا على من كان حضر تزويجه إياها، فسألهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا، فقال لهم:

أَرَيْتَ أَمْراً كُنْتُ لَمْ أَبْلُهُ أَتَاني فَقَالَ اتّخِذْنِي خَلِيْلا
فَخَالَلْتُهُ ثُمَّ أَكْرَمْتُهُ فَلَمْ أَسْتَفِدْ مِنْ لِيْنِه فَتِيْلا
وَأَلْفَيْتُهُ حِيْنَ جَرَّبْتُهُ كَذُوبَ الحَدِيثِ سَرُوقاً بَخِيْلا
فَذَكّرْتُهُ ثُمَّ عَاتَبْتُهُ عِتاباً رَفِيْقاً وَقَوْلاً جَمِيْلا
فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ وَلاَ ذَاكِرَ اللهِ إلا قَلِيْلا
أَلَسْتُ حَقِيْقاً بِتَوْدِيْعِهِ وَإِتْبَاعِ ذَلِكَ صَرْماً طَوِيْلا

فقالوا: بلى واللهِ يا أبا الأسود! قال: تلك صاحبتكم، وقد طلقتها لكم، وأنا أحب أن استر ما أنكرته من أمرها؛ فانصرفت معهم)).

جـ - الطلاق بطلب من الزوجة.

---

(١) مرملة لبعاد: لم يمت عنها زوجها، ولكنه فارقها.

(٢) بيضاء: يريد بياض البرص لا بياض الجمال. وزعراء المفارق: قليلة الشعر. وشختة: نحيفة.

(٣) لها بشر شثن : لها جلد خشن غليظ.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص ٤٩٠. وامرأة صناع اليدين: حاذقة ماهرة بعمل اليدين. أَرَيْتَ: أصله أرأيتَ بمعنى أخبرني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووقع الطلاق في المجتمع الأموي بطلب الزوجة ، ومن أمثلة ذلك تطليق محمد ابن بشير الخارجي زوجته بناءً على طلبها؛ قال أبو الفرج الأصفهاني[١] : ((... كان الخارجّي قدم البصرة، فتزوج بها امرأة من عَدْوان، كانت موسرة، فأقام عندها بالبصرة مدة، ثم توخم البصرة فطالبها بأن ترحل معه إلى الحجاز، فقالت: ما أنا بتاركة مالي وضيعتي ههنا تذهب وتضيع، وأمضي معك إلى بلد الجدب والفقر والضيق، فإما أن أقمت ها هنا أو طلقتني. فطلّقها وخرج إلى الحجاز ...)).

وطلبت ليلى زوجة معن بن أوس الطلاق للسبب ذاته فأجابها إلى طلبها، قال أبو الفرج الأصفهاني [٢]: ((... ثم إن ليلى رحلت إلى مكة حاجَّة ومعن معها. فلما فرغا من حجِّتهما انصرفا. فلمّا حاذيا منعرج الطريق إلى عَمْقٍ قال معن: يا ليلى، كأن فؤادي ينعرج إلى ما ها هنا. فلو أقمت سنتنا هذه حتى نحج من قابل ثم نرحل إلى البصرة؛ فقالت : ما أنا ببارحة مكاني حتى ترحل معي إلى البصرة أو تطلقني. فقال. أمّا إذا ذكرت الطلاق فأنت طالق . فمضت إلى البصرة، ومضى إلى عمق ...)).

وطلبت زوجة المتوكل الليثي الطلاق منه لأنها كانت مقعدة عاجزة فأجابها إلى طلبها، قال أبو الفرج الأصفهاني[٣]: ((... كانت للمتوكل بن عبد الله الكناني امرأة يقال لها رهيمة - ويقال أميمة - وتُكنى أُمَّ بكر، فَأُقعِدت، فسألته، فقال : ليس هذا حين طلاق . فأبت عليه، فطلّقها ...)).

د- الطلاق التعسفي :

يعد الطلاق التعسفي من أكثر جوانب الحياة الزوجية سوءاً؛ بسبب الظلم الذي يقع على المرأة دون ذنب منها، وهو في الوقت نفسه يمثّل استغلال الرجل لحقه الشرعي منساقاً وراء موقف انفعالي ، وقد وقع هذا النوع من الطلاق في المجتمع الأموي عند خاصة الناس وعامتهم؛ ومن أمثلة ذلك تطليق الحجاج زوجته هنداً بنت المهلب، لأنها

---

(١) المصدر نفسه: ج١٦ ، ص ٣٤٧.

(٢) نفسه: ج١٢، ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج١٢ ، ص ٣٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بكت لصياح شقيقها في التعذيب؛ قال الطبري[١]: ((... خرج الحجاج إلى رُستُقْباذ للبعث لأن الأكراد كانوا قد غلبوا على عامة أرض فارس، فخرج بيزيد وبإخوته المفضل وعبد الملك حتى قدم بهم رستقباذ فجعلهم في عسكره في فسطاطٍ قريباً من حجرته، وجعل عليهم حرساً من أهل الشأم، وأغرمهم ستة آلاف ألف، وأخذ يعذبهم، وكان يزيد يصبر صبراً حسناً، وكان الحجاج يغيظه ذلك؛ فقيل له أنه رمُي بنشابة فثبت نصلها في ساقه فهو لا يمسها شيء إلا صاح، فإن حُرّكت أدنى شيء سَمِعْتَ صوته؛ فأمر أن يعذب ، ويدهق ساقه، فلما فُعل ذلك به صاح وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج، فلما سمعت صياح يزيد صاحت وناحت فطلقّها..)).

وذكر المبرد سبباً آخر لتطليقها، لكنه أوحى ما يرجح أن هذا الطلاق وقع تعسفياً؛ إذ ذكر أنه طلقّها بسبب حلم رآه في نومه؛ يقول[٢]: ((... وكان الحجاج رأى في منامه أن عينيه قُلعتا ، فطلّق الهندين : هِنداً بنت المهلب، وهنداً بنت أسماء بن خارجة، فلم يلبث أن جاءه نَعِيُّ أخيه من اليمن في اليوم الذي مات فيه ابنه محمد ...)) .

ويُوحي الخبر الذي رواه ابن قيم الجوزية عن خالد بن صفوان بشيوع الطلاق التعسفي في المجتمع الأموي إذ يقول [٣]: ((... قال خالد بن صفوان : ما بِتُّ ليلة أَحبُّ إليَّ من ليلةٍ طلقّت فيها نسائي، فأرجع والستور قد هُتكت، ومتاع البيت قد نقل، فبعثت إليَّ بنتي سُليلة فيها طعام، وبعثت الأخرى إليَّ بفراشٍ أنام عليه)).

وطلّق أبو نخيلة زوجته لأنها أنجبت له بنتاً ، قال أبو الفرج الأصفهاني[٤]: ((تزوّج أبو نخيلة امرأة من عشيرته، فولدت له بنتاً، فغمه ذلك ، فطلّقها...)).

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم، دار الفكر، بيروت، ج٨، ص ٧١. وانظر كذلك. أبو مخنف: نصوص من تاريخ، ج٢، ص ٢٣١. والبلاذري: أنساب، ج٨. ص ٣٤٧. وابن الأثير: الكامل في التاريخ ، أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٤ ، ص ٢٥٦.

(٢) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص٣٠٣.وانظر كذلك: اليافعي، مرآة الجنان، ج١، ص١٨٩- ١٩٠.

(٣) ابن قيم الجوزية: أخبار النساء، ص ٣٨.

(٤) الأصفهاني: الأغاني: ج٢٠، ص ٤٨٦. وانظر ترجمة أبو نِخيلة : المصدر نفسه، ج٢٠، ص ٤٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأبوة والبنوة في المجتمع الأموي

١- الجوانب الايجابية في علاقة الآباء بالأبناء:

حرص الآباء في المجتمع الأموي على توجيه أبنائهم؛ من خلال الوصايا التي تنفعهم في جميع شؤون حياتهم؛ فأودعوا خبرتهم وتجربتهم الشخصية بين ثنايا هذه الوصايا؛ ومن أمثلة هذه الوصايا وصية أبي الأسود الدؤلي لابنه أبي حرب بسبب عدم سعيه في طلب الرزق إذ ينصحه بالعمل والسعي وعدم التواكل والتسليم لأحداث الزمان : (١)

وَلاَ تَقْعُدْ عَلى كَسَلِ التَّمَنّي تُحِيلُ على المَقَادِرِ والقَضَاءِ
فَإِنَّ مَقَادِرَ الرَحْمنِ تَجْري بِأَرْزاقِ الرِجَالِ مِنَ السَمَاءِ
مُقَدَّرَةً بِقَبْضٍ أَوْ بِبَسْطٍ وَعَجْزُ المَرْءِ أَسْبابُ البَلاءِ
وَبَعْضُ الرِزقِ في دِعَةٍ وَخَفْضٍ وَبَعْضُ الرِزْقِ يُكْسَبُ بالعَنَاءِ

وأوصى أحد أولاده وصية تؤهله للعيش في مجتمعه باحترام، فدعاه إلى إكرام أصدقائه والإحسان إلى الفقير وابن السبيل، وعدم النميمة بين الناس، والمحافظة على عرضه، وعدم التهور في الحديث، فقال : (٢)

أَكْرِمَ صَدِيْقَ أَبِيْكَ حَيْثُ لَقِيْتَهُ وَاحْبُ الكَرامَةَ مَنْ بَدا فَحَباكَها
وَاكْفِ المَهَمَّةَ مَنْ لَوْ أَنَّكَ مَرَّةً نَزَلَتْ إِلَيْكَ مُهِمَّةٌ لَكَفاكَها
وَإِذا أَتاكَ بَنو السَّبِيْلِ فَأَعْطِهِمْ مِنْ فَضْلِ نِعْمَتِهِ التي أَعْطاكَها
لا تُبْدِيَنَّ نَمِيْمَةً حُدِّثْتَها وَتَحَفَّظَنَّ مِنَ الذّي أَنْباكَها
وَتَرى سَفِيْهَ القَوْمِ يَتْرُكُ عِرْضَهُ دَنساً وَيَمْسَحُ نَعْلَهُ وشِراكَها
خُرْقاً إِذا راضَ الأُمُوْرَ بِنَفْسِهِ مِثْلَ العَدوِّ لها يُرِيْدُ هَلاكَها
لا تُلْقِيَنَّ مَقَالَةً مَشْهُورةً لا تَسْتَطِعُ إِذا مَضَتْ إِدْراكَها

---

(١) أبو الأسود الدؤلي : الديوان ، ص ٣٢٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحين استراب من صديق أحد أولاده وجهه إلى التوسط في الود والكره والحلم والعفو قائلاً : (١)

أَحْبِبْ إِذا أَحْبَبْتَ حُبَّ مُقارِبٍ فَإِنّكَ لا تَدْري مَتى أَنْتَ نَازِعُ
وَأَبْغِضْ إِذا أَبْغَضْتَ بُغْضَ مُقَّارِبٍ فَإِنّكَ لاَ تَدْري مَتى أَنْتَ رَاجِعُ
وَكُنْ مَعْدِناً لِلْحِلْمِ وَاصفَحَ عَنِ الأَذَى فَإِنّكَ راءٍ مَا عَمِلْتَ وَسَامِعُ

وأوصى يزيد بن الحكم الثقفي ابنه بدراً وصية جامعة نصحه فيها بالوفاء لأصدقائه، والمعاملة الحسنة لجاره، وإكرام ضيفه، والحرص على تحصل العلوم النافعة، وتجنب ارتكاب الظلم لما ينجم عنه من عواقب وخيمة، والحرص على البذل والسخاء اللذان يورثان الإنسان مجداً بعد موته، والحرص على الشجاعة في الحرب ومعرفة فنونها؛ فقال: (٢)

يَا بَدْرُ وَالأَمْثَالُ يَضْرِبُها لِذِي اللُّبِ اَلحكِيْمُ
دُمْ لِلْخَلِيْلِ بِوُدِّهِ مَا خَيْرُ وُدٍّ لا يَدُومُ
وَاعْرِفْ لِجَارِكَ حَقَّهُ والحَقُّ يَعرِفُهُ الكَرِيْمُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الضَّيْفَ يَوْ مَاً سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ
وَالنّاسُ مُبْتَنِيانِ: مَحْمُو دُ البِنَايَةِ أَوْ ذَمِيْمُ
واعْلَمْ بُنَيَّ فَإِنَّهُ بالعِلْمِ يَنْتَفِعُ العَلِيْمُ
إِنَّ الأُمُورَ دَقِيْقَها مِمّا يَهِيْجُ لَهُ العَظِيمُ
وَالتّبْلُ مِثْلُ الدَّيْنِ تُقْـ ـضَاهُ وَقَدْ يُلْوَى الغَرِيْمُ(٣)
وَالبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيْمُ
وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ البَعِيْـ ـدُ أَخاً وَيَقْطَعُكَ الحَمِيْمُ
وَالمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْغِنى وَيُهانُ لِلْعَدَمِ العَدِيْمُ
قَدْ يُقْتِرُ الحَوِلُ التَقِيُّ وَيُكْثِرُ الحَمِقُ الأَثِيْمُ

(١) أبو الأسود الدؤلي: الديوان، ص ١٠٤. وانظر كذلك : الأصفهاني: الأغاني، ج٢، ص٤٩٥-٤٩٦.
(٢) التبريزي: شرح ديوان الحماسة، ج٣، ص ١٧٩-١٨٤ . وانظر كذلك: نوري حمودي القيسي: شعراء أمويون، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ق٣، ص ٢٧٢-٢٧٣.
(٣) التبل: الثأر. ويُلوى : يُمْطَل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يُمْلى لذَاكَ وَيُبْتَلَى هذا، فَأَيُّهما المَضِيْمُ (١)
وَالمَرْءُ يَبْخَلُ في الحُقُو قِ وَلِلْكَلالَةِ مَا يَسِيْمُ
مَا بُخْلُ مَنْ هو للمَنو نِ وَرَيْبِها غَرَضٌ رَجِيْمُ
وَيَرى القُرونَ أَمَامَهُ هَمَدوا كَما هَمَدَ الهَشِيْمُ
وَتَخرَّبُ الدُنْيا، فَلا بُؤْسٌ يَدُومُ وَلا نَعِيْمُ
كُلُّ امريءٍ سَتَئِيْمُ مِنْـ ـهُ العِرْسُ أَوْ مِنْها يَئِيْمُ (٢)
مَا عِلْمُ ذي وَلَدٍ أَيُثْـ ـكَلُهُ أَمِ الوَلَدُ اليَتِيْمُ
وَالحَرْبُ صَاحِبُها الصَّلِيـ ـبُ على تَلاتِلِها العَزُوْمُ(٣)
مَنْ لا يَمَلُ ضِراسَها وَلَدى الحَقِيْقَةِ لا يَخِيْمُ
واعْلَمْ بِأَنَّ الحَرْبَ لا يَسْطِيْعُها المَرِحُ السَّوومُ
والخَيْلُ أَجوَدُها المُنا هِبُ عِنْدَ كَبَّتِها الأَزُومُ(٤)

ونصح عروة بن الزبير بن العوام لأولاده فقال(٥) : ((تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قومٍ فعسى أن تكونوا كبار قَوْمٍ آخرين ... الناسُ بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم؛ وإذا رأيتم من رجل خلَّة فاحذروه، واعلموا أن عنده لها أخوات)).

وحين أحس المهلب بن أبي صفرة بدنو أجله جمع أولاده وأوصاهم بخشية الله، وصلة الرحم، والخلق الكريم، كي يحافظوا على مكانتهم في المجتمع، وأوصاهم بمعرفة فنون الحرب ومكائدها التي تضمن لهم تحقيق النصر، وطلب المعارف التي يجب أن يحصلوها لتنفعهم في حياتهم؛ فقال(٦) : ((... أوصيكم بتقوى الله وصلة الرّحم، فإنَّ تقوى

---

(١) يُملى لذاك: يُمد في عمره.
(٢) الأيم: الرجل أو المرأة الذي يفقد زوجته .
(٣) الصليب: القوي .وتلاتل الحرب: شدائدها
(٤) المناهب: الكثير العدو . والكبة : بفتح الكاف : الحملة في الحرب . والأزوم: العضوض
(٥) الجاحظ : البيان والتبيين، ج٢ ، ص ١٨٨.
(٦) المبّرِد: التعازي والمراثي، إبراهيم محمد الجمل، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ص١٥٣-١٥٥. وانظر كذلك : الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص ١٨٨-١٨٩. والطبري : تاريخ الأمم، ج٨، ص ١٩-٢٠. وابن الأثير : الكامل، ج٤، ص ٢٠٨. وأبي الفدا : المختصر في تاريخ البشر، محمد زينهم ورفاقه ، دار المعارف، القاهرة، ج١، ص ٢٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الله تُعْقِب الجنة، وإن صلة الرحم تنسيء في الأجل، وتثري المال، وتجمع الشمل، وتُكثر العدد، وتُعَمِّر الديار، وتُعِّز الجانب. وأنهاكم عن معصية الله، فإنها تُعقب النار، وإن قطيعة الرحم تورث القلة والذِّلة، وتُفِّرق الجمع، وتَذرُ الديار بلاقع، وتُذهِب المال، وتُطمع العدوَّ، وتبدي العورة. يا بَنَّي، قومكم قومكم! إنه ليس لكم فضلٌ عليهم بل هم أفضل منكم إذ فضَّلوكم وسوّدوكم ووطّؤوا أعقابكم. وبلغوا حاجتكم فيما أردتم، وأعانوكم، فلهم بذلك حقٌ عليكم، وبلاء عندكم ولا تؤدَّن شكره، ولا تقومون بحقه، فإن طلبوا فأطلِبُوهم، وإن سألوا فأعطوهم، وإن لم يسألوا فابتدئوهم، وإن شتموا فاحتملوهم، وإن غشوا أبوابكم، فلتُفتح لهم ولا تُغلق دونهم. يا بنّي! إنّي أحب للرجل منكم أن يكون لفعله الفضل على لسانه، وأكره للرجل منكم أن يكون للسانه على فعله. يا بني، اتقوا الجوابَ، وزلَّة اللسان، فإني وجدتُ الرجل تَعْثُرُ قدمه فيقوم من زلَّته، وينتعش منها، ويزِلُّ لسانه فيوبقه، وتكون فيه هَلَكَتَه. يا بنيَّ! إذا غدا عليكم رجل أو راح فكفى بذلكم مسألة وتذكرة بنفسه. يا بنيّ! أحبُّوا المعروف، واكرهوا المنكر واجتنبوه، وآثروا الجود على البُخل، واصطنعوا العرب وأكرموهم، فإن العربيَّ تِعدُه العِدةَ فيموت دونك ويشكر لك، فكيف بالصنيعة إذا وصلت إليه في احتماله لها، وشكره والوفاء لصاحبه. يا بنيَّ ! سوِّدوا أكابركم واعرفوا فضل ذوي أسنانكم تعظموا بذلك، وارحموا صغيركم وقربوه وألطفوه، واجبروا يتيمكم وعودوا عليه بما قدرتم، وخذوا على يَدَيْ سفهائكم، وتعاهدوا فقراءكم وجيرانكم بما قدرتم عليه، واصبروا للحقوق، ونوائب الدهر. وعليكم في الحرب بالأناة، والتؤدة في اللقاء، وعليكم بالتماس الخديعة في الحرب لعدوكم، وإياكم والنزق والعجلة، فإن المكيدة والأناءة والخديعة في الحرب أنفع من الشجاعة، واعلموا أن القتال والمكيدة مع الصبر، فإذا كان اللقاء تُرك القضاء، فإن ظفر امرؤ وقد أخذ بالحزم قال القائل: قد أتى الأمر من وجهه، وإن لم يظفر قال : ما ضيّع ولا فرّط، ولكن القضاء غالب. والزموا الحزم على أي الحالتين وقع الأمر، والزموا الطاعة والجماعة، وإياكم والخلاف تواصلوا وتآزروا وتعاطفوا فإن ذلكم يثبت المودة. وخذوا فيما أوصيتكم به بالجد والقوة والقيام به تظفروا بدنياكم ما كنتم فيها؛ وبآخرتكم إذا صِرتم إليها، ولا قوة إلا بالله . وليكن أول ما تبدؤون به أنفسكم إذا أصبحتم تعليم القرآن والسنن والفرائض، وتأدبوا بآداب الصالحين من قبلكم مِن سلفكم، ولا تُقاعدوا أهل الدعارة والرِّيبة، ولا يطمع في ذلك منكم طامع. وإياكم والخفة في مجالسكم وكثرة الكلام، فإنه لا يسلم منه صاحبه، وأدّوا حق الله عليكم، فإني قد أبلغت إليكم وصيتي، واتخذت لله الحجة عليكم)).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تكن هذه الوصايا تقتصر على الذكور من الأبناء بل وجهها بعض الآباء إلى بناتهم ومن ذلك قول أبي النجم العِجْلي يوصي ابنته: (١)

أَوصِيْكِ يا بِنْتي فإِنِّي ذَاهِـــــبُ
أُوصِيْكِ أَنْ يَحْمَدَكِ الأَقَـــــارِبُ
والجَارُ والضّيْفُ الكَرِيْمُ السَّاغِبُ
لا يُرْجَعُ المِسْكِيْنُ وَهْوَ خَائِـــبُ

وأوصى بعض الآباء بناتهم ليلة زفافهن مبينين لهن الطريقة المثُلى للتعامل مع أزواجهن، ومن ذلك ما وصّى به أسماء بن خارجة الفزاري ابنته ليلة زفافها فقال(٢) :((يا بُنَيَّةُ، إنّ الأمهات يؤدِّبن البنات، وإن أمَّكِ هلكت وأنت صغيرة، فعليكِ بأطيب الطِّيب الماء، وأحسن الحُسن الكُحل، وإياكِ وكثرة المعاتبة، فإنها قطيعة للودّ، وإياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وكوني لزوجكِ أمة يكن لكِ عبداً، واعلمي أني القائل لأمك:

خُذِي العَفْوَ مِنّي تَسْتَدِيْمي مَوَدَّتي وَلاَ تَنْطِقي في سَوْرَتي حِيْنَ أَغْضَبُ
وَلا تَنْقُرِيْني نَقْرة الدُّفِّ مَرّةً فَإِنّكِ لا تَدْرِيْنَ كَيْفَ المُغَيَّبُ
فَإِنّي وَجَدْتُ الحُبَّ في الصَدْرِ والأَذَى إِذا اجْتَمعا لَمْ يَلْبثِ الحُبُّ يَذْهَبُ))

وكان موت الأبناء من أكبر المصائب التي يبتلى بها الآباء ، فيتعمقهم الألم الممض، ويستبد بهم الحزن العميق لفقدهم فلذات أكبادهم وشقائق أنفسهم، وقد عبر بعض الآباء في المجتمع الأموي عن فجيعتهم عند موت أبناءهم بقصائد مؤثرة ومن ذلك قول يزيد بن الحكم يرثي ابنه عنبساً راجياً من الله أن يتولاه برحمته، وأن يشمله بمعونته، ويثيبه خير الثواب لأنه كان ابناً باراً بأبيه مردداً أن الله اختاره إلى جواره وأنه يحتسبه عند الله، ذاكراً أنه كان شديداً حازماً في مواطن الشدة والحزم، حكيماً حليماً في مواطن الحكمة والحلم فقال: (٣)

جَزَى اللهُ عَنّي عَنْبَساً كُلَّ صَالِحٍ إِذا كَانَتِ الأَوْلادُ سَيِّئاً جَزاؤُها

(١) أبو النجم العجلي: الديوان، سجيع الجبيلي، دار صادر، بيروت، ص ٤١-٤٢.

(٢) الأصفهاني : الأغاني، ج ٢٠، ص ٤٥٧. وانظر كذلك : ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق، ج٩، ص٥٧. وأحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ج٢، ص ٥٠٧. وقد وردت هذه الوصية في ديوان أبي الأسود الدؤلي: ص ٣٨١ على أنها له يوصي بها ابنه.

(٣) الأصفهاني : نفسه، ج١٢ ، ص ٤٧٣. وانظر كذلك : نوري حمودي القيسي، شعراء أمويون، ق٣ ص ٢٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هُوَ ابْني وَأَمْسى أَجْرُهُ لي وَعَزَّني على نَفْسِهِ رَبٌّ إِلَيْهِ وَلاؤُها
جَهُولٌ إذا جَهْلُ العَشِيْرةِ يُبتَغى حَلِيْمٌ وَيَرْضى حِلمَهُ حُلَماؤُها

وعبر الفرزدق عن حزنه العميق على موت ولديه فقال يرثيهم مصوراً وحشة القبر الذي سكناه : (١)

أَبَى الحُزْنُ أَنْ أسلى بَنِيَّ وَسَوْرَةٌ أَرَاهَا إِذا الأَيْدِي تَلاَقَتْ غِضَابُهَا
وَمَا ابْنَايَ إِلاّ مِثْلُ مَنْ قَدْ أَصَابَهُ حِبَالُ المَنَايَا مَرُّهَا وَاشْتِعَابُهَا (٢)
ثَوَى ابْنَايَ في بَيْتَيْ مُقَامٍ كِلاَهُمَا أَخِلَّتُهُ عَنِّي بَطِيءٌ ذَهَابُهَا(٣)
وَمَحْفُورَةٍ لاَ مَاءَ فِيها مَهِيْبَةٍ يُغَطّي بِأَعْوَادِ المَنِيَّةِ نَابُها
أَنَاخَ إِلَيْها ابْنَايَ ضَيْفَيْ مَقَامَةٍ إلى عُصْبَةٍ مَا تُسْتَعَارُ ثِيَابُهَا

ويقول أن موتهما هد ركنه، وأنه أقام بعدهما ينتظر أجله : (٤)

فَلَمْ أَرَ حَيّاً قَدْ أَتى دُوْنَ نَفْسِهِ مِنَ الأَرْضِ جُوْلا هُوَّةٍ وَتُرابُها
مِنَ النَاسِ إِلا أَنَّ نَفْسِي تَعَلَّقَتْ إلى أَجَلٍ حَتَّى يَجِيءَ مُصَابُها

ويصّرح بأنه فقد بموت ولديه سنده، ومصدر قوته وعونه على مواجهة أخطار الحياة فيقول : (٥)

وَكَانُوا هُمُ المَالَ الذَّي لا أَبِيْعُهُ وَدِرْعي إذا ما الحَرَبُ هَرَّتْ كِلاَبُهَا
وَكَمْ قَاتِلٍ لِلْجُوعِ قَدْ كَانَ مِنْهُمُ وَمِنْ حَيَّةٍ قَدْ كَانَ سُمَّاً لُعَابُهَا
إِذا ذُكِرَتْ أَسْمَاؤهُمْ أَوْ دُعُوا بِهَا تَكَادُ حَيَازِيمي تَفَرَّى صِلاَبُهَا
وَكُنْتُ بِهِمْ كَاللَّيْثِ في خِيسِ غَابَةٍ أَبَى ضَارِعَاتٍ كَانَ يُرْجَى نُشَابُها
وكُنْتُ وَإِشْرَافِي عَلَيْهِمْ وَمَا أَرَى لِنَفْسي إِذْهُمْ فِي فُؤادِي لُبَابُها
كَرَاكِزِ أَرْمَاحٍ تُجُزِّعْنَ بَعْدَمَا أُقِيْمَتْ حَوَانِيَها وَسُنَّتْ حِرابُها
إِذَا ذَكَرَتْ عَيْنيْ الّذِيْنَ هُمُ لَها قَذًى هِيْجَ مِنْها لِلْبُكَاءِ انْسِكَابُها

---

(١) الفرزدق : الديوان، ص ٦٤٣. والسورة : الشجاعة والإقدام.

(٢) المرّ: الفتل المحكم . الإشتعاب: التمزّق.

(٣) الأخلة: الواحد خليل : الصحاب، الصديق.

(٤) الفرزدق : نفسه، ص ٦٤٣. والجُول: التراب تجول به الريح على وجه الأرض. والمُصاب: الموت.

(٥) المصدر نفسه : ص ٦٤٣-٦٤٤ . وهّرت كلابها: أثيرت، سُمع لها هرير. والخيس: عرين الأسد ومربضه. واللباب: الحشاشة. وانظر أمثلة أخرى على رثاء الفرزدق لأولاده: المصدر نفسه ، ص ٥٣٤-٥٣٥. وص ٣٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بَنِي الأَرْضِ قَدْ كَانوا بَنيَّ فَعَزَّني عَلَيْهِمْ لآجَالِ المَنَايَا كِتَابُهَا

واستحضر الحجاج لرثاء ابنه بيتين لزياد الأعجم يعبران عن مدى حزنه وإحساسه بالخسارة بسبب موته، قال المبرد [١]: ((... لما مات محمد بن الحجاج جزع عليه فقال: إذا غسلتموه فآذنوني به، فأعلموه ، فدخل البيت فنظر إليه فقال:

الآنَ لَمَّا كُنْتَ أَكْمَلَ مَنْ مَشَى وَافْتَرَّ نَابُكَ عَنْ شَبَاةِ القَارِحِ
وَتَكَامَلَتْ فِيْكَ المُروءةُ كُلُّها وَأَعَنْتَ ذَلِكَ بالفِعَالِ الصَّالِحِ))

وفُجع أبو صخر الهذلي بموت ابنه الوحيد، فرثاه بقصيدة حزينةٍ قال أبو الفرج الأصفهاني[٢]: ((كان لأبي صخر ابنٌ يقال له داود لم يكن له ولدٌ غيره، فمات، فجزع عليه جزعاً شديداً حتى خُولِط ، فقال يرثيه:

لَقَدْ جَاهَنِي طَيْفٌ لِداودَ بَعْدَما دَنَتْ فَاسْتَقَلَّتْ تَالِياتُ الكَواكِبِ
وَمَافي ذُهُولِ النَفْسِ عَنْ غَيْرِ سَلْوَةٍ رَواحٌ مِنَ السُّقْمِ الذّي هو غَالِبي
وَعِنْدَكَ لَوْ يَحْيا صَداكَ فَنَلْتَقِي شِفَاءٌ لِمَنْ غَادَرْتَ يَوْمَ التَناضِبِ
فَهَلْ لَكَ طِبٌّ نَافِعي مِنْ عَلاقَةٍ تُهَيِّمُني بَيْنَ الحَشا والقَرائِبِ
تَشَكّيْتُها إِذْ صَدَّعَ الدَّهْرُ سَعْبَنا فَأَمْسَتْ وَأَعْيَتْ بِالرُّقي والطَبائِبِ
وَلَوْلا يَقِيني أَنَّمَا المَوْتُ عَزْمَةٌ مِنَ اللهِ حَتّى يُبْعَثوا لِلْمَحَاسِبِ
لَقُلْتُ لَهُ فِيما أُلِمُّ بِرَمْسِهِ هَلْ أَنْتَ غَداً غَادٍ مَعِي فَمُصَاحِبي
وَمَاذا تَرى في غَائِبٍ لا يُغِبُّني فَلَسْتُ بِناسِيْهِ وَلَيْسَ بِآئِبِ))

---

(١) المبرد: التعازي والمراثي، ص ٢٠٢ . وانظر كذلك : القالي: ذيل الأمالي ، لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة، ودار الجيل، بيروت، ص ٧-٨.

(٢) الأصفهاني : الأغاني، ج٢٤، ص ٢٦٥-٢٦٦ . ويغبني: من أغببت الرجل وغببت عنه: زرته يوماً وتركته يوماً . وانظر ترجمة أبي صخر : المصدر نفسه ، ج٢٤ ، ص ٢٦٠. وانظر أمثلة أخرى على رثاء الآباء لأبنائهم في المجتمع الأموي: رثاء عكرشة العبسي لأبنائه الذين ماتوا بالطاعون: ابن أبي الفرج: الحماسة البصرية، ج١، ص ٢٥٤-٢٤٦. ورثاء عامر بن واثلة ابنه طفيل: أبو مخنف: نصوص من تاريخ، ج٢، ص ٣٩٣. والبلاذري: أنساب، ج٧، ص ٣٠٥٤. والطبري : تاريخ الأمم، ج٨، ص ١٣. وابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٠٢. ورثاء أرطاة بن سُهَيَّةَ ابنة: المبّرد: التعازي والمراثي، ص ١٥٩. والأصفهاني: الأغاني، ج١٣، ص ٢٩-٣٠. والتبريزي: شرح ديوان الحماسة، ج٢، ص ٢٥٥. وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٨، ص ٦-٧. ورثاء نصر بن سيّار ابنه تميماً: أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٣٦. ورثاء البُعيث ابنه : المبرد: التعازي والمراثي، ص ١٩٦. ورثاء اسماعيل بن عمار ابنه: الأصفهاني، الأغاني ، ج١١، ص ٢٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- الجوانب الايجابية في علاقة الأبناء بالآباء :

أ- بر الآباء:

تدل أخبار غير قليلة على بر الأبناء بآبائهم وأمهاتهم في المجتمع الأموي لأن الله تعالى أوصى ببرهم وصلتهم، ولكن بر الأبناء لأمهاتهم كان أكثر من برهم لآبائهم لأن الله تعالى أمر ببر الوالدة وقدمها في ذلك على الوالد، إذ يقول: ((وَوَصَّيْنا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً ... الآية))[١] ؛ ومن أمثلة هذا البر ما رواه المبرد عن وصل علي بن الحسين بن علي لأمه، إذ يقول [٢] : ((... وقيل لعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنهم - إنك من أبر الناس بأمك ؛ ولسنا نراك تأكل مع أُمّك في صحفة ! فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه فأكون قد عققتها)).

ولم يفرط شبيب بن يزيد في بر أمه على الرغم من انشغاله بالخروج على بني أمية، قال الطبري[٣] : ((... ثم إن شبيباً سرى في اثني عشر فارساً من أصحابه إلى أمه، وكانت في سفح ساتيدما نازلة في مظلةٍ من مظال الأعراب؛ فقال : لآتين بأُمي فلأجعلنها في عسكري، فلا تفارقني أبداً حتى أموت أو تموت... فمضى شبيب إلى أُمّه فحملها من السفح فأقبل بها ...)).

وبادر نُهيك بن أساف إلى بر أمه فور انتصاره وحصوله على الغنائم، قال ابن الشجري[٤]: ((... كان نُهَيْك بن أُساف الحارثي قد أملق، فخرج إلى مصعب بن الزبير حين بَلَغهُ أنَّ أهل الرَّاذان خلعوه، فندب مصعب الناس لها، فلم يقم أحد؛ وقام نهيك محتزماً بحبل، وعلى رأسه سمل عمامة، متنكباً قوساً عربية فقال: أنا لها . قال: ومَنْ أنت ويحك؟ قال: نُهَيْكَ بن أساف الحارثي. قال له: اجلس، ثم أعاد القول ، وندب الناس؛ فلم

---

(١) الأحقاف: ١٥.

(٢) المبّرد: الكامل في اللغة والأدب ، ج١ ، ص ١٤٠.

(٣) الطبري : تاريخ الأمم ، ج٧، ص ٢٢٣. وانظر كذلك : أبو مخنف: نصوص من تاريخ ، ج٢، ص ٢٥٣. وابن الأثير: الكامل ، ج٤ ، ص ١٥٤.

(٤) ابن الشجري: الحماسة الشجرية، عبد المعين الملوحي، وأسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ص ١٨٢-١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقم أحد؛ وقام نُهَيْك، فقال: أنا لها. فعل ذلك ثلاثاً . فقال له مصعب : ما عندك؟! قال: عندي عزمٌ إذا أبصرت، ومشاورة لأهل الرأي إذا شككت. قال : أنت لَعَمْرُ اللهِ لها . ثم عقد له عليها، وقال: إن ظفِرت فقد أطعمتك إياها سنة. فخرج وظفر. وبعث إلى أُمّه إبلاً محمَّلة من المأكول والملبوس وكتب إليها:

أَأُمَّ نُهَيْكٍ ارْفَعي الظَنَّ صَاعِداً وَلا تَيْأَسِي أَنْ يُثْرِيَ الدّهْرَ بائِسُ
سَأَكْسِبْ مَالاً أَوْ تَبِيْتِنَّ لَيْلَةً بِصَدْرِكِ مِنْ هَمٍّ عَلَيَّ وَسَاوِسُ))

وعبّر أرطاة بن سُهَيَّة عن بره بأمه بدفاعه المستميت عنها، قال أبو الفرج الأصفهاني[١]: ((... خاصمت امرأة من بني مُرة سُهَيَّة أُمّ أرطاة بن سُهَيَّة، وكانت مــن غيرهم أخيذة أخذها أبوه، فاستطالت عليها المرأة وسبتها، فخرج أرطاة إليها فسبها وضربها، فجاءه قومه ولاموه، وقالوا له: مالكَ تُدخل نفسك في خصومات النساء؟! فقال لهم :

يُعَيِّرنُي قَوْمِي المَجَاهِلَ والخَنَا عَلَيْهِم وَقَالوا أَنْتَ غَيْرُ حَلِيْمِ
هَلْ الجَهْلُ فِيْكُمْ أَنْ أُعَاقِبَ بَعْدما تُجُوِّزَ سَبِّي واسْتُحِلَّ حَرِيمي
إِذَا أَنا لَمْ أَمْنَعْ عَجُوزي مِنْكُمُ فَكانَتْ كَأُخْرى في النِسَاءِ عَقِيْمِ))

وأعتق نصيب أُمه من الرق براً بها، وقال في ذلك : [٢]

وَلَكِنّنَي فَادَيْتُ أُمِّي بَعْدَما عَلا الرَأْسَ مِنْها كَبْرَةً وَمَشِيْبُ

وبكى إياس بن معاوية بكاءً شديداً عندما ماتت أُمّه لأنه فقد بذلك أجربرّها؛ قال ابن عساكر[٣]: ((... لما ماتت أم إياس بكى فقيل ما يبكيك؟ قال : كان لي بابان مفتوحان من الجنة فَأُغلق أحدهما)).

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج١٣، ص٣١.

(٢) نُصيب بن رباح: شعره، داود سلوم، مطبعة الإرشاد، بغداد، ص ٦٥.

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ، ج١٠، ص ٣٢. وانظر كذلك : الذهبي : تاريخ الإسلام ، عمر عبــد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٨، ص ٤٤-٤٥.وابن كثير:البداية والنهاية ،ج٩،ص٣٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وواجهت ابنة يزيد بن قرة الحجاج حين هم بقتل والدها، وتمكنت من انقاذ حياته، حرصاً منها على بره، وقد روى المرزباني الأبيات التي استعطفت بها

الحجاج حتى عفا عنه فقال:(١)

أَحَجَّاجُ إِما أَنْ تَمُنَ بِنَعْمَةٍ عَلَيْنا وَإِما أَنْ تُقَتِّلُنا مَعا
أَحَجَّاجُ كَمْ تَفْجَعْ بِهِ إِنْ قَتَلْتَهُ ثَماني عَشْرَ واثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعا
أَحَجَّاجُ لَوْ تسْمَعُ بُكَاءَ نِسَائِهِ وَعَمّاتِهِ يَنْدُبْنَهُ اللَيْلَ أَجْمَعا
أَحَجَّاجُ مَنْ هذا يَقُوْمُ مَقَامَهُ عَلَيْنا، فَمَهْلاً لا تَزَدْنا تَضَعْضُعا
أَحَجَّاجُ هَبْهُ اليَوْمَ للهِ وَحْدَهُ وَلِلْباكِياتِ الصَارِخاتِ تَفَجُّعا

ب- الفخر بالآباء والأمهات :

مثّل الفخر بالآباء جانباً من الجوانب الايجابية في علاقة الأبناء بالآباء في المجتمع الأموي، إذ حاولوا إبراز ما في آبائهم من الخصال الحميدة، وما لهم من مكانة رفيعة ومن ذلك ذكر عبد الله بن عباس صفات والده النبيلة حين سأله معاوية بن أبي سفيان عنه ؛ قال المسعودي(٢) : ((...قال: رحم الله العباس أبا الفضل، كان صنونبي الله صلى الله عليه وسلم، وقرة عين صفي الله، سيد الأعمام، له أخلاق آبائه الأجواد، وأحلام أجداده الأمجاد، تباعدت الأسباب في فضيلته، صاحب البيت والسقاية، والمشاعر والتلاوة، ولِمَ لا يكون وقد ساسه أكرم من دَبَّ ؟)).

وافتخر الفرزدق بأبيه غالب غير مرة في رده على من هاجاه من الشعراء؛ ومن ذلك قوله يعتد بوالده : (٣)

---

(١) المرزباني: أشعارالنساء ، ص ١٩١-١٩٢. وانظر مزيداً من الأمثلة على بر الأبناء لآبائهم في المجتمع الأموي : بر خالد بن عبد الله القسري أمه النصرانية: البلاذري: أنساب، ج٩، ص٣٦٧٧. وبر عيسى بن مصعب بن الزبير أباه: المسعودي : مروج الذهب، ج٣، ص ١١٤. وبر عمر بن المذكور أمه : الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٨، ص ١٨٥. وبر ميمون بن مهران والده : ابن كثير : البداية والنهاية، ج٩،ص٣٦٥.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج٣ ، ص ٦٠-٦١.

(٣) الفرزدق: الديوان، ص ٣٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

...وَإِنِّي لَيَنْمِيْنِي إلى خَيْرِ مَنْصِبٍ أَبٌ كَانَ أَبَّاءً يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
طَوِيْلٌ عِمَادِ البَيْتِ تَبْنِي مُجَاشِعٌ إلى بَيْتِهِ أَطْنَابَها مَا تَنَزَّعُ

وقال في قصيدة أخرى يفخر به: (١)

أَبي غَالِبٌ، واللهُ سَمَّاهُ غَالِباً وَكَانَ جَدِيْراً أَنْ يَضُرَّ وَيَنْفَعا
... ...
فَيَا أَيُّهَذا المُؤْتَلي لِيَنالَني أبي كَانَ خَيْراً مِنْ أَبِيْكَ وَأَرْفَعا

وافتخر عبد الرحمن بن اسماعيل بن عبد كُلال بن داذ بن أبي جمد (وضّاح اليمن) بأبيه وأجداده قائلاً : (٢)

بَنَى لِيَ إِسْمَاعِيْلُ مَجْداً مُؤَثَّلاً وَعَبْدُ كُلالَ بَعْدَهُ وَأبو جَمَدْ

وصور المتوكل الليثي مروءة والده وعزيمته فقال : (٣)

إِنِّي أَبَى لَي أَنْ أُقَصِّرَ والِدٌ شَهْمٌ على الأمْرِ القَوي عَزُوْمُ

وفخر ابن ميّادة بنسب أبويه الرفيع قائلاً : (٤)

أَنَـــا ابْنُ مَيَّادَةَ تَهْـــوي نُجُبُـــي
صَلْـــتُ الجَبْيْنِ حَسَنٌ مُرَكَبَّـــي
تَرْفَعُني أُمِّي وَيُنْمِيْني أَبـــــــي
فَوْقَ السَّحابِ وَدُوْنَ الكَوْكَبِ

(١) الفرزدق : الديوان، ص٣٤٨-٣٤٩. وانظر أمثلة أخرى على فخره بوالده: المصدر نفسه، ص٢٨، ٣٠،٣٦،٣٨،٤٠،٤١،٥٠.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج٦، ص٤٣١ ؟ وانظر ترجمة وضاح اليمن : المصدر نفسه ، ج٦، ص٤٣١.

(٣) المتوكل الليثي: الديوان ، يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد، ص ٨٨.

(٤) ابن ميادة : شعره، حنا جميل حداد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ٧٠-٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال شبيب بن البرصاء يفخر بأمه مصرحاً بأن البرص لا يعيبه تماماً كما لا يعيب الإبل البيضاء لونها : (١)

أَنَا ابْنُ بَرْصَاءَ بِها أُجِيْبُ هَلْ في هِجَانِ اللّونِ ما تَعِيْبُ

جـ – رثاء الأب :

شاع في المجتمع الأموي رثاء الإبن للأب دون الأم، وربما يكون ذلك بسبب تحرجهم من رثاء النساء ؛ قال الفرزدق يرثي أباه منوهاً بكرمه الفياض : (٢)

سَأَنْعَى ابْنَ لَيْلَى لِلَّذي رَاحَ بَعْدَهُ يُرَجِّي القِرى والدَّهْرُ جَمٌّ غَوَائِلُهْ
وكَانَ الذّي لا تُسْتَرَاثُ فُضُولُهُ بِخَيْرٍ ، وَلا يَشْقَى بِهِ الدَّهْرَ نَازِلُهْ
أَلاَ إِنَّ هَذا المَوْتَ أَضْحَى مُسَلَّطاً وَكلٌّ امْرِيءٍ لاَ بُدَّ تُرْمى مَقَاتِلُهْ

وقال يرثي والده مؤكداً كرمه : (٣)

لِيَبْكِ ابْنَ لَيْلَى كُلُّ سَارٍ لِنَائِلٍ عَلَى عُرْضِ لَيْلٍ مُدْلَهِمِّ الغَيَاطِلِ
وَكُلُّ امْرِيءٍ أَلْقَى يَدَيْهِ لِخَوْفِها فَأَصْبَحَ مِنْها مُسْتَجِيْرَ الحَبَائِلِ
وَمَا طَرَقَ السُّؤالُ مِثْلَ ابْنِ غَالِبٍ لأَمْرَيْنِ جَلاّ مِنْ عِقَابٍ وَنَائِلِ

وألحّ على إظهار صفة الكرم في والده فقال في رثائه له: (٤)

لَنِعْمَ أَبُو الأَضْيَافِ في المَحْلِ غَالِبٍ إِذا لَبِسَ الغَادِي يَدَيْهِ مِنَ البَرْدِ
وَمَا كَانَ وَقَّافاً على الضَّيْفِ مُحْجِماً إِذا جَاءهُ يَوْماً، وَلاَ كَابِيَ الزِّنْدِ(٥)
وكَانَ إِذا مَا أَصْدَرَتْهُ مَكَارِمٌ وَسَاوَرَ أُخْرَى غَيْرَ مُجْتَنِحِ الوِرْدِ(٦)

---

(١) نوري حمودي القيسي: شعراء أمويون، ق٣، ص ٢٢٢.
(٢) الفرزدق : الديوان، ص ٤٥٨-٤٥٩ . وجمٌّ غوائله : كثيرة مصائبه. وتُستراث: تُستبطأ.
(٣) المصدر نفسه: ص٤٦٠-٤٦١ . ومدلهم الغياطل: شديد الظلام.
(٤) نفسه: ص١٢٦ . وانظر مثالاً آخر: ص ٤٤٩-٤٥٠.
(٥) المُحْجِم: المتقاعس والمتردد.
(٦) ساور: واثب. غير مجتنح الوِرْد: غير مائل إلى غيرها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونحر قيس بن الملوح ناقته على قبر والده معدداً مناقبه وصفاته الحميدة، فقال: [١]

عَقَرْتُ على قَبْرِ المُلَوّحِ نَاقَتي بِذِي السَّرْحِ لِمّا أَنْ جَفَاهُ الأَقَارِبُ
وَقُلْتُ لَها كُوني عَقِيْراً فَإنّني غَدَاً راجِلٌ أَمْشِي وَبالأَمْسِ راكِبُ
فَلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يابْنَ مُزَاحِمٍ فَكُلٌّ بِكَأْسِ المَوْتِ لا شَكَّ شارِبُ
فَقَدْ كُنْتَ طَلاَّعَ النِّجادِ وَمُعْطِي الـــ جِيادِ وَسَيْفاً لا تُفَلُّ مَضَارِبُهُ

ولم يكن رثاء الآباء في المجتمع الأموي يقتصر على الذكور من الأبناء ؛ بل رثت بعض البنات آباءهن متفجعات عليهم، ومشيدات بخصالهم النبيلة، ومن ذلك رثاء حميدة بنت زياد بن مقاتل والدها الذي قُتل مع ابن الأشعث إذ تقول: [٢]

يَا عَيْنُ جُودِي وَلا تَذْخَري وَبَكّي رَئِيْسَ بَنِي جُحْدَرِ
وَمَا تَوَلّتْ جُنُودُ العِراقِ وَأَسْلَمَ مَنْ كَانَ في العَسْكَرِ
حَامى زِيادٌ على قَوْمِهِ وَفَرَّ جُدَيٌّ بَنِي العَنْبَرِ

وحين حُمل حُجْر بن عدي الكندي سنة ثلاث وخمسين إلى معاوية للاقتصاص منه رثته ابنته فقالت : [٣]

تَرَفَّعْ أَيُّهَا القَمَرُ المُنِيْرُ لَعَلّكَ أَنْ تَرَى حُجْراً يَسِيْرُ

٣- الجوانب السلبية في علاقة الأبناء بالآباء :

أ- عقوق الوالدين :

يُعد عقوق الوالدين من أبرز الجوانب السلبية في العلاقة بين الآباء والأبناء لما ينتج عنه من تردٍ في أسمى علاقة بين بني البشر، وقد أخذ العقوق مظاهر شتى في المجتمع الأموي ونال معظمها الآباء دون الأمهات، وكان سوء الأدب معهم أهم هذه المظـــاهر، ومن ذلك ما رواه أبو الفــرج الأصفهاني عن سوء أدب كُثيِّر مع والده فقال[٤]: ((كان كُثيِّر عاقاً لأبيه، وكان أبوه قد أصابه قُرْحة في إِصبع من أصابع يده؛ فقال

(١) الأصفهاني : الأغاني، ج٢، ص٣٣١.
(٢) المرزباني: أشعار النساء، ص ١٧٢-١٧٣.
(٣) المسعودي : مروج الذهب، ج٣ ، ص ١٢.
(٤) الأصفهاني : الأغاني ، ج٩ ، ص ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له كُثيِّر: أتدري لِمَ أصابتك هذه القرحة في إصبعك؟ قال : لا أدري، قال : مما ترفعها إلى الله من يمين كاذبة)).

وأدى العقوق إلى تهاجي الآباء والأبناء قال أبو الفرج الأصفهاني[١] : ((كان يونس بن الخياط عاقاً لأبيه، فقال أبوه فيه :

يُونُسُ قَلْبي عَلَيْكَ يَلْتَهِفُ والعَيْنُ عَبْرى دُمُوعُها تكِفُ
تُلْحِفُني كِسْوَةَ العُقوقِ فَلا بَرِحْتَ مِنْها ما عِشْتَ تَلْتَحِفُ
أُمِرْتَ بِالْخَفْضِ لِلْجَناحِ وَبِالرِ فِقِ فَأَمْسى يَعُوقُكَ الأَنَفُ
وَتِلْكَ وَاللهِ مِنْ زَبانِيَةٍ إِنْ سُلِّطوا في عَذَابِهِمْ عَنَفوا

فأجابه ابنه يونس فقال:

أَصْبَحَ شَيْخي يُزْري بِهِ الخَرَفُ مَا إِنَّ لَهُ حُرْمَةً وَلا نَصَفُ
صِفاتُنا في العُقوقِ وَاحِدةٌ مَا خِلْتُنا في العُقُوقِ نَخْتَلِفُ
لَحَفْتَهُ سَالِفاً أَبَاكَ فَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنّي كَذاكَ تَلْتَحِفُ))

وهجا أبو وجزة السعدي ابنه عبيداً بسبب عقوقه له فقال : [٢]

يا رَاكِبَ العَنْسِ كَمِرْداةِ العَلَمْ أَصْلَحَكَ اللهُ وَأَدْنى وَرَحِمْ[٣]
إِنْ أَنْتَ أَبْلَغْتَ وَأَدَّيْتَ الكَلِمْ عَني عُبَيْدُ بْنَ يَزِيْدَ لَوْ عَلِمْ
قَدْ عَلِمَ الأَقْوامُ أَنْ سَيِنْتَقِمْ مِنْكَ وَمِنْ أُمٍّ تَلَقَّتَكَ وَعَمْ
رَبٌّ يُجازي السَيِّئاتِ مَنْ ظَلَمْ أَنْذَرتُكَ الشَّدّةَ مِنْ لَيْثٍ أَضِمْ

فرد عبيد على أبيه فقال:

دَعْها أَبا وَجْزَةَ واقْعُدْ في الغَنَمْ فَسَوْفَ يَكْفِيْكَ غُلامٌ كالزَّلَمْ

ب- ضرب الأب :

---

(١) المصدر نفسه: ج٢٠، ص ٢١٤. وانظر ترجمة يونس بن الخياط: المصدر نفسه ، ج٢٠، ص ٢١٣.
(٢) الأصفهاني: الأغاني ، ج١٢ ، ص٤٤٤ .
(٣) والعَنْس: الناقة الصلبة . المرادة: الحجر الثقيل . العَلَمْ: الجبل. والشّدّة : الحملة. وأضم : غضوب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتجرأ بعض الأبناء في المجتمع الأموي على ضرب آبائهم مظهرين بذلك أقصى درجات العقوق؛ ومن ذلك ما رواه أبو الفرج الأصفهاني فقال[١] : ((... مَرَّ رجلٌ بيونس بن عبد الله الخياط وهو يعصر حلق أبيه وكان عاقّاً به فقال له : ويلك أتفعل هذا بأبيك؟ وخلّصه من يده ...)).

وعدّ أبو عبيدة أبناء عقيل بن عُلّفة المُرِّي من العققة، لأنهم ضرجوه بدمه؛ يقــول[٢] : ((منهم (أي العققة) بنو عقيل بن علفة ... فخرج عقيل بامرأته إلى الشام ومعه أولاده عُلّفة، وعَمَّلس ، وجَثَّامة وابنته الجرباء، فلما كانوا بدومة الجندل تَغَنَّى عُلّفَة ابن عقيل فقال:

قِفي يا ابْنَةَ المُرِّيِّ نَسْأَلُكِ مَا الذّي تَقُولِيْنَ فِيما كُنْتِ مَنَّيتْنا قَبْلُ
نُخَبرِّكِ إِنْ لَمْ تُنْجِزي الوَأْىَ أَنَّنا ذَوَا خَلَّةٍ لِمْ يَبْقَ بَيْنَهُما وَصْلُ

... فغدا عليه عقيلٌ أبوه بالسيف وقال: يا عدوّ الله من هذه المُرِّية؟ واتهمه بامرأته وقال : أتشبِّب بأمِّك ؟! فكلّمه أخوه فيه فحمل عليهما، ويرميه عملَّسٌ بسهم في فخذه فصرعه. فَثَمَّ حين يقولُ عقيل:

إِنَّ بَنيَّ رَمَّلُوني بِالدَّمِ مَنْ يَلْقَ أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكْلَمِ
شَنْشِنَةٌ أَعْرِفُها مِنْ أَخْزِمِ وَمَنْ يَكُنْ ذا أَوَدٍ يُقَوَّمِ

وقَالَ عقيل:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَغْذو عَمَلَّساً لَكَا المُتَربِّي حَتْفَهُ وَهُوُ لا يَدْري
وَإِنّي لأَسْقِيْهِ غَبُوقِي وَإِنّني لَغَرْ ثانُ مَنْهُوكُ البآدْيلِ والنَحْرِ))

---

(١) الأصفهاني : نفسه ، ج٢٠ ، ص ٢١٦.

(٢) أبو عبيدة (معمر بن المثنى) : كتاب العققة والبررة، نوادر المخطوطات، عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ، ج٢ ، ص٣٨٤-٣٨٥. وانظر كذلك اليزيدي : المراثي: محمد نبيل طريفي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ، ص ١٣٠-١٣١. وابن عبد ربه : طبائع النساء ، ص ٦٤. والأصفهاني : الأغاني، ج١٢، ص ٤٥٣-٤٥٤ ، وابن قيم الجوزية: أخبار النساء، ص ٤٣. والوأي : الوعد. ورمّله بالدم : لطّخه وضرّجه . والبآديل : جمع بأدلة : وهي لحم الصدر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ- عقوق الأب بسبب الزوجة:

وعق بعض الأبناء في المجتمع الأموي آباءهم إما بتحريضٍ من زوجاتهم، أو استرضاءً لهن ؛ ومن هؤلاء لبطة بن الفرزدق، قال أبو عبيدة في معرض حديثه عن الأبناء الذين عقوا آباءهم[١]: ((وممن عقَّ أباه لبطة بن الفرزدق ، وكان يطيع امرأته وكانت تُحرِّشُه عليه، فقال الفرزدق :

أَأَنْ أُرْعِشَتْ كفَّا أَبِيْكَ وَأَصْبَحَتْ يَداكَ يَدا لَيْثٍ فَإِنَّكَ جَاذِبُه
إِذا غَلَبَ ابْنٌ بالشَّبابِ أَباً لَهُ كَبِيْراً فَإِنَّ اللهَ لا بُدَّ غَالِبُهْ
رَأَيْتُ تَبَاشِيْرَ العُقُوقِ هِيَ التّي مِنِ ابْنِ امْرِيء أَلاَّ يَزَالُ يُغَالِبُهْ
ولَمَّا رَآني قَدْ كَبِرتُ وأَنّهُ أَخَو الحيّ واستَغْنى عَنِ المَسْحِ شَارِبُهْ))

ومنهم أيضاً يونس بن عبد الله بن سالم الخياط الذي آثر زوجته على والديه ، قال أبو الفرج الأصفهاني [٢]: ((... حدثني يونس بن عبد الله بن سالم الخياط قال : كنت ذات عشية في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت العصر في أيام الحجاج، فَإذا أنا برجل جميل عليه مقطَّعات خز، وإذا معه جماعة، فوقف إلى جانبي فصلى ركعتين، ثم أقبل عليّ - وكان ذلك من أسباب الرزق - فقال : يا فتى، أتعرف عبد الله بن سالم الخياط ؟ فقلت: نعم. فلما صلينا قال: امضِ بنا إليه، فمضيت به فاستخرجت له أبي من منزله فقال الرجل : بلغني أنك قلت شعراً في أمر العصبية، فقال له أبي : ومن أنت بأبي أنت وأمي؟ فقال : أنا خزيم بن أبي الهيذام، فقال له أبي: نعم قلت ، وأنشده :

اسْقِياني مِنْ صِرْفِ هَذي المُدامِ وَدَعاني وَأَقْصِرا مِنْ مَلامي

... قال : فأشرع الفتى يده إليه بشيء وجزاه خيراً، قال يونس: فبادرت فأخذت بيد المُريّ وقلت له: لا تعجل ، فإني قد قلت شعراً أجود من شعره. قال أبي: ويلك يا يونس... تحرمني ؟ فقلت: دع هذا عنك فوالله لا تجوع امرأتي وتشبع امرأتك. فقلت ليونس: ومن كانت امرأة أبيك يومئذ؟ فقال: أمي، وجمعت والله عقوقهما)).

د- سوء الأدب مع الأم:

---

(١) أبو عبيدة (معمر بن المثنى) : نفسه ، ج٢، ص ٣٨٣ . وانظر كذلك الفرزدق : الديوان ، ص ٩٧. وأرعشت : ضعفت .

(٢) الأصفهاني : الأغاني، ج٢٠ ، ص ٢١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأساء بعض الأبناء في المجتمع الأموي الأدب مع الأم، وخاطبوها بقسوة وفظاظة، ومن هؤلاء محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي، قال أبو الفرج الأصفهاني[١] : ((... بلغني أن محمد بن هشام كان يقول لأمه جيداء بنت عفيف: أنتِ غضضتِ مِنِّي بأنكِ أُمِّي، وأهلَكتِني وقتلتيني. فتقول له: ويحك وكيف ذاك؟ قالَ: لو كانت أُمِّي من قريش ماولي الخلافة غيري...)).

وحمّل ابن ميادة أمه مسؤولية فقره وعزوف حرائر العرب عن الزواج منه، فقال بيتاً من الشعر ينم عن عقوقها : [٢]

لَقَدْ حَرَّمَتْ أُمِّي عَلَيَّ عَدِمْتُها كَرائِمَ قَوْمي ثُمَّ قِلَّةُ مَالِيا

(١) المصدر نفسه، ج١ ، ص ٣١٥.

(٢) ابن ميادة: شعره، ص ٢٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علاقة الأخوة في المجتمع الأموي

١- بعض الجوانب الإيجابية :

ظهرت في علاقة الأخوة في المجتمع الأموي بعض الجوانب الإيجابية التي تكشف عن متانة علاقة أبناء الأسرة الواحدة بعضهم ببعض ومن ذلك قول مسكين الدارمي يحض على الحرص على الأخ وعدم التفريط فيه، لأنه سند أخيه وناصره في الحياة : (١)

أَخاكَ أَخاكَ إنَّ مَنْ لا أَخاً لَهُ كَسَاعٍ إلى الهَيْجا بِغَيْرِ سِلاَحِ

وكان حب أخت المختار بن أبي عبيد سبباً في إطلاق سراحه من سجن عبيد الله ابن زياد ، إذ رق عبد الله بن عمر لبكاء زوجته شقيقة المختار فشفع له عند يزيد ابن معاوية، قال الطبري(٢) : ((... ثم إن المختار بعث إلى زائدة بن قدامة فسأله أن يسير إلى عبد الله بن عمر بالمدينة، فيسأله أن يكتب له إلى يزيد بن معاوية فيكتب إلى عبيد الله بـــن زياد بتخلية سبيله؛ فركب زائدة إلى عبد الله بن عمر، فقدم عليه فبلّغه رسالة المختار، وعلمت صفية أخت المختار، بمحبس أخيها وهي تحت عبد الله بن عمر، فبكت وجزعت فلما رأى ذلك عبد الله بن عمر كتب مع زائدة إلى يزيد بن معاوية ...)).

ولم يكن الإخوة يحرص أحدهم على الآخر في حياته فحسب، بل كان يحفظ حقه وواجبه في مماته، ويحتمل الأذى في سبيل ذلك؛ قال أبو الفرج الأصفهاني (٣): ((كان لعبد الله بن الحجاج ابنان يقال لأحدهما عوين، والثاني جندب، فمات جندب وعبد الله حيٌّ فدفنه بظهر الكوفة ، فمر أخوه عوين بِحرّاثٍ إلى جانب قبر جندب، فنهاه أن يقربه بفدّانه، وحذّره ذلك، فلما كان الغد وجده قد حرث جانبه، وقد نبشه وأضرَّ به، فشد عليه فضربه بالسيف وعقر فدّانه وقال:

أَقولُ لَحرَّاثَيْ حَرِيْمي جَنِّبا فَدَانْيكُما لا تَحْرُثا قَبْرَ جُنْدَبِ

---

(١) مسكين الدرامي : ديوانه ، عبد الله الجبوري ، وخليل إبراهيم عطية، مطبعة دار البصري، بغداد، ص٢٩.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ،ج٧، ص ٢٩.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج١٣، ص ١١٥. وانظر ترجمة عبد الله بن الحجاج،المصدر نفسه،ج١٣،ص ١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَإِنّكُما إِنْ تَحْرُثَاهُ تُشَرَّدا وَيَذْهَبْ فَدانٌ مِنْكُما كُلَّ مَذْهَبِ

قال : فأُخذ عوين، فاعتقله السجّان، فضربه حتى شغله بنفسه ...)).

وكان فقدان الأخ في المجتمع الأموي فاجعةً كبيرةً لأخيه، إذ كان يصاب في اقرب الناس إليه، وأحبهم عنده، فكان يعبرعن عِظَمِ الرزء فيه، ويرثيه رثاءً حاراً،ومن ذلك قول مسعود في رثاء أخيه ذي الرمة وقد فجعه الموت به بعد أن فجعه موت ابن عم له[١] :

خَوَى المَسْجُد المَعْمُورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهَمٍ فَأَضْحى بِأَوْفَى قَوْمُهُ قَدْ تَضَعْضَعوا
تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفى بِغَيْلانَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجَفْنُ العَيْنِ مَلاّنُ مُتْرَعُ
وَلَمْ تُنْسِني أَوْفَى المُصِيباتُ بَعْدَهُ وَلَكِنْ نِكَاءُ القَرْحِ بالقَرْحِ أَوْجَعُ

وقال جرير يصور ضعف جانبه، وأنه صار لا ناصر له بعد موت أخيه:[٢]

خَلِيلَيَّ كَمْ مِنْ زَفْرَةٍ قَدْ رَدَدْتُها وَمِنْ ظُلْمَةٍ وَارَتْ عَلَيَّ ضُحَىً حَجْرا
إِذَا مَا دَعَا قَوْمٌ عَلَيَّ أَخَاهُمُ دَعَوْتُ فَلَمْ أَسْمِعْ حَكِيْماً وَلاَ عَمْرَا

وفجع الشمردل بن شَريك بهلاك أخويه قدامة ووائل في قتالهم للترك بخراسان فقال يرثيهما مصوراً حزنه لهلاكهما وفراقهما، ومعدداً صفاتهما النبيلة : [٣]

أَعَاذِلُ كَمْ مِنْ رَوْعَةٍ قَدْ شَهِدْتُها وَغُصّةِ حُزْنٍ في فِراقِ أَخٍ جَزْلِ
إِذا وَقَعَتْ بَيْنَ الحَيازِيمِ أَسْدَفَتْ عَلَيّ الضُحى حَتّى تُنَسِّيَني أَهْلِي
وَمَا أَنا إلا مِثْلُ مَنْ ضُرِبَتْ لَهُ أُسَى الدَّهْرِ عَنِ ابْنَيْ أَبٍ فَارقا مِثْلي
أَقُولُ إِذا عَزّيْتُ نَفْسي بِإِخْوَةٍ مَضوا لا ضِعَافٍ في الحَياةِ وَلا عُزْلِ
أَبَى المَوْتُ إِلا فَجْعَ كُلِّ بَني أَبٍ سَيُمْسُونَ شَتّى غَيْرَ مُجْتَمِعي الشَّمْلِ

---

(١) ذو الرمة : ديوانه ، عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم ، بيروت ، ص ٢٤. وانظر كذلك : البحتري : الحماسة، ص ٢٥٨. وذكر المبرد : التعازي، ص ١١٦ ، انها لهشام بن عقبة . وكذا ذكر التبريزي في : شرح ديوان الحماسة، ج٢ ، ص ٢٨٧.

(٢) جرير: الديوان ، ص ١٦١.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج١٣، ص ٢٣٦-٢٣٧ . وانظر ترجمة الشمردل بن شَريك : المصدر نفسه، ج١٣،ص٢٣٦. وأسدفت : أظلمت. والأُسى : ما يتأسى به الحزين ويتعزى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دُمُوعِيَ حَتّى أَسْرَعَ الحُزْنُ في عَقْلي[١]

سَبِيْلُ حَبِيْبَيَّ اللَّذَيْنِ تَبَرّضَا جَمِيْعاً وَيَنْزِلْ عِنْدَ رَحْلَيْهِما رَحْلي
كَأَنْ لَمْ نَسِرْ يَوْماً وَنَحْنُ بِغِبْطَةٍ وَصَاحِبَهُ دَمْعاً فَعُودا على الفَضْلِ
فَعَيْنَيَّ إِنْ أَفْضَلْتُما بَعْدَ وَائِلٍ رَهِيْنَيْ وَفَاءٍ مِنْ وَفَاةٍ وَمِن قَتْلِ
خَلِيْلَيَّ مِنْ دُونِ الأَخِلّاءِ أَصْبَحا إِذا أَغْبَرَ آفَاقُ السَماءِ مِنَ المَحْلِ[٢]
فَلا يَبْعَدا لِلدَّاعِيْنَ إِلَيْهِما وَأَخْمَدَ نَارَ اللَيْلِ كُلُّ فَتًى وَغْلِ[٣]
فَقَدْ عَدِمَ الأَضْيافُ بَعْدَهُما القِرى لِواغِرِ صَدْرٍ أَوْ ضَغَائِنَ مِنْ تَبْلِ[٤]
وَكانا إِذا أَيْدِي الغِضَابِ تَحَطَمَتْ إِذا أَتْعَبَ الحِلْمَ التَتَرْعُ بالجَهْلِ[٥]
تَحَاجُزُ أَيْدِي جُهَّلَ القَوْمِ عَنْهُما

وذكر عروة بن أذينة أن الهموم أطبقت عليه في الليل، وأنه صار يتجرع الحياة غصصاً بعد موت شقيقه بكر؛ فقال : [٦]

سَرَى هَمِّي وَهَمُّ المَرْءِ يَسْرِي وَغَابَ النَّجْمُ إِلاَّ قَيْسَ فِتْرِ
أُراقِبُ في المَجَرَّةِ كُلَّ نَجْمٍ تَعَرَّضَ لِلْمَجَرَّةِ كَيْفَ يَجْرِي
لِهَمٍّ لا أَزالُ لَهُ مُدِيْماً كَأَنَّ القَلْبَ أُسْعِرَ حَرَّ جَمْرِ
على بَكْرٍ أَخِي وَلَّى حَمِيْداً وَأَيُّ العَيْشِ يَصْفُو بَعْدَ بَكْرِ

---

(١) تبرضا دموعي: استنزفاها قليلاً قليلاً.

(٢) المحل: الجدب.

(٣) الوغل: النذل الساقط المقصر في الأشياء.

(٤) التبل: العداوات.

(٥) التترع: التسرع.

(٦) عروة بن أُذينة: شعره ، ص ٣٢٥-٣٢٦ . وسرى همي: أي هاج ليلاً . وقيس فتر: قدر فتر ؛ والفتر ما بين طرف السبابة والإبهام إذا فتحتها . وانظر مثالاً آخر على رثاء الأخ وتأبينه: رثاء الأبيرد بن المعذر شقيقه بُريداً : الأصفهاني : الأغاني ، ج١٣ ، ص ٩٤-٩٦. ورثاء الشمردل بن شريك أخاه حكماً : المصدر نفسه : ج١٣، ص ٢٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفُجعت زينب بنت الطثرية بموت شقيقها يزيد، فرثته مصورة شجاعته وكرمه ؛ فقالت : [١]

أَرَى الأَثْلَ مِنْ بَطْنِ العَقِيْقِ مُجَاوِري مُقِيماً وَقَدْ غَالَتْ يَزِيْدَ غَوَائِلُهْ[٢]
فَتًى قَدَّ السَّيْفِ لا مُتَضَائِلٌ وَلاَ رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وَأَبَاجِلُهْ[٣]
إِذا نَزَلَ الأَضْيَافُ كَانَ عَذَوَّراً عَلَى الحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهْ[٤]
مَضَى وَوَرِثْنَاهُ دَرِيْسَ مُفَاضَةً وَأَبْيَضَ هِنْدِيّاً طَوِيْلاً حَمَائِلُهْ
وَقَدْ كَانَ يُرْوِي المَشْرَفِيَّ بِكَفِّهِ وَيَبْلُغُ أَقْصَى حَجْرَةِ الحَيِّ نَائِلُهْ [٥]
كَرِيْمٌ إِذا لاَقَيْتَهُ مُتَبَسّماً وَإِمَّا تَوَلَّى أَشْعَثُ الرَّأسِ جَافِلُهْ[٦]
إِذا القَوْمُ أَمُّوبَيْتَهُ فهُوَ عَامِدٌ لأَحْسَنِ مَا ظَنُّو بِهِ فَهْوَ فَاعِلُهْ
تَرَى جَازِرِيْهِ يُرْعَدَانِ وَنَارُهُ عَلَيْها عَدامِيْلُ الهَشِيْمِ وَصَامِلُهْ[٧]

وصرّحت مليكة الشيبانية في رثاء شقيقها أن الخسارة بموته قد عمت كل من يعرفه من الضيفان والجيران والموالي؛ معلنةً أن بكاءها عليه سيكون أبدياً لا ينتهي ، فقالت: [٨]

مَنْ لِجَارتِكَ الضعَافِ إِذا حَلَّ بِها نَازِلٌ من الحَدَثَـــانِ ؟
مَنْ لِضَيْفٍ يَنْتَابُ في ظُلْمَةِ اللَيْلِ إِذا مَلَّ مَنْزِلُ الضيْفَانِ؟
سَوْفَ أَبْكي عَلَيْكَ مَا سَمِعَتْ أُذُنايَ يَوْمَاً تَلاوَةَ الفُرْقَـانِ

---

(١) التبريزي: شرح ديوان الحماسة ، ج٣ ، ص ٧٢-٧٥.

(٢) والإثل: شجر. وعقيق : وادٍ ببلاد عامر . وغالت: أهلكت

(٣) ومتضائل : من الضؤلة وهي الدقة والرَّهِل : المسترخي تصفه بقلة اللحم على الساق والصدر. والأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق.

(٤) والعذور : السيء الخلق القليل الصبر فيما يريده ويهم به ، وصفته بسوء الخلق والتشدد في الأمر والنهي حتى تنصب المراجل وتهيأ المطاعم للضيفان ثم يعود إلى خلقه الأول . والمراجل: جمع مرجـل وهـي القدور العظيمة النحاسية .

(٥) أي أنه كان عزيزاً شديد النكاية في الأعداء ، ويبلغ أقصى ناحية الحي عطاياه.

(٦) اشعث الرأس جافله : إن أعرض عنك ووّلى وجدته أغبر الرأس كثير الشعر لا يهمه أمر نفسه في اللباس والطعام ، وإنما همه الغزو والسعي في إصلاح أمر العشيرة .

(٧) عداميل : جمع عُدْمُل أي قديم . والهشيم : ما يبس من الشجر والنبت . والصامل : اليابس .

(٨) المرزباني : اشعار النساء ، ص ١٩٧ . وقد قُتل شقيقها مع الضحاك بن قيس الخارجي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَيْنَ مَنْ يَحْفَظُ القَرابَةَ والصِهْرَ وَيُؤْتَى لِحَاجةِ اللَهفـــــانِ ؟
وَيَحُوطُ المَوْلى وَيَصْطَنِعُ الخَيْرَ وَيَجْزي الإِحْسَانَ بالإِحْسَانِ
وَيَكُفُّ الأَذى وَيَبْتَذِلُ المَعْروفَ سَمْحَ اليَدَيْنِ سَبْطَ البَيـــــانِ

٢- بعض الجوانب السلبية :

ساءت العلاقة بين بعض الأخوة في المجتمع الأموي حتى تحولت إلى الكره والحقد، والتباغض، وحتى كاد بعضهم لبعض، ومن أمثلة ذلك استغلال عمرو بن سعيد الأشدق العداوة بين عمرو بن الزبير، وشقيقه عبد الله بن الزبير فوجهه لقتال أخيه عبـــــد الله، قال الطبري [١]: ((وكان عمرو بن سعيد لمّا قدم المدينة ولّى شرطته عمرو ابن الزبير لما كان يعلم ما بينه وبين عبد الله الزبير من البغضاء ... فقال عمرو بن سعيد لعمرو بن الزبير : من رجل نوجه إلى أخيك ؟ قال : لا توجه إليه رجلاً أبداً أنكأ له مني ... فبلغ عبد الله بن صفوان كلمته هذه فحركته ؛ فقال لعبد الله بن الزبير : إني أراك كأنك تريد البقيا على أخيك . فقال عبد الله : أنا أبقي عليه يا أبا صفوان ! واللهِ لو قدرت على عون الذر عليه لاستعنت بها عليه ...)) .

وقد انتهى التباغض بين الشقيقين نهاية منكرة إذ أمر عبد الله بن الزبير بتقييد أخيه وجلده حين أسره ولم يزل يأمر بجلده بالسياط حتى هلك وقد استفظع عبد الله بن الزبير الأسدي قتل عبد الله بن الزبير لأخيه عمرو استفظاعاً شديداً ؛ فقال : [٢]

أَيَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ كَبِيْرَ بني العَوَّامِ إِنْ قِيْلَ مَنْ تَعْني
سَتَعْلَمُ إِنْ جَالَتْ بِكَ الحَرْبُ جَوْلَةً إِذا فُوِّقَ الرامونَ أَسْهُمُ مَنْ تُغني
فَأَصْبَحَتِ الأَرْحامُ حِيْنَ وَلِيْتَها بِكَفَيْكَ أَكْراشاً تَجُرُّ على دِمْنِ
عَقَدْتُمْ لِعَمْروعُقْدَةً وَغَدَرْتُمُ بِأَبْيَضَ كالمِصْبَاحِ في لَيْلَةِ الدَّجْنِ
وَكَبَّلْتَهُ حَوْلاً يَجُودُ بِنَفْسِهِ تَنُوْءُ بِهِ في ساقِهِ حَلَقُ اللَّبْنِ
فَمَا قَالَ عَمْروٌ إِذْ يَجُوْدُ بِنَفْسِهِ لِضَارِبِهِ حتّى قَضَى نَحْبَهُ دَعْني

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم ، ج٦ ، ص ١٩٢-١٩٤ . وانظر كذلك : أبي مخنف : نصوص من تاريخ ، ج٢ ، ص ٦ . واليعقوبي : تاريخ ، م٢ ، ص ٢٦٤ . وابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص ٣٨٠-٣٨١ . وأبي الفـدا : المختصر في تاريخ البشر ، ج١ ، ص ٢٣٥ . وابن كثير البداية والنهاية ، ج٨ ، ص ٥٤٤-٥٤٥.

(٢) عبد الله بن الزبير الأسدي : ديوانه ، يحيى الجبوري، دار الحرية ، بغداد ، ص ١٣٣-١٣٦ . والفـوق بالضم : موضع الوتر من السهم . وفَوَّق السهم : جعل له فوقاً .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تُحَدِّثُ مَنْ لاقَيْتَ أَنَّكَ عَائِذٌ وَصَرَّعْتَ قَتْلَى بَيْنَ زَمْزَمَ والرُّكْنِ
جَعَلْتُمْ لِضَرْبِ الظَّهْرِ مِنْه عِصِيِّكُمُ تُراوِحُهُ وَالأَصْبَحِيَّةَ لِلْبَطْنِ
تُعَذِّرُ مِنْهُ الآنَ لمَّا قَتَلْتَهُ تَفَاوتَ أَرْجَاءِ القليبِ مِنَ الشَّطْنِ
فَلَمْ أَرَ وَفْداً كانَ لِلْغَدْرِ عَاقِداً كَوَفْدِكَ شَدُّوا غَيْرَ مُوفٍ وَلا مُسْنِيَ
وَكُنْتَ كَذاتِ الفِسْقِ لَمْ تَدْرِ مَا حَوَتْ تَخَيَّرُ حَالِيْها أَتَسْرِقُ أَمْ تَزْنِي

وقال يزيد بن الحكم الثقفي يصور ما بينه وبين أخيه عبد ربه من كره وتباعد: (١)

أَخِي يَسُرُّ لِيَ الشّحْنَاءَ يُضْمِرُها حَتّى وَرَى جَوْفَهُ مِنْ غِمْرِهِ الدَّاءُ
حَرَّانُ ذُو غَصَّةٍ جَزّعْتُ غَصَّتَهُ وَقَدْ تَعَرَّضَ دونَ الغَصَّةِ المَاءُ
حَتّى إِذا مَا أَسَاغَ الرِّيْقَ أَنْزَلَنِي مِنْهُ يُنْزِلُ الأَعْداءَ أَعْدَاءُ
أَسْعى فَيَكْفُرُ سَعْيِيْ مَا سَعَيْتُ لَهُ إِنّي كَذَاكَ مِنَ الإِخْوانِ لَقّاءُ
وَكَمْ يَدٍ وَيَدٍ لي عِنْدَهُ وَيَدٍ يَعُدُّهُنَّ تِراتٍ وَهِيَ آلاءُ

وقال محمد بن بشير يعبر عن امتعاضه من بغض شقيقه بشار له ، ومجالسته لأعدائه: (٢)

كَفَاني الذّي ضَيَّعْتَ مِنّي وَإِنَما يُضِيْعُ الحُقُوقَ ظَالِماً مَنْ أَضَاعَها
صَنِيْعَةَ مَنْ وَلاّكَ سُوْءَ صَنِيْعِها وَوَلّى سِواكَ أَجْرَهَا واصْطِناعَها
أَبَى لَكَ كَسْبَ الخَيْرِ رَأْيٌ مُقَصِّرٌ وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللهُ بالخَيْرِ بَاعَها
إِذا هِيَ حَثَّتْهُ على الخَيْرِ مَرَةً عَصاها وَإِنْ هَمّتْ بِشَرٍ أَطَاعَها
فَلَوْلا رِجالٌ كاشِحُونَ يَسُرُّهُمْ أذاكَ، وَقُرْبَى لا أُحِبُّ انْقِطَاعَها
إِذاً بَانَ إِنْ زَلَّتْ بِكَ النَعْلُ زَلَّةً فِراقُ خِلالٍ لا تُطِيْقُ ارْتِجَاعَها
وَأَنّي مَتّى أُحْمَلْ على ذَاكَ أَطّلِعَ عَلَيْكَ عُيُوباً لا أُحِبّ إِطلاعَها(٣)
عَلَيْنا فَمَنْ هذَا يَرُدُّ سَمَاعَها

---

(١) نوري حمودي القيسي : شعراء أمويون ، ق ٣ ، ص ٢٥٢ . والشحناء : الكراهية ، والحقد : والحرّان : الصدى العطشان . والترات : جمع ترة وهي العيب والخطأ . والآلاء : النعيم.

(٢) الأصفهاني : الأغاني، ج١٦، ص ٣٥٤-٣٥٥ ونوري حمودي القيسي : شعراء أمويون، ق٣، ص١٨٧-١٨٨.

(٣) اطّلِع عليكَ عيوباً : أعلمها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَإنْ تَكُ أَحْلامٌ تَرُدُّ إخاءَنَا نَوَاصِحُ تُشْفي مِنْ شُئونٍ صُداعَها[١]
سَأَنْهاكَ نَهْياً مُجْمِلاً وَقَصَائِداً

وكان الحسد هو سبب الكره بين جرير وشقيقه أبي الورد، وقد روى أبو الفرج الأصفهاني ما يشير إلى ذلك فقال[٢] : ((... وُلد جرير لسبعة أشهر... وولد عطية جريراً - وأمه أمُّ قيس بنت مُعيد من بني كلب – وعمراً وأبا الورد . فأما أبو الورد فكان يحسد جريراً ، فذَهب لجرير إبلٌ فشمت به أبو الورد ، فقال له جرير :
أَبَا الوَرْدِ أَبْقَى اللهُ مِنْها بَقِيَّةً كَفَتْ كُلَّ لَوَّامٍ خَذُولٍ وحَاسِدِ))

وعتب ذو الرمة على أخيه هشام لأنه نأى بجانبه عنه ولم يصل رحمه، وكان هشام أغنى منه يقول[٣]:

أَغَرَّ هِشاماً مِنْ أَخِيْهِ ابْنِ أُمّهِ قَوَادِمُ ضَأْنٍ أَقْبَلَتْ وَرَبِيْعُ
وَلا تُخْلِفُ الضَأْنُ الغِزارُ أَخَا النَّدى إِذا حَلَّ أَمْرٌ في الصُّدُورِ فَظِيْعُ
تَباعَدْتَ مِنّي أَنْ رَأَيْتَ حَمُولَتِي تَدانتْ وَأَنْ أحيا عَلَيْكَ قَطِيْعُ
وَلِلُّؤْمِ في صَدْرِ امريء السُّوءِ مَخْدَعٌ إِذا حُنِيَتْ مِنْهُ عَلَيْهِ ضُلُوْعُ
إِذا قُلْتُ: هذا عَامٌ يَعْطِفُ هَاشِمٌ بِخَيْرٍ على ابْنَيْ أُمِّهِ فَيَرِيْعُ
أَبَى ذَاكَ أو يَنْدي الصَّفا مِنْ مُتُونِهِ وَيُجْبَرَ مِنْ رَفْضِ الزُّجاجِ صُدُوْعُ

---

(١) وقصائداً : يريد وأبعث قصائد. والشئون : جمع شأن وهي مواصل عظام الرأس وملتقاها.

(٢) الأصفهاني : الأغاني ، ج٨ ، ص ٢٦١.

(٣) ذو الرمة: الديوان، ص ٢٨١. وانظر كذلك : الأصفهاني:نفسه، ج١٨، ص٢٦.وانظر مثالاً على العلاقة السلبية بين الأشقاء لأسباب مالية الملاحاة بين المغيرة بن حبناء وشقيقه صخر: الأصفهاني ، نفسه ، ج١٣ ، ص ٦٦-٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علاقة العمومة في المجتمع الأموي

١- بعض الجوانب الإيجابية :

لم تحفظ المصادر المختلفة إلا النزر اليسير من الأخبار التي تدل على العلاقة القوية بين أبناء العمومة في المجتمع الأموي، وربما كان سبب ذلك أن العلاقة بين أبناء العمومة تقوم على التنافس؛ ومن الأمثلة القليلة التي تشير إلى حسن العلاقة بينهم، واعتداد بعضهم بمكانة بعض، وافتخاره به قول الفرزدق يخاطب معاوية بن أبي سفيان وقد استرد جائزة عمه الحتاحت لأنه مات بالشام : (١)

أَبُوكَ وَعَمِّي يَا مُعَاوِي أَوْرَثَا تُراثاً فَيَحْتَازُ التُراثَ أَقَارِبُه

وقال الفرزدق يعتد بأنباء عمومته لشدة قرابتهم منه، وشرف مكانتهم، وكبر مجدهم، وسعة حلمهم، وسرعة نجدتهم : (٢)

بَنُو العَمِّ أَدْنَى النَّاسِ مِنَّا قَرَابَةً وَأَعْظَمُ حَيٍّ فِي بَنِي مَالِكٍ رِفْدا
أَرَى العِزَّ والأَحْلاَمَ صَارَتْ إِلَيْهِمُ وَإِنْ ثَوَّبَ الدَّاعي رَأَيْتَهُمُ حُشْدَا
... ...
وَأَصْلُهُمُ أَصلِي وَفَرْعِي إِلَيْهِمُ وَقُدَّتْ سُيُورِي مِنْ أَدِيمُهُمُ قَدَّا

وقال أبو الأسود الدؤلي يصور صفحه عن سفه ابن عمه ورعايته له : (٣)

وَعَوْرَاءَ أَهْدَاها امْرُؤٌ مِنْ عَشِيْرَتِي إِلَيَّ وَمَا بِي أَنْ أَكُونَ لها أَهْلاً
فأَعْرَضْتُ عَنْهُ أَوْجَعَلْتُ جَوابَهُ إِذا مَا التَقَيْنَا أَنْ أَقُولَ لَهُ : مَهْلا
وَأَجْزِيهِ بالحُسْنى وَأَغفِرُ ذَنْبَهُ إِلَيَّ وَلا أَجْزِي بِسَيِّئَةٍ مِثْلا

وقال الراعي النميري يصور دفاعه عن ابن عمه، ونصره له وإن كان متباعداً منه منقطعاً عنه : (٤)

إِنِّي وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَمِّي كَاشِحاً لَمُزَاحِمٌ مِنْ خَلْفِهِ وَوَرَائِهِ

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ، ج٦ ، ص ١٣٥.
(٢) الفرزدق: الديوان، ص ١٢١.
(٣) أبو الأسود الدؤلي : الديوان ، ص ١٨٠ . والعوراء : الكلمة القبيحة .
(٤) الراعي النميري : الديوان ، ص ٢٦١-٢٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَمُفِيْدُهُ نَصْرِي وَإِنْ كَانَ أمْرَاً مُتَزَحْزِحاً فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ[١]
وَأَكُوْنُ وَالِيَ سِرِّهِ فَأَصُوْنُهُ حَتَّى يَحِيْنَ عَلَيَّ وَقْتُ أَدَائِهِ
... ...
وَإِذا اسْتَجَاشَ رَفَدْتُهُ وَنَصَرْتُهُ وَإِذَا تَصَعْلَكَ كُنْتُ مِنْ قُرَنَائِهِ[٢]
وَإِذَا الحَوادِثُ أَجْحَفَتْ بِسَوَامِهِ قُرِنَتْ صَحِيْحَتُنَا إِلَى جَرْبَائِهِ[٣]
وَإِذا أتى مِنْ وَجْهِهِ لِطَرِيْقِهِ لَمْ أَطَّلِعْ مِمَّا وَرَاءَ خِبَائِهِ
وَإِذَا رَأَيْتُ عَلَيْهِ ثَوْباً نَاعِماً لَمْ يُلْفِنِي مُتَمَنِّياً لِرِدَائِهِ
وَإِذَا ارْتَدَى ثَوْباً جَمِيْلاً لَمْ أَقُلْ يَا لَيْتَ أَنَّ عَلَيَّ حُسْنَ رِدَائِهِ
وَمَتَى أَجِئْهُ فِي الشَّدَائِدِ مُرْمِلاً أُلْقِي الّذِي فِي مِزْوَدِي لِوِعَائِهِ[٤]
وَإِذَا جَنَى غُرْماً سَعَيْتُ لِنصْرِهِ حَتَّى أُهِيْنَ كَرَائِمِي لِفِدَائِهِ[٥]

وقال العجير السلولي يصف حزنه الممض لهلاك ابن عمه، وما خلّف له موته من حسرة دائمة : [٦]

تَرَكَنا أَبا الأَضْيَافِ في لَيْلَةِ الصَّبا بَمرٍّ وَمُرْدي كُلَّ خَصْمٍ يُجادِلُهُ
وَأُرْعِيْهِ سَمْعي كُلّما ذُكِرَ الأَسى وَفي الصّدْرِ مِني لَوْعَةٌ مَا تُزايِلُهُ
وَكُنْتُ أُعِيْرُ الدَمْعَ قَبْلَكَ مَنْ بكى فَأَنْتَ على مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ شَاغِلُهُ

وقالت مليكة الشيبانية ترثي عمها مصورةً عظم المصاب به، إذ كان من أهل الخير وأصحاب الرأي والمشورة:[٧]

أَصَبَرْتِ عَنْ عَمّي الذّي قَدْ كَانَ بِالْمَعْروفِ آمِرْ؟
أَصَبَرْتِ عَنْ عَمّي الذَي كَانَ المُؤَامِرَ وَالمُؤَزِرْ؟

---

(١) المتزحزح: المتباعد الذي يغيّر موضعه.
(٢) استجاش : طلب الجيش.
(٣) أجحفت به: ذهبت.
(٤) السوام : الإبل الراعية.
(٥) الغرم: الغرامة وهي ما يلزم أداؤه.
(٦) الأصفهاني: الأغاني ، ج١٣ ، ص ٥٣ . ومَرّ : ماء لبني الأسد. ومُردي الخصوم: الصبور عليها.
(٧) المرزباني : أشعار النساء ، ص ١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقالت أيضاً ترثيه :[١]

مَا بَالُ دَمْعِكَ يا مليْكَةُ جَارِ أَمْ مَا لِقَلْبِكِ لا يَقَرُّ قَرارِ؟
أَمْ لِنَفْسِكِ لِيْسَ يَسْكُنُ حُزْنُها لَيْلاً، ولَيْسَ نَهَارُها بِنَهَارِ؟
جَزَعاً على مَنْ كَانَ يَجْمَعُ شَمْلَنا وَنُعِدُّه لِنوائِبٍ وَعَثَارِ
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ دَفْعَ ذلك لَمْ تَكُنْ يا عَمِّ بَيْنَ نَضَائِدٍ وَغُبارِ
أَلْقَيْتُ جِلْبابِي لِعِظَمِ رَزِيّتِي وَبَرَزْتُ سَافِرةً بِغَيْرِ خِمارِ

٢- بعض الجوانب السلبية :

كان بعض أبناء العمومة يتنافسون ويتحاسدون، ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة يلوم ابن عم له لإعراضه عنه وكرهه له بغير ذنب اقترفه، مردداً أن ابن عم المرء سند له، وأنه إن نأى عنه ضعف جانبه، وأنه يروم وده وعونه، لأنهما من أصل واحد، ولأن مصالحهما مشتركة :[٢]

أَلاَ مَنْ يَرَى رَأْيَ امْرِيءٍ ذِي قَرَابَةٍ أَبَتْ نَفْسُهُ بِالْبُغْضِ إلاَّ تَطَلُّعَا
وَمَا ذَاكَ مِنْ شَيْءٍ أَكُوْنُ اجْتَنَيْتُهُ إِلَيْكَ وَمَا حَاوَلْتُ سُوْءًا فَيُمْنَعَا[٣]
وَكَانَ ابْنُ عَمِّ المَرْءِ مِثْلَ مِجَنِّهِ يَقِيْهِ إِذَا لاَقَى الْكَمِيَّ المُقَنَّعَا
إِذا مَا ابْنُ عَمِّ المَرْءِ أَفْرَدَ رُكْنَهُ وَإِنْ كَانَ جَلْداً ذا عَزَاءٍ تَضَعْضَعَا[٤]
فَنَصْرَكَ أَرْجُو، لاَ العَدَاوَةَ، إِنَّما أَبُوكَ أَبِي، وَإِنَّمَا صَفْقُنَا مَعَا
...
فَإِنْ يُوْسِرِ المَوْلَى فَإِنَّكَ حَاسِدٌ وَإِنْ يَفْتَقِرْ لاَ يُلْفِ عِنْدَكَ مَطْمَعا

(١) المرزباني : أشعار النساء ، ص ١٩٨-١٩٩.
(٢) عمر بن أبي ربيعة:الديوان ، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ، القاهرة ،ص ١٨٤- ١٨٥.
(٣) المجن : الترس الذي يتقي به الفارس سيوف الأعداء . والكمي: المتغطي بسلاحه.
(٤) أفرد ركنه : أراد جعله وحيداً . وتضعضع : ضعف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال يزيد بن الحكم الثقفي يصور بغض ابن عم له، وأنه يتصنع الابتسامة له، ويضمر له الشر، وأنه يلقاه بالقول الحسن، فإذا غاب عنه سلقه بلسانه، وأخذ في عيبه، وشمله بشره، ومنع عنه خيره : [١]

تُكَاشِرُني كُرْهَاً كَأَنّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدي أَنَّ صَدْرَكَ لي دَوي[٢]
لِسَانُكَ ليْ أَرْيٌ وَغَيْبُكَ عَلْقَمٌ وَشَرُّكَ مَبْسوْطٌ وَخَيْرُكَ مُلْتَوي[٣]
...
لَعَلّكَ أَنْ تَنْأَى بِأَرْضِكَ نِيّةً وَإِلاّ فَإِنِّي غَيْرَ أَرْضِكَ مُنْتَوي[٤]
...
تَمَلأتَ مِنْ غَيْظٍ عَلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ بِكَ الغَيْظُ حَتَّى كِدْتَ في الغَيْظِ تَنْشَوي
مَمَا بَرِحَتْ نَفْسٌ حَسُودٌ حُشِيْتَها تُذِيْبُكَ حَتَّى قِيْلَ : هَلْ أَنْتَ مُكْتَوي
وَقَالَ النِّطاسِيُّونَ إِنّكَ مُشْعَرٌ سُلالاً ألابل أَنْتَ مِنْ حَسَدٍ جَوي[٥]

وقال أرطاة بن سُهَيَّة يصف ما بينه وبين أبناء عمومته من قطيعة وَبَغْضة وعداوة: [٦]

وَنَحْنُ بَنُو عَمٍّ عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا زَرَابِيٌّ فِيْهَا بِغْضَةٌ وَتَنَافُسُ[٧]
وَنَحْنُ كَصَدْعِ العُسِّ إِنْ يُعْطَ شاعِباً يَدَعْهُ وَفِيْهِ عَيْبُهُ مُتَشاخِسُ[٨]
كَفَى بَيْنَنا أَنْ لاَ تُرَدَّ تَحِيَّةٌ على جَانِبٍ ولا يُشَمَّتَ عَاطِسُ

---

(١) نوري حمودي القيسي: شعراء أمويون ، ق٣، ص ٢٧٤-٢٧٨.
(٢) الدَوي: وصف من الدَوي بفتح الدال وهو المرض.
(٣) الأري: العسل.
(٤) منتوي : متوجه وقاصد.
(٥) النطاسيون : العلماء بالطب . والسُلال بضم السين: مرض السل. والجوي : من الجوى وهو داء القلب.
(٦) التبريزي : شرح ديوان الحماسة ، ج١ ، ص ٣٧٥-٣٧٦.
(٧) الزرابي: العدوات.
(٨) العُس: القدح الضخم. والمتشاخس: المتفاوت . وانظر مثالاً آخر على تباغض أبناء العمومة في المجتمع الأموي هجاء الأقيشر الأسدي ابن عمه : الديوان، ص ٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وســـاءت العلاقة بين بعض أبناء العمومة حتى قتل بعضهم بعضاً لأسباب مختلفـــة. (١)

وكان اختلاف الرأي في بعض الأمور الاجتماعية يجر الخصومة بين بعض أبناء العمومة، قال أبو الفرج الأصفهاني(٢) : ((كانت لعم القتّال سُرِّية ، فقال له القتّال : لا تطأها، فإنا قوم نُبغض أن تلد فينا الإماء ، فعصاه عمّه ، فضربها القتّال بسيفه فقتلها، فادّعى عمه أنه قتلها وفي بطنها جنين منه، فمشى القتّال إليها فأخرجها من قبرها، وذهب معه بقوم عدول، وشق بطنها وأخرج رحمها حتى رأوه لا حمل فيه ، فكذّبوا عمه، فقال في ذلك :

أَنا الذّي انْتَشَلْتُها انْتِشالاَ ثُمَّ دَعَوْتُ غِلْمَةً أَزْوالا))

وقال بشر بن المغيرة بن أبي صفرة يصف خلافاً نشب بينه وبين عمه المهلب وابنيه المغيرة ويزيد، لأنه اطَّرحه وأهمله ولم يصله : (٣)

جَفَاني الأَمِيْرُ وَالمُغِيْرَةُ قَدْ جَفَا وَأَمْسَى يَزِيْدُ لِيَ قَدْ ازْوَرَّ جَانِبُهْ
وَكُلُّهُمُ قَدْ نَالَ شِبْعاً لِبَطْنِهِ وَشَبْعُ الفَتَى لُؤْمٌ إِذَ جَاعَ صَاحِبُهْ
فَيَاعَمِّ مَهْلاً واتَّخِذْنِي لِنَوْبَةٍ تَنُوبُ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ عَجَائِبُهْ
أَنَا السَّيْفُ إِلاَّ أَنّ لِلسَّيْفِ نَبْوَةً وَمِثْلِيَ لا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهْ

(١) انظر أمثلة على ذلك: قتل هدبة بن الخشرم ابن عمه زيادة : الأصفهاني: الأغاني ، ج٢١ ، ص ٦٦ وما بعدها . وقتل القّتال الكلابي ابن عمه زياد بن عبيد الله : المصدر نفسه : ج٢٤ ، ص ٢٩٩ وما بعدها.

(٢) الأصفهاني : الأغاني ، ج٢٤ ، ص ٣١٣.

(٣) التبريزي: شرح ديوان الحماسة ، ج١ ، ص ٢٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علاقة الخؤولة في المجتمع الأموي

١- بعض الجوانب الإيجابية

كان الرجل يزداد شرفاً ورفعة إذا اجتمع له كرم النسب من جهة أبيه وأمه، وقد اعتد العرب في المجتمع الأموي بذلك اعتداداً شديداً، وتمجَّدوا به تمجُّداً كثيرا، ومن ذلك قول الفرزدق يفتخر بأخواله من بني ضبة، وكانوا في الذروة العليا من الشرف والعِزَّة:(١)

نَمَانِي بَنُو سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ فَانْتَسِبْ إِلى مِثْلِهِمْ أَخْوَال هَاجٍ مُراجِمِ
وَضَبَّةُ أَخْوَالِي هُمُ الهَامَةُ الَّتِي بِهَا مُضَرٌ دَمَّاغَةٌ لِلْجَمَاجِمِ

وكان لأخواله يد بيضاء عنده؛ إذ خاطروا بحياتهم من أجل إخفائه من رجال زيـــاد بن أبيه حين طلبه أثناء ولايته البصـــرة لمعاوية بن أبي سفيان، قال الطبري يروي عنـــه (٢): ((قال الفرزدق: فطلبت أشد طلب حتى جعل من كان يؤويني يخرجني من عنده، فضاقت عليَّ الأرض ، فبينا أنا ملفف رأسي في كسائي على ظهر الطريق إذ مر بي الذي جاء في طلبي ، فلما كان الليل أتيت بعض إخوالي من بني ضبة وعندهم عرس، ولم أكن أطعمت قبل ذلك طعاماً فقلت : آتيهم فأصيب من الطعام . قال: فبينا أنا قاعد إذ نظرت إلى هادي فرس، وصدر رمح قد جاوز باب الدار داخلاً إلينا، فقاموا إلى حائط قصب فرفعوه فخرجت منه وألقوا الحائط فعاد مكانه ، ثم قالوا ما رأينا وبحثوا ساعة ثم خرجوا، فلما أصبحنا جاؤني فقالوا : اخرج إلى الحجاز عن جوار زياد لا يظفر بك ، فلو ظفر بك البارحة أهلكتنا ...)).

وقال القطامي يفخر بأخواله من تميم : (٣)

فَخَالي الشَيْخُ صَعْصَعَةُ بنُ سَعْدٍ وَتُنْمِيْني لأَكْرَمِها تَمِيْمُ
وَتَرْفِدُني الأَراقِمُ كُلَّ رِفْدٍ وَشَيْبانُ بنُ ثَعْلَبَةَ القُرُومُ

---

(١) الفرزدق : الديوان ، ص ٦٢١ . وانظر أمثلة أخرى على فخره بأخواله: المصدر نفسه: ص٤٩٢، ٦١٠، ٦١٥.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ج٦ ، ص ١٣٧.

(٣) القطامي: الديوان ، إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة ، بيروت ، ص ١١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وافتخر أبو دهبل الجمحي بأخواله من هذيل فقال : [١]

أَنا ابْنُ الفُرُوعِ الكِرامِ التّي هُذَيْلٌ لأبْياتِها سَائِلَهْ
هُمْ وَلَدُونِي وَأَشْبَهْتُهُمْ كَمَا تُشْبِهُ اللَيْلَةُ القَابِلَهْ

وروى أبو الفرج الأصفهاني مفاخرة بالأخوال بين جميل بن معمر ورجلٍ يدعى خوّات فقال[٢] : ((أخبرني الحرمي ... أن رجلاً من بني عذرة كان يُقال له خَوّات، أمه بَلَويَّة، وكان شاعراً، وكان جميل ابن جذامية ، فخرج جميل إلى أخواله بجذام وهو يقول:

جُذَامُ سُيوفُ اللهِ في كُلِّ مَوْطِنٍ إذا أَزمَتْ يَوْمَ اللِّقَاءِ أَزَامِ
هُمُ مَنَعوا مَا بَيْنَ مِصْرَ فَذي القُرى إلى الشَأْمِ مِنْ حِلٍّ بِهِ وَحَرَامِ
بِضَرْبٍ يُزِيْلُ الهَامَ عَنْ سَكَنَاتِهِ وَطَعْنٍ كإيزَاغِ المَخَاضِ تُوَامِ
إذَا قَصُرَتْ يَوْماً أَكُفٌّ قَبِيْلَةٍ عَنِ المَجْدِ نَالَتْهُ أَكُفُّ جُذَامِ

فأعطوه مائة بكرة. قال: وخرج خوّات إلى أخواله من بَلِيّ وهو يقول:

إنَّ بَلِيّاً غُرَّةٌ يُهْتَدَى بِها كَمَا يَهْتَدي السَارِي بِمُطَّلَعِ النَجْمِ
هُمُ وَلَدوا أُمِّي وَكُنْتُ ابنَ أُخْتِهِم وَلَمْ أَتَخَوَّلْ جِذْمَ قَوْمٍ بِلا عَلَمِ

قال : فأعطوه مائة غُرة ما بين فرس إلى وليدة ، ففخر على صاحبه ...)).

وانتصرت كندة لعلي بن عبد الله بن عباس حين استدعاه مسلم بن عقبة المري ليبايع ليزيد بن معاوية أنفاً لخؤولته فيهم، قال المسعودي[٣]: ((دخل مسلم المدينة فانتهبها ثلاثة أيام، وبايع من بقي من أهلها على أنهم قن ليزيد،...غير علي بن الحسين بن علي

---

(١) أبو دهبل الجُمحيّ: الديوان ، عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة النجف الأشرف ، بغداد ، ص٤٥.

(٢) الأصفهاني: الأغاني ، ج٨، ص ٣١٩-٣٢٠. وأزَام: شدة. والجذم: الأصل . وتخول: اتخذ خالاً.

(٣) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٢٦٤. وقد روى ابن الأثير : الكامل، ج٣، ص٤٦١، ثلاثة أبيات قالها علي بن عبد الله بن عباس يمدح فيها أخواله من كندة:

أَبي العَباسُ قَرْمُ بَني قُصَيٍّ وَأَخْوالي المُلُوكُ بَنُو وَلِيْعهْ
هُمُوا مَنَعوا ذِمَاري يَوْمَ جَاءَتْ كَتَائِبُ مُسْرِفٍ وَبَنو اللَكِيْعَهْ
أَرادوني التّي لا عِزَّ فِيْها فَحَالَتْ دُونَهُ أَيْدٍ سَرِيْعَهْ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بن أبي طالب، لأنه لم يدخل في ما دخل فيه أهل المدينة، وعلي بن عبد الله بن العباس، فإن من كان في الجيش من أخواله من كندة منعوه)).

٢- بعض الجوانب السلبية:

حمل بعض أفراد المجتمع الأموي على أخوالهم، وهجوهم هجاء مقذعا لأسباب متعددة من أهمها خذلانهم لهم عند الحاجة، وعدم توفير الحماية لهم، ومن ذلك هجاء منير بن صخر بن يعمر الراسبي لأخواله لأنهم لم يجيروه من عبيد الله بن زياد إذ يقول:(١)

وَجَدْتُ بَنِي قَيْسٍ لِئاماً أَذِلَّةً كَثِيْراً خَناهُمْ ضِحْكَةً في المَحافِلِ
وَجَدْتُهُمُ لمّا أَتَيْتُ بِلادَهُمْ ضِعَافاً قُواهُمُ نُهْزَةً لِلْقبائلِ

وهجا سلامة بن سيّار أخواله لأنهم خذلوا شقيقه فضالة فقتل إذ يقول : (٢)

وَمَا خِلْتُ أَخْوالَ الفتَى يُسْلِمُونَهُ لِوَقْعِ السِلاحِ قَبْلَ مَا فَعَلَتْ نَصْرُ

وتبرأ القتّال الكلابي من أخواله بني العجلان، وهجاهم هجاءً مقذعاً لأنهم قبلوا الدية عن قتيلٍ لهم قتله بنو جعفر بن كلاب، فعد القتال ذلك عاراً ألحق به، إذ يقول في ذلك: (٣)

لَعَمْري لَحَيٌّ مِنْ عُقَيْلٍ لَقِيْتُهُمْ بِخَطْمَةَ أَوْ لاَقَيْتُهُمْ بِالمْنَاسِكِ
عَلَيْهِمْ مِنَ الحَوْكِ اليَمانيِّ بِزَّةٌ عَلى أَرْحَبِيَّاتٍ طِوالِ الحَوارِكِ
أَحَبُّ إِلى نَفْسي وَأَمْلَحُ عِنْدَها مِنَ السَّرَواتِ آلَ قَيْسِ بنِ مَالِكِ
إِذا مَا لَقِيْتُمْ عُصْبَةً جَعْفَرِّيَةً كَرِهْتُمْ بَنِي اللَّكْعاءِ وَقْعَ النَيازِكِ
فَلَسْتُمْ بِأَخْوالي فَلا تَصْلُبُنِّي وَلكِنَّما أُمِّي لإِحْدى العَواتِكِ
قِصَارُ العِمَادِ لا تُرى سَرَوَاتِهِمْ مَعَ الوَفْدِ جَثَّامُونَ عِنْدَ المَبارِكِ

---

(١) إحسان عباس : شعر الخوارج، ص ٣١-٣٢.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ، ج٧ ، ص ٢٢٢ . وانظر كذلك : أبي مخنف: نصوص من تاريخ ،ج٢، ص٢٥٢. وابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص ١٥٣-١٥٤.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج٢٤، ص ٣٠٤-٣٠٥. وانظر كذلك : القتّال الكلابي : الديوان، إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت ، ص ٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قُتِلْتُمْ فَلمَّا أَنْ طَلَبْتُمْ عُقِلْتُمُ كَذَلِكِ يُوْتَى بِالذَّلِيْلِ كَذَلِكِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعاتب قيس بن ذريح خاله الذي تنكر له في الشدة والجدب، فاستأثر ببحبوبة العيش من دونه، ولم يقدم له العون حين احتاج إليه إذ يقول : (١)

أُنبِئْتُ أَنَّ لِخَالِي هَجْمَةً حُبُساً كَأَنَّهُنَّ بِجَنْبِ المِشْعَرِ النُّصُلُ(٢)
قَدْ كُنْتَ فِيما مَضَى قِدْمَاً تُجَاوِرُنَا لاَ نَاقَةٌ لَكَ تَرْعَاهَا وَلاَ جَمَلُ
مَا ضَرَّ خَالِيَ عَمْراً لَوْ تَقَسَّمَها بَعْضُ الحِياضِ وَجَمَّ البِئْرِ مُحْتَفِلُ

وقتل توبة بن مضرّس السعدي خاله ثائراً لأخيه، مفتخراً برفضه قبول الدية إذ يقول مخاطباً أمه : (٣)

بَكَتْ جَزَعَاً أُمِّي رُمَيْلَةُ أَنْ رَأَتْ دَمَاً مِنْ أَخِيْها في المُهَنَّدِ بَاقِيا
فَقُلْتُ لَهَا لا تَجْزَعِي إِنَّ طَارِقَاً خَلِيْلِي الَّذي كَانَ الخَلِيْلَ المُصَافِيا
وَمَا كُنْتُ لَوْ أُعْطِيْتُ أَلْفَي نَجِيْبَةٍ وَأَوْلاَدَهَا لَغْواً وَسِتِّينَ رَاعِيَا
لأَقْبَلَهَا مِنْ طَارِقٍ دُونَ أَنْ أَرَى دَماً مِنْ بَنِي حِصْنٍ عَلَى السَّيْفِ جَارِيَا
وَمَا كَانَ في عَوْفٍ قَتِيْلٌ عَلِمْتُهُ لِيُوفِيَنِي مِنْ طَارِقٍ غَيْرُ خَالِياً

---

(١) قيس بن ذريح: الديوان، عفيف نايف حاطوم، دار صادر ، بيروت ، ص ٩٦.

(٢) الهجمة من الإبل : ما بين السبعين إلى المائة . وحُبُساً : الإبل كانت تحبس عند البيوت لكرمها. والمشعر : الشجر الملتف.

(٣) أبو تمام : الوحشيات، عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف، القاهرة ،ص ٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

العوامل المؤثرة في العلاقات الأسرية عند بني أمية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العامل السياسي : التنافس على الخلافة وأثره.

تزخر المصادر التاريخية والأدبية بأخبار الأسرة الأموية؛ فتسرد الأحداث التي رافقت هذه الدولة منذ نشوئها حتى اندثارها، وتورد عرضاً الخلافات التي نشبت بين أفرادها دون الاهتمام بالعوامل التي أسهمت في نشوء هذه الخلافات وأدت في نهاية المطاف إلى تقويض دعائم حكم هذه الأسرة.

١- التنافس بين الفرعين السفياني والمرواني:

ولعل العامل السياسي المتمثل بالتنافس والتنازع على الخلافة كان من أبرز العوامل التي أسهمت إسهاماً كبيراً في رسم ملامح الوشائج الأسرية بين أبناء هذه الأسرة؛ إذ ظهر دور هذا العامل في نشوب الخلافات بين الفرعين السفياني والمرواني؛ بمجرد وفاة معاوية بن يزيد؛ وهو ما يؤكده إحسان النص بقوله[١] : ((... ولكن بني أمية أنفسهم ما لبثوا بعد وفاة معاوية الثاني أن ظهر التنازع بينهم على الخلافة. نشب الصراع أول الأمر بين الفرع السفياني وكان يريد مبايعة خالد بن يزيد، والفرع المرواني وكان يجنح إلى مبايعة مروان بن الحكم ...)) -.

وقد سبق الخلاف على الخلافة بين الفرعين السفياني والمرواني ارهاصات مهدت له قبل وفاة معاوية بن يزيد، إذ حمل عليه أفراد البيت الأموي حملة نكراء بسبب تنازله عن الخلافة ورفضه تولية أحد منهم ولاية العهد بعده ؛ وقد صور البلاذري لحظات حياته الأخيرة ورفضه العهد بالخلافة لأحد من بني أمية فقال[٢] :((... فلما ثقل قيل له لو عهدت عهداً فقال : والله ما نفعتني حياً أفتحملها ميتاً، والله لا يذهب بنو أمية بحلاوتها القليلة وأتحمل مرارتها الطويلة ...))

(١) إحسان النص: الخطابة العربية، دار المعارف، مصر، ص ٧٠.

(٢) البلاذري : أنساب ، ج٥،ص٢٢٢٣ . وانظر كذلك : ابن عبد ربه : العقد ، ج٥ ، ص ١٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستشعر أفراد الأسرة الأموية الخطر بإمكانية ضياع الخلافة وخروجها من البيت الأموي، مما جعل بعضهم يندد بمعاوية بن يزيد ويصفه بالمهانة؛ يقول البلاذري[١]:((دخل مروان بن الحكم على معاوية بن يزيد فقال له : لقد أعطيت من نفسك ما يُعطى الذليل المهين، ثم رفع صوته فقال: من أراد أن ينظر في خالفة آل حرب بن أمية فلينظر إلى هذا ، فقال له معاوية: يا ابن الزرقاء اخرج عني لا قبل الله لك عُذراً يوم تلقاه)).

وحتى أمّه لم ترحمه في هذا الموقف وتمنت أنها لم تنجبه وتربيه حتى يصل إلى هذا المستوى من الضعف ؛ قال البلاذري[٢]: ((... فقالت له أمّه أمّ هاشم : لوددت يا بنيَّ أنك كنت نَسْيّاً منسياً وأنك لم تضعف هذا الضعف)).

وبدأ الخلاف يتجذر بعد اعتراض خالد بن يزيد بن معاوية على اختيار الناس لمروان بن الحكم وتفضيلهم له عليه لكبر سنه، واتهم حسان بن مالك بن بحدل بالعجز عن أخذ البيعة له؛ قال الطبري [٣]: ((... فدعا حسان بن مالك بن بحدل خالد بن يزيد فقال : أبُنّيَّ أختي إن الناس قد أبوك لحداثة سنك وإني والله ما أريد هذا الأمر إلا لك ولأهل بيتك وما أبايع مروان إلا نظراً لكم ...))

وازداد الخلاف سوءاً بعد أن تزوج مروان بن الحكم فاختة ابنة ابي هاشم (أم خالد) بنصيحة من عمرو بن سعيد بن العاص وعبيد الله بن زياد [٤]؛ إذ أحس خالد بالإهانة وعرف مقصد مروان من هذا الزواج، فحاول ثني أمه عنه لكنها لم تحترم مشاعره وقبلت الزواج ؛ وقد روى المدائني الحوار الذي دار بين خالد بن يزيد وأمه ومفاده[٥] : ((أن مروان غزا أهل مصر فامتنعوا منه، وتحصنوا فقاتلهم حتى ظهر عليهم، ثم رجع إلى الأردن فخطب أم خالد فدعت ابنها فذكرت له ذلك فنهاها، وقال واللهِ ماله

---

(١) المصدر نفسه: ج٥،ص٢٢٢٥.

(٢) البلاذري: أنساب، ج٥،ص٢٢٢٦ . وانظر كذلك : المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٨٢.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم ، ج٧ ، ص ٣٨.

(٤) انظر في هذه النصيحة، الطبري نفسه : ج٧ ، ص ٤١. وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٥٧، ص٢٦٠-٢٦١.

(٥) البلاذري : نفسه ، ج٨ ، ص ٢٥٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيك حاجة وما يريد إلا فضيحتي والتقصير بي واسقاط منزلتي في الناس، فأبـــت إلا أن تُزَوَّجَهُ ...))

وأسفر هذا الخلاف عن قتل مروان على يد أم خالد حين تنقص ابنها وأهانه على الملأ فيما تشير إليه أكثر الروايات. (١)

٢- الصراع بين عبد الملك بن مروان وولد سعيد بن العاصي... بن أمية وأثره.

وكان عبد الملك بن مروان في سبيل المحافظة على الخلافة قد قتل أميـــراً مـــن أمراء بني أمية هو عمرو بن سعيد بن العاص حين طالب عبد الملك بتوليته العهـــد مـــن بعده؛ مستنداً إلى إجماع الناس على بيعته بعد خالد بن يزيد في الجابية (٢)، فرفض عبد الملك ذلك مما دفع عمراً إلى ترك الجيش الذي قاده عبد الملك لقتال مصعب بن الزبيـــر، والعودة إلى دمشق وخلع عبد الملك، فعاد الأخير وحاصر دمشق وخدع عمرو بن ســـعيد بعد أن مناه بولاية العهد، فسالمه ثم احتال له فقتله مضيفاً بهذه الخطوة حلقة جديدة مـــن حلقات العداء الأسري بين أفراد البيت الأموي بسبب الصراع على الخلافة. (٣)

ولم يكتفِ عبد الملك بقتل عمرو بن سعيد؛ بل أعلن عن مكافأة مالية مجزية لمن يأتي بأولاده، فأُلقِيَ القبض عليهم، فأمر بنفيهم إلى الكوفة فانضم يحيى بـــن ســـعيد إلـــى

---

(١) البلاذري: أنساب، ج٥، ص٢٢٣٣. وأبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال ، ص ٢٦٢ . واليعقوبي : تاريخ، م٢، ص ٢٥٧. والطبري : تاريخ الأمم ، ج٧ ، ص ٨٣ – ٨٤ .وابن عبد ربه: العقد ، ج٥،ص ١٣٨ . والمسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٩٧–٩٨. وابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق، ج٥٧،ص٢٦٣ وص ٢٧٥. وابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص ١٣–١٤ . وأبي الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج١ ، ص ٢٤١ . وابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨ ، ص ٦٥٧.

(٢) انظر في هذا الإجماع: الطبري: نفسه، ج٧، ص ٣٨ . وابن الأثير: نفسه ، ج٣، ص ٤٧٩.

(٣) انظر تفاصيل حادثة مقتل عمرو بن سعيد: الزبيري : نسب قريش، نشر ليفي بروفنسال، دار المعارف ، القاهرة ، ص ١٧٩. وابن الكلبي : جمهرة النسب، ناجي حسن، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية بيروت ، ص ٤٥. والبلاذري : نفسه، ج٦ ، ص ٥٨–٦٧. والطبري: نفسه، ج٧ ، ص ١٧٥–١٨١ . وابن عبد ربه : نفسه ، ج٥ ، ص ١٤٧–١٤٨ . وابن الأثير : نفسه، ج٤ ، ص ٨٦–٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصعب بن الزبير ضد بني أمية؛ وقد روى البلاذري هذا الخبر بقوله[١]:((وأمر عبد الملك فنودي : من أتى بيحيى بن سعيد أو بأحد من ولد سعيد فله ألف دينار، فأخذوا جميعاً من ساعتهم فأمر بإشخاصهم إلى الكوفة فصار يحيى مع مصعب بن الزبير)) .

واشتعلت الحرب الكلامية بين بني أمية بعد هذه الحادثة، فهجا يحيى بن الحكم ابن أبي العاص بني مروان لغدرهم بعمرو وشبههم ببغاث الطير المجتمعة على صقر، معبّراً عن اندهاشه من قتل أولي القربى بعضهم بعضاً من أجل الدنيا والتكالب عليها وذلك بقوله : [٢]

أعَيْنَيَّ جودا بالدمُوعِ على عَمْرو عَشِيَّةَ شَدَّدْنا الخِلافَةَ بِالغَدْرِ
كَأَنَّ بَنِي مَرْوانَ إِذْ يَقْتُلونَهُ بُغَاثٌ مِنَ الطَيْرِ اجْتَمَعْنَ على صَقْرِ
فَرُحْنا وَرَاحَ الشامتونَ بِنَعْشِهِ كَأَنَّ على أَكْتافِها فِلَقُ الصَخْرِ
لَحا اللّهُ دُنْيا تُدْخِلُ النَارَ أَهْلَها وتَهْتِكُ ما دونَ المَحارِمِ مِنْ سِتْرِ
وَمَا كانَ عَمْروٌ عَاجِزاً غَيْرَ أَنَّهُ أَتَتْهُ المَنايا بَغْتَةً وَهو لا يَدْري

وهجا يحيى بن سعيد شقيق عمرو بني مروان، معّيراً إياهم بلقب أبيهم (خيط باطل) [٣] موحياً بعدم كفاءة ولي عهد عبد الملك عبد العزيز بن مروان الذي ضُرب حداً لتناوله الخمر وذلك إذ يقول . [٤]

---

(١) البلاذري : نفسه، ج٦،ص٦٤ . وانظر كذلك الزبيري : نفسه ، ص ١٨٠. والطبري : نفسه ، ج٧ ، ص ١٧٩ . وابن عبد ربه: نفسه: ج٥، ص١٤٦-١٤٨ ، وابن الأثير : نفسه ، ج٤ ، ص ٨٩.

(٢) البلاذري : أنساب ، ج٦ ، ص ٦٥. وانظر كذلك الزبيري: نسب قريش ، ص ١٧٩.

(٣) قال الثعالبي : " وكان مروان بن الحكم يقال له خيط باطل لأنه كان طويلاً مضطرباً ..." الثعالبي : ثمار القلوب، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ص ٧٦ . وقال أيضاً : " ... وكان مروان بن الحكم مفرط الطول مع الدقة فُلّقب خيط باطل وفيه يقول الشاعر :

لحى الله قَوْماً أَمَّروا خَيْطَ باطلٍ على الناس يُعطي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ

الثعالبي : لطائف المعارف، إبراهيم الإبياري وحسن حامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ص ٣٥ - ٣٦.

(٤) البلاذري: نفسه، ج٦ ، ص ٦٥. والزبيري : نفسه ، ص ١٧٩. وكان مصعب بن عبد الرحمن بن عوف قد ضرب عبد العزيز في شراب، ويقال بل حَدَّه عمرو بن سعيد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غَـــدَرْتُم بِعَمْـــروٍ يـــا بنـــي خَـــيْطِ باطِـــلٍ وَمِـــثْلُكُمُ يَبْنـــي البُيُـــوتَ علـــى الغَـــدْرِ
وَدِدتُ وَبَيْـــــتِ اللّـــــهِ أَنّـــــي فَدَيْتُـــــهُ وَعَبْدَ العَزيزِ يَـــوْمَ يُضْـــرَبُ فـــي الخَمْـــرِ

٣- التنافس بين المروانيين ودور ولاية العهد فيه:

أ- عبد الملك بن مروان وعبد العزيز بن مروان:

وساهم الأسلوب الذي اتبعه مروان بن الحكم في ولاية العهد في إذكاء نار الخلاف بين أفراد الأسرة الأموية حين عهد بولاية العهد من بعده لابنه عبد الملك، ثم لأخيه عبد العزيز، مما أدى إلى زرع بذور الشقاق بينهما بسبب رغبة عبد الملك خلع عبد العزيز ليولي ابنه الوليد ولاية عهده بتحريض من الحجاج سنة خمس وثمانين للهجرة؛ يقول الطبري مصوراً هذا الخلاف السياسي بينهما [١]: ((... ولما أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز ويبايع لابنه الوليد كتب إلى أخيه أن رأيت أن تصيّر هذا الأمر لابن أخيك فأبى. فكتب إليه فاجعلها له من بعدك فإنه أعز الخلق على أمير المؤمنين. فكتب إليه عبد العزيز: أرى في أبي بكرة بن عبد العزيز ما ترى في الوليد. فقال عبد الملك: اللهم إن عبد العزيز قطعني فاقطعه...))

ونتيجة لهذا النزاع الأخوي على ولاية العهد حاول عبد الملك بن مروان أن ينغص على شقيقه حياته حين طالبه برفع خراج مصر إليه؛ فرد عليه عبد العزيز برسالة تبين دور الخلاف السياسي في حدوث المناكدة بين أفراد الأسرة الأموية ؛ وقد روى الطبري هذه الرسالة ونصها[٢] : ((... فكتب إليه عبد الملك : احمل خراج مصر: فكتب إليه عبد العزيز: يا أمير المؤمنين إني وإياك قد بلغنا سنّاً لم يبلغ أحدُ من أهل بيتك إلا

(١) الطبري : تاريخ الأمم، ج٨، ص ٥٤-٥٥، وانظر كذلك البلاذري: أنساب، ج٧، ص ٢٩٧٧. وابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٣٢. وابن كثير: البداية والنهاية ، ج٩، ص٧٢.

(٢) الطبري: نفسه ، ج٨، ص ٥٤-٥٥. وابن الأثير : نفسه ، ج٤، ص٢٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان بقاؤه قليلاً، وإني لا أدري ولا تدري أيّنا يأتيه الموت أولاً، فإن رأيــت أن لا تغثــث علي بقية عمري فافعل...))

ب- الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك:

وقد توارث الخلفاء بعد مروان أسلوبه في توليه العهد لغير ابن؛ إذ عهد عبد الملك بن مروان لأولاده جميعاً من بعده؛ فأدى ذلك إلى نشوء الخلافات بين الأشقاء من جديد وبالأسلوب نفسه حين أراد الوليد بن عبد الملك خلع سليمان والبيعة لابنه عبد العزيز؛ وقد روى الطبري تفاصيل محاولة الوليد فقال[١] : ((... وفي هذه السنة كان الوليد أراد الشخوص إلى أخيه سليمان لخلعه وأراد البيعة لابنه من بعده وذلك قبل مرضته التي مات فيها. حدثني عمر قال: حدثنا علي قال: كان الوليد وسليمان وليَّي عهد عبد الملك فلما أفضى الأمر إلى الوليد أراد أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان فأبى فعرض عليه أموالاً كثيرة فأبى، فكتب إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز، ودعا الناس إلى ذلك فلم يجبه أحدٌ إلا الحّجاج وقتيبة وخواصّ من الناس فقال عباد بن زياد: إنَّ الناس لا يجيبونك إلى هذا ولو أجابوك لم آمنهم على الغدر بابنك فاكتب إلى سليمان فليقدم عليك فإن لك عليه طاعة فأرده على البيعة لعبد العزيز من بعده فإنه لا يقدر علىالامتناع وهو عندك فإن أبى كان الناس عليه. فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم فأبطأ فاعتزم الوليد على المسير إليه وعلى أن يخلعه فأمر الناس بالتأهب وأمر بحجرة فأخرجت فمرض ومات قبل أن يسير وهو يريد ذلك ...))

واللافت أن الوليد لجأ إلى أسلوب الإغراء بالمال لخلع شقيقه؛ وحين لم يفلح قرر اللجوء للشدة متناسياً الرابطة الأسرية القوية التي تجمعه بشقيقه.

ويلفت الانتباه أيضاً تدخل الرعية في اذكاء نار الفتنة بين أفراد الأسرة الحاكمة؛ فقد مر سابقاً أن عبد الملك حاول خلع عبد العزيز بتحريض من الحجاج، ويلاحظ هنا دور عباد بن زياد في هذا الأمر، مما يعني أن أفراد الأسرة الحاكمة كانوا يسمحون للآخرين بافساد روابطهم الأسرية في سبيل الخلافة.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ، ج٨، ص ٩٩. وانظر كذلك البلاذري: أنساب ،ج٨، ص٣٢٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يقتصر تدخل الرعية بين أفراد الأسرة الأموية على الخواص، بل انتهز الشعراء فرصة ولع الخليفة بتوليه العهد من بعده لابنه؛ فحرضوه على ذلك للحصول على الحظوة عنده، ونجد مثل هذا التحريض في قول عمران بن عصام العنزي الذي أرسله الحجاج على رأس وفد إلى عبد الملك ليحرضه على خلع عبد العزيز وتولية الوليد: (١)

أَمْيرَ الْمُؤْمِنْينَ إِلَيْكَ نَهْدي على النَأي التَحيْةَ والسَلاما

أَجبْنِي في بَنِيْكَ يَكُنْ جوَابي لَهُمْ عَادِيَةٌ ولَنَا قَواما
فَلَوْ أَنَّ الوَلِيْدَ أَطَاعَ فيه جَعَلْتَ لَهُ الخِلافَةَ والذِمَاما
شَبِيْهُكَ حوَل قُبَتِه قُرَيشٍ بِهِ يَسْتَمْطِرُ النَاسُ الغَماما
وَمِثْلُكَ في التُقى لَمْ يَصْبُ يَوْمَاً لَدُنْ خَلَعَ القلائِدَ والتِمَاما
فَإِنْ تُؤْثِرْ أَخَاكَ بِها فإنّا وَجَدّكَ لا نُطِيْقُ لها اتِهاما
وَلَكِنّا نُحَاذِرُ مِنْ بَنِيْهِ بَنِي العلاتِ مَأْثَرَةً سِمَاما
ونَخْشى إنْ جَعَلْتَ المُلْكَ فيهمْ سَحَاباً أَنْ تَعُودَ لَهُمْ جَهاما
فَلا يَكُ ما حَلَبْتَ غَداً لِقَوْمٍ وَبَعْدَ غَدٍ بَنُوكَ هُمُ العَباما

ويُلاحظ أن هذه الأبيات تحتوي بين طياتها روحاً تحريضيةً لأنها تخيّر الخليفة بين أبنائه وأبناء أخيه، وترسم له صورة قاتمة لمستقبل أولاده بعد موته، وهو ما جعل ابن كثير يعلّق بعد هذه الأبيات قائلاً(٢) : ((.. فهاجه ذلك على أن يكتب لأخيه يستنزله عن الخلافة للوليد فأبى عليه..)). ولعل كلمة الهياج تعطي دلالة واضحة على مدى التوتر النفسي والضيق الشديد الذي أصاب عبد الملك تجاه شقيقه عبد العزيز.

وتكرر تدخل الشعراء بين أفراد الأسرة الأموية حين مدح جرير الوليد بن عبد الملك وحضه على خلع سليمان والبيعة لابنه عبد العزيز بن الوليد؛ وذلك بقوله : (٣)

---

(١) الطبري: نفسه، ج٨، ص٥٤. وابن كثير : البداية والنهاية ، ج٩، ص ٧٣. وانظر مثالاً آخر: تحريض نابغة بني شيبان عبد الملك بن مروان لخلع عبد العزيز : الأصفهاني : الأغاني ، ج٧،ص ٧٨-٧٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ، ج٩، ص٧٣.

(٣) جرير: الديوان ، ص١٢. وزحلفها: دفعها إليه . بأزفلها: كاملة لا نقصان فيها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى عَبْدِ العَزِيْزِ سَمَتْ عُيونُ الـــ ـــرَّعِيَّةِ، إنْ تُخُيِّرتِ الرِّعَاءُ
إلَيْهِ دَعَتْ دَواعِيْهِ، إذا مَا عِمَادُ الْمُلْكِ خَرَّتْ والسَّمَاءُ
وَقَالَ أُلوا الحُكُومَةِ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَيْنا البَيْعُ إذ بَلَغَ الغَلاءُ
رَأَوْا عَبْدَ العَزِيْزِ وَلِيَّ عَهْدٍ وَمَا ظَلَمُوا بِذاكَ ولا أساءُوا
فَزَحْلِفْها بأَزْفُلِها إلَيْهِ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ، إذا تَشَاءُ
فَإِنَّ الناسَ قَدْ مَدّوا إلَيْهِ أَكُفَّهُمْ، وَقَدْ بَرِحَ الخَفَاءُ
وَلَوْ قَدْ بَايَعُوكَ وَلِيَّ عَهْدٍ لَقَامَ القِسْطُ وَاعْتَدَلَ البِنَاءُ

جـ- سليمان بن عبد الملك وشقيقيه مروان ويزيد:

وعلى الرغم من معاناة سليمان بن عبد الملك بسبب ما قام به الوليد تجاهه؛ فإنه حاول ذلك مع شقيقيه مروان ويزيد مخالفاً وصية والده، ومولياً ابنه للعهد على حساب علاقته مع أشقائه؛ قال الطبري مصوراً هذه المحاولة[١]: ((... وفي هذه السنة بايع سليمان ابن عبد الملك لابنه أيوب بن سليمان وجعله ولي عهده. فحدثني عمر بن شبه عن علي بن محمد قال: كان عبد الملك أخذ على الوليد وسليمان أن يبايعا لابن عاتكة ولمروان بن عبد الملك من بعده. قال فحدثني طارق بن المبارك قال: مات مروان بن عبد الملك في خلافة سليمان منصرفه عن مكة، فبايع سليمان حين مات مروان لأيوب وأمسك عن يزيد وتربص به ورجا أن يهلك، فهلك أيوب وهو ولي عهده)).

د- موقف هشام بن عبد الملك من البيعة لعمر بن عبد العزيز:

وحين اضطر سليمان بن عبد الملك بعد وفاة ابنه وولي عهده أيوب إلى تولية عمر ابن عبد العزيز العهد بعده بتأثير من رجاء بن حَيْوه ، لم يعجب ذلك هشام بن عبد الملك لسببين: أولهما أنه أخرج الخلافة من أبناء عبد الملك؛ وثانيهما لأنه عهد إلى يزيد بن عبد الملك وتجاوزه ولذلك قال بعد أن قرأ رجاء بن حيوه الكتاب الذي كتب به سليمان الخلافة

(١) الطبري: تاريخ الأمم ، ج٨ ، ص ١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لعمر بن عبد العزيز : ((... لا نبايعه أبداً ..)) [١] لكنه عاد وبايع على مضض حين هدده رجاء بضرب عنقه . [٢]

وعدّ البلاذري هذا الموقف من هشام بأنه من الأمور التي أنكرت عليه فقال[٣]:((.. قالوا: وكان مما أنكر على هشام قوله لأشكون سليمان أخي يوم القيامة لاختياره يزيد بن عبد الملك عليَّ)).

هـ- مسلمة بن عبد الملك وعبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك:

واستمر التنازع على الخلافة؛ وزاد في تدهور العلاقة الأسرية بين بين أمراء بني أمية بعد أن عهد عمر بن عبد العزيز بالخلافة ليزيد بن عبد الملك؛ إذ نجح مسلمة بن عبد الملك في اقناع يزيد بعدم تولية عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك العهد بعده باقتراح من العباس بن الوليد، فعهد بولاية العهد لأخيه هشام بن عبد الملك ومن بعده لابنه الوليد بن يزيد مما أوجد عداوةً وبغضاء بين مسلمة وابن أخيه عبد العزيز؛ وقد روى المدائني هذا الخبر فقال [٤]: ((... لمّا خلع يزيد بن المهلب وجّه إليه يزيد بن عبد الملك مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، وقال: أمير الجيش مسلمة فإن حدث به حدث فالعباس بن الوليد، فقال العباس بن الوليد ليزيد: يا أمير المؤمنين، إن أهل العراق قوم غدرٍ كثير ارجافهم وأنت توجهني محارباً والأحداث تحدث ولا آمن أن يُرجف أهل العراق ويقولوا : مات أميرُ المؤمنين ولم يعهد فيفت ذلك في أعضاد أهل الشام ويدخلهم الوهن والفشل، فلو بايعت لعبد العزيز بن الوليد، قال: غداً إن شاء الله. وبلغ مسلمة بن عبد الملك فدخل علي يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، أولدُ عبد الملك أحبُّ إليك أم ولد الوليد؟ . قال: ولد عبد الملك إخوتي وأحبُ إليّ، قال: فابن أخيك أحق بالخلافة من

---

(١) المصدر نفسه : ج٨، ص ١٣٠.

(٢) انظر تفاصيل الخبر: المصدر نفسه : ج٨،ص١٢٩-١٣٠. وانظر كذلك : اليعقوبي: تاريخ، م٢،ص٢٩٩. وابن الأثير: الكامل، ج٤،ص٣١٣-٣١٤. والذهبي : تاريخ الإسلام ج٦،ص٣٨١. وابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٢١٥.

(٣) البلاذري: أنساب، ج٨،ص٣٥٧٣.

(٤) البلاذري: أنساب، ج٨ ، ص ٣٥٥٧-٣٥٥٨. وانظر كذلك : ابن عبد ربه : العقد ،ج٥، ص ١٧٦-١٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخيك؟ قال: لا . قال أفتبايع لعبد العزيز قال : لا غداً أبايع لهشام أخي وبعده للوليد ابني. وبلغ عبد العزيز قوله، وأتاه مولى له وهو لا يعرف الخبر فقال له: يا أبا الأَصْبَغ غداً نبايع لك. قال عبد العزيز: هيهات، أفسد ذلك علينا مسلمة ونقضه)) .

ولكن يزيد لم يلبث أن ندم على تولية شقيقه هشام العهد وتأخير ابنه الوليد بن يزيد؛ روى المدائني ما نصه[١]: ((لما بلغ الوليد الحِنْث ندم أبوه على تولية هشام عهده وقال: لو انتظرت بلوغه ولكن مسلمة لم يدعني، وكان إذا رآه قال: الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك)).

و- هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد:

وبعد وفاة يزيد بن عبد الملك سنة خمس ومائة اشتد الصراع على الخلافة بين أبناء الأسرة الأموية حين حاول هشام خلع الوليد وتولية ابنه مسلمة مستغلاً ما اتُهم به الوليد من الزندقة، وشرب الخمر، والاستخفاف؛ يقول البلاذري[٢] : ((وتوفي يزيد سنة خمس ومائة، وولي هشام فكان في بدء أمره مكرماً للوليد فمكث بذلك أعواماً... وولاه هشام الموسم سنة عشرة ومائة فرأى الناس منه تهاوناً واستخفافاً، فأمر مولى له يقال له عيسى بن مقسم فصلى بالناس، وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خلعه، فأراده على أن يخلعها ويبايع لابنه أبي شاكر مسلمة بن هشام فأبى، فتنكر له هشام وأضرّ به وجعل يشتمه ويتنقصه...)).

ونتيجة لاستمرار هشام في تضييق الخناق على الوليد اضطر للهجرة إلى الأزرق تاركاً عياض بن مسلم عيناً له على عمه هشام مصطحباً خاصته معه؛ قال

---

(١) البلاذري : نفسه ، ج٩،ص٣٧٤٣. وانظر كذلك: الطبري: تاريخ الأمم، ج٨،ص٢٨٨. والأصفهاني: الأغاني،ج٧،ص٦.

(٢) البلاذري: أنساب ، ج٩،ص٣٧٤٤. والطبري: تاريخ الأمم ، ج٨،ص٢٨٨. والأصفهاني: الأغاني ، ج٧ ،ص٦. وابن العبري: تاريخ مختصر الدول، أنطون صالحاني، دار الرائد اللبناني، بيروت، ص٢٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البلاذري[١]: ((... قالوا فلما كثر عيب هشام للوليد وتعبثه به وبأصحابه وخاصته ، خرج في جماعة منهم فنزل بالأزرق بين بلقين وفزارة، وخلّف بالرصافة كاتبه عياض بن مسلم مولى عبد الملك، وأمره أن يكتب إليه بما يحدث قِبله)).

وعبرّ الوليد بن يزيد عن إحساسه بالقهر بسبب الجحود والنكران الذي قابل به عمه هشام معروف والده يزيد حين ولاه الخلافة قائلاً: [٢]

أنَا النّذيرُ لِمُسْدي نِعْمَةٍ أبداً ... إلى المَقَاريفِ مَا لَمْ يَخْبرِ الدَّخَـــلا
إنْ أَنْتَ أكْرَمْتَهُمْ ألفَيْتَهُمْ بُطُراً ... وإنْ أَهَنْتَهُـــمُ ألْفَيْتَهُـــمْ ذُلُـــلا
أَتَشْمَخُونَ ومِنّا أصْلُ نِعْمَتِكُمْ ... سَتَعْلَمُـــونَ إذا صِرْتُمْ لنـــا خَوَلا
أُنْظُرْ فإنْ أنْتَ لَمْ تَقْدِرْ على مَثَلٍ ... لَهُمْ سِـــوَى الكَلْبِ فاضْرِبهُ لَهُمْ مَثَلا
بَيْنا يُسَمِّنُهُ لِلصَّيْدِ صَاحِبُهُ ... حتـــى إذا ما قَوِيَ مِنْ بَعْدِ ما هـــزُلا
عَدا عَلَيْهِ فَلَمْ تَضْرُرْهُ عَدْوَتُهُ ... ولـــو أطاقَ لَهُ أَكْلاً لَقَدْ أكَـــلا

وصوّر معاناته من الظلم الذي أوقعه عليه عمه هشام بقوله : [٣]

يَا رُبَّ أَمْرٍ ذي شُؤُونٍ جَحْفَلٍ ... قَاسَيْتُ فيه جُلْبَاتِ الأَحْـوَلِ

ويؤكد دور الخلافة في تدهور العلاقة الأسرية مع عمه هشام بقوله وقد سمع أنـــه يريد خلعه: [٤]

خُذُوا مُلْكَكُمُ لا ثَبّتَ اللّهُ مُلْكَكُمْ ... ثَباتاْ يُساوي ما حَيِيتُ قَبالاَ

---

(١) البلاذري : نفسه، ج٩،ص٣٧٤٧. وانظر كذلك:الطبري: نفسه، ج٨،ص٢٨٩. والأصفهاني: نفسه،ج٧، ص٩. وابن العبري: نفسه ، ص٢٠٢.

(٢) الوليد بن يزيد: الديوان، حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، ص٩٦-٩٧.

(٣) الوليد بن يزيد : الديوان ، ص ١٠٧.

(٤) المصدر نفسه : ص ٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان من الطبيعي أن تولّد هذه المعاملة القاسية في نفس الوليد الرغبة في الإنتقام من أبناء عمه بعد توليه مقاليد الأمور؛ وقد صرّح بذلك غير مرة، من مثل قوله مخاطباً عمه هشام: (١)

رأيْتُكَ تَبْني جَاهِداً في قَطيعَتي فَلَوْ كُنْتَ ذَا إرْبٍ لَهَدَّمْتَ ما تَبْني
تُثيرُ على البَاقينَ مَجْنى ضَغِينَةٍ فَوَيْلٌ لَهُمْ إنْ متَّ مِنْ شَرِّ ما تَجْني
كأنِّي بِهِمْ ((واللّيتُ)) أفضَلُ قَوْلِهِمْ ألا لَيْتَنا ((واللّيْتُ)) إذْ ذَاكَ لا يُغْنـــــي

وقوله أيضاً يعاتبه : (٢)

فَإنْ تَكُ قَدْ مَلَلْتَ القُرْبَ مِني فَسَوْفَ تَرى مُجَانَبتي وبُعْدي
وَسَوْفَ تَلومُ نَفْسَكَ إنْ بَقِينَا وتَبْلوُ الناسَ والأحْوالَ بَعْدي
فَتَنْدَمُ في الذّي فَرَّطْتَ فيهِ إذا قَايَسْتَ في ذَمِّـــي وحَمْـــــدي

٤- انتقام الوليد بن يزيد من بعض أمراء الأسرة الأموية وأثره :

وقد بدأ الوليد تنفيذ تهديداته بمجرد سماعه نبأ موت عمه هشام معبراً عن فرحته وتشفيه بموتـــه، متناسيـــاً علاقتـــه ببنـــات عمه هشـــام وأنهـــن مـــن عرضه بقولـــه : (٣)

إنِّي سَمْعتُ خَليلي نَحْوَ الرُّصَافةِ رَنّةْ
خَرَجْتُ أَسْحَبُ ذَيْلي أَقُولُ ما شَأْنُهُنّهْ
إذَا بَنَاتُ هِشَامٍ يَنْدُبْنَ والِدَهُنّهْ
يَنْدُبْنَ شَيْخاً كَبيْراً قَدْ كانَ يَعْضُدُهنّهْ
يَقُلْنَ وَيْلاً وَعوْلاً والوَيْلُ حلَّ بهِنّهْ

ويمعن في إظهار فرحته وسروره وتشفيه بموت عمه قائلاً : (٤)

---

(١) نفسه : ص ١٢٦.
(٢) نفسه : ص٥٢.
(٣) الوليد بن يزيد: الديوان: ص ١٢٩.
(٤) المصدر نفسه : ص ٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هَلَكَ الأَحْوَلُ المشو مُ فَقَدْ أُرْسِلَ المَطَرْ
وَمَلَكْنا مِنْ بَعْدِ ذا كَ فَقَدْ أَوْرَقَ الشّجَرْ

وعبّر عن فرحته بموت عمه قائلاً : (١)

طَابَ يَوْمي وَلَذَّ شُرْبُ السُّلافَه إذْ أتاني نَعِيٌّ مَنْ بالرُّصَافَهْ
وأتانَا البَرْيدُ يَنْعَى هِشَاماً وأتَانا بِخَاتَمٍ لِلْخِلاَفَهْ
فاصْطَحَبْنا مِنْ خَمْرِ عَانَةَ صِرْفاً ولَهَوْنا بِقَيْنَةٍ عَزَّافَهْ

ولعل تشفي ابن الأخ من عمه يكشف بصورة واضحة دور العامل السياسي (الصراع على الخلافة) في تدهور العلاقة الأسرية بين أفراد الأسرة الأموية، وقد أشار د.حسين عطوان إلى هذا الدور فقال(٢) : ((فولاية العهد أرقّت الخلفاء الأمويين وخاصة حين كانت تخرج منهم إلى إخوانهم بعهد من الخلفاء الذين سبقوهم فكانوا يطيلون التدبير لردّها إلى أبنائهم. ولكن أكثر الخلفاء إنما كانوا يحتالون في آخر أيامهم لتحويل ولاية العهد إلى أبنائهم، مما كان يفسد علاقتهم بإخوانهم، فكان الموت لولي العهد المبايع، أو لوليّ العهد المرشح، أو للخليفة القائم يضع حدّاً لتخاصمهم، ويمنع تصادمهم)).

وجاءت الخطوة الثانية من انتقام الوليد أكثر عنفاً، فبدأ بابن عمه سليمان بن هشام لأنه كان يساعد أباه على تحقير الوليد، ويشجعه على خلعه؛ وقد صور البلاذري هذه الخطوة بقوله رواية عن هشام بن عمار (٣): ((... سمعت مشايخنا يحدثون أنه كان في نفس الوليد بن يزيد بن عبد الملك على سليمان بن هشام شيء وذلك أنه كان يساعد أباه على ذمه ويشير عليه بخلعه وقتله، فلما ولي دعابه فقال: ألستَ أعدى الناس لي؟،

---

(١) نفسه : ص ٨٤.

(٢) حسين عطوان: الوليد بن يزيد (عرض ونقد)، دار الجيل، بيروت، ومكتبة المحتسب،عمان، ص٢٩٢-٢٩٣.

(٣) البلاذري: أنساب، ج٩، ص٣٧٧٩. وانظر كذلك: الطبري: تاريخ الأمم، ج٩، ص٣. وابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص ٤٦٢. وابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٨٠. وابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٠، ص٨. وابن خلدون: تاريخ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، م٣ ، ق١ ، ص ٢٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألست القائل كذا؟، فأغلظ له سليمان، فضربه الوليد مائة سوط ضرباً مبرحاً، وحلقه وألبسه الصوف، وثقله بالحديد فكُلم فيه فأخرجه، فكان أشد الناس تأليباً عليه)).

وروى المدائني أنه أمر بوضع يزيد بن هشام بالسجن[١] : ((.. وقال أبو الحسن المدائني: حبس الوليد يزيد بن هشام وهو الأفقم ..))

ولم يقتصر انتقامه على أبناء عمه هشام، بل طال أبناء عمه الوليد بن عبد الملك؛ إذ أخذ جارية كانت لهم، وفّرق بين روح بن الوليد وامرأته، وأمر بحبس بعض أبناء الوليد فزادت هذه التصرفات من تفكك الرابطة الأسرية بين أفراد الأسرة الأموية؛ وقد روى البلاذري هذه التصرفات بقوله[٢] : ((... وأخذ الوليد جارية لآل الوليد بن عبد الملك، فكلمه عمر بن الوليد فيها، فقال: لا أردها، فقال عمر: إذاً تكثر الصواهل حول عسكرك .. وفـرّق بين روح بـن الوليد وبين امرأته ، وحبس عدة من ولد الوليد، وعـذّب بعضهم ...))

ولم يكتف بالانتقام الجسدي، بل جرّد أبناء عمه وعمالهم من أموالهم مستثنياً مسلمة بن هشام لأنه كان يردع والده عنه، ويطلب منه الرفق به؛ يقول البلاذري[٣]((وكتب الوليد إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك يأمره أن يأتي الرصافة فيحصي ما فيها من أموال هشا م، وأموال ولده ويأخذ عماله وحشمه إلا مسلمة بن هشام لأنه كان يكثر أن يكلم أباه فيه، ويكف عنه شّره ويسأله الرفق به ... وكتب العباس بن الوليد . إلى الوليد بثبت ما أحصى من أموال هشام وما في خزائنه فقال الوليد :

لَيْتَ هِشَاماً عَاشَ حتى يَرى مِحْلَبَهُ الأَوْفَرَ قد أُتْرعا

(١) البلاذري: نفسه ، ج٩،ص٣٧٨٠. والطبري: نفسه ، ج٩، ص٣. وابن الأثير: نفسه، ج٤،ص٤٧٩. وابن خلدون : نفسه ، م٣، ق١، ص٢٢٧.

(٢) البلاذري : نفسه ، ج٩، ص ٣٧٨٠. والطبري : نفسه، ج٩، ص٣. وج٤، وابن الأثير : نفسه، ج٤، ص٤٧٩.

(٣) البلاذري: أنساب، ج٩،ص٣٧٥٧-٣٧٥٨ . وانظر كذلك : ابن قتيبة. الإمامة والسياسة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة، ج٢، ص ١٣٢. ج٢،ص١٣٠. والطبري: تاريخ الأمم ،ج٨،ص٢ ٢٩-٢٩٣. والأصفهاني: الأغاني ، ج٧ ،ص١٥-١٦. وابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كِلْنَا له بالصَاعِ إذْ كَالها وَمَا ظَلَمْنَاهُ بها أَصُــوْعَا
وَمَا أَتَيْنا ذَاكَ عَنْ بِدْعَةٍ أَحَلَّهُ القُرآنُ لي أَجْمعا))

وعلق د. حسين عطوان على هذه الخطوة الانتقامية تعليقاً يظهر المدى السيء الذي وصلت إليه العلاقة الأسرية بين أفراد الأسرة الأموية بتأثير التنازع على الخلافة فقال [١]: ((.. وأعرب الوليد في شعره عن فرحته بما ألحقه بأبناء هشام من مصادرة لأموالهم، وتعذيب لهم، وشمت ببليتهم وما آلوا إليه من خزي وهوان، وأعلن أنه لم يَجُرْ عليهم، فإنه جزاهم بما صنعوا وما قّدموا من سيئات وانتصف لنفسه منهم، مسترشداً بتعاليم الإسلام التي تدعو إلى معاقبة الباغين. وودَّ لو بقي هشام حيّاً حتى يتأكد من أن الحقد لا يولد غير الحقد، ويشاهد جنايته على أولاده، إذ كان الباديء بظلم ذوي القربى والاعتداء عليهـــــــم ..)) .

وطال انتقامه أيضاً المقربين من هشام فأسلم الوليد بن القعقاع وأخاه عبد الملك بن القعقاع ليزيد بن عمر، فانتقم منهما بسبب خلاف سابق تدخل فيه عمه هشام لصالحهما،

ولم يعبأ بإستجارتهما بقبر مروان بن الحكم. [٢]

وأوعز إلى خاله يوسف بن محمد بن يوسف بالانتقام من أخوال هشام إبراهيم ومحمد ابني هشام بن إسماعيل، من خلال إرسالهما إلى يوسف بن عمر ليقتص منهما؛ ويأخذ حقوق الناس التي عليهما وانتهى الأمر بموتهما تحت التعذيب الشديد. [٣]

---

(١) حسين عطوان : الوليد بن يزيد ، ص ٣٤٧.

(٢) انظر التفاصيل : البلاذري : أنساب، ج٩ ، ص ٣٧٥٨-٣٧٥٩. وانظر كذلك : الزبيري: نسب قريش، ص٣٢٩ . والطبري: تاريخ الأمم ، ج٩ ،ص٩.

(٣) انظر التفاصيل: البلاذري: نفسه ، ج٩، ص ٣٧٦٧. وانظـــر كـــذلك : الزبيـــري: نفســـه ، ص٣٢٩ . واليعقوبي : تاريخ، م٢، ص٣٣١ و ص ٣٣٣. والطبري: نفسه، ج٨ ، ص ٢٩٩. والأصـــفهاني : الأغـــاني ، ج٧ ، ص١٤ . وابن خلكان: وفيات الأعيان ، إحسان عباس ،دار صادر، بيروت، ج٥ ، ص ٤٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأوغر صدور اليمانية عليه حين حبس خالد بن عبد الله القسري على خلفية رفض الأخير المبايعة لابنيه الحكم وعثمان وأرسله إلى يوسف بن عمر مقابل مبلغ ضخم، وإنتهى الأمر بمقتل خالد بسبب التعذيب. (١)

ويذهب د. حسين عطوان إلى أن السبب الحقيقي لانتقامه من خاصة هشام هو تأييدهم له في خلعه من ولاية العهد؛ وذلك بقوله(٢) : ((... وهكذا لم يترك الوليد أحداً من أعدائه الذين حملوا عليه في أيام هشام وأيدوا عزله من ولاية العهد إلا جفاه أو اعتقله وانتقم منه. أما أبناء هشام بن عبد الملك فاكتفى بحبسهم وجلدهم ، وأما أبناء الوليد بن عبد الملك فلم يؤذهم كما آذى أبناء هشام ، وأما محمد وإبراهيم ابنا هشام المخزومي، والوليد وعبد الملك ابن القعقاع العبسي فسجنهم وأذن بقتلهم ..))

وأثار حفيظة أسرته من بني أمية حين عقد البيعة لابنيه الحكم وعثمان، باطشاً بكل من حاول ثنيه عن هذه الخطوة. (٣)

ولعل السبب الحقيقي لاصراره على هذه الخطوة المخالفة لنهج كل الخلفاء الذين سبقوه هو خشيته من تكرار المعاناة التي لحقت به من عمه هشام مع أولاده، ومن هنا جاء رده على من حاول ثنيه عن هذه الخطوة فاحشاً ؛ وقد روى الأصفهاني جوابه لهم فقال(٤): ((.. أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: حدثني بعض موالي الوليد قال: دخلت إليه وقد عقد لابنيه بعده وقدَّم عثمان؛ فقلت له: يا أمير المؤمنين أقول قولَ الموثوق بنصيحته أو يسعني السكوت ؟ قال: بل قل قول الموثوق به ؛ فقلت : إن الناس قد أنكروا ما فعلتَ وقالوا : يبايع لمن لم يحتلم ؛ وقد سمعت ما أكره فيك؛ فقال: عَضُّوا ببظور أُمهاتكم، أفـــأُدخل بيني وبين ابني غيري؛ فيلقى منه كما لَقِيتُ من الأحول بعد أبي ! ...))

---

(١) انظر التفاصيل : البلاذري : نفسه، ج٩، ص ٣٧٧. وانظر كذلك : اليعقوبي : نفسه ، م٢، ص٣٣١-٣٣٣ . والطبري : نفسه ، ج٩، ص٤. وابن الأثير : الكامل ، ج٤، ص٤٧٩-٤٨١. والذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٨، ص ٢٩٠-٢٩١

(٢) حسين عطوان : الوليد بن يزيد ، ص ٣٥٣.

(٣) انظر التفاصيل : البلاذري : نفسه، ج٩، ص٣٧٨٠ -٣٧٨١. وانظر كذلك : اليعقوبي: نفسه، م٢، ص ٣٣١. والطبري: نفسه ، ج٨، ص ٢٩٤ وفيه نص البيعة ص ٢٩٤ -٢٩٧ ، وكذلك ج٩، ص٣.

(٤) الأصفهاني : الأغاني ، ج٧ ، ص٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما السبب الذي أثار حفيظة أبناء الأسرة الأموية من هذه الخطوة فربما يبينه ابن عبد ربه بقوله[١] : ((قال الأصمعي: كانت بنو أمية لا تبايع لبني أمهات الأولاد ؛ فكان الناس يرون أن ذلك لاستهانة بهم، ولم يكن لذلك. ولكن لما كانوا يرون أن زوال ملكهم على يد ابن أم ولد ..... ولم يكن لعبد الملك ابن أسدُّ رأياً ولا أذكى عقلاً، ولا أشجع قلباً ولا أسمح نفساً من مسلمة، وإنما تركوه لهذا المعنى)) .

والوليد بهذه الخطوة لم يحترم مشاعر أسرته الأموية و أصر على تولية ابن أمة ولياً للعهد، فزاد ذلك من تحطيم الرابطة الأسرية بينه وبين أسرته؛ وفي هذا الصدد يقول الأصفهاني[٢]: ((.. كان الوليد قد بايع لابنيه الحكم وعثمان، وهو أول من بايع لابن سُرِّيةٍ أَمَةٍ ولم يكونـــوا يفعلـــــــون ذلك ...)).

وذهب د. نبيه عاقل إلى أن هذه الخطوة كانت سبباً في زيادة تفسخ الوشائج الأسرية بين بني أمية، إذ عدّها أبناء الوليد بن عبد الملك حرماناً لهم من حقهم الطبيعي في استرداد الخلافة؛ وذلك بقوله [٣]: ((... وزاد في شعور الناس الناقمين أن عليهم أن يعملوا بسرعة للتخلص من الخليفة، أن شائعات بدأت تتسرب مفادها أن الخليفة عازم على أن يجعل ولاية العهد من بعده لابنيه الحكم وعثمان، وكانا غلامين صغيرين دون سن الحكم ، وهما لأمين من الجواري. وكان التقليد حتى الآن أن لا يكون الملك لابن جارية... وزادت هذه الشائعات في نقمة أبناء الوليد على الخليفة بشكل خاص لأنهم كانوا يطمعون بالخلافة لأنفسهم ويعتقدون بأنهم أحق بني أمية بها، وأنها كان يجب أن تؤول إليهم منذ توفي سليمان فأخذها غيرهم إذ ولّى عمر الثاني ثم جاء عمهم يزيد الثاني وجعلها أولاً لعمهم هشام ثم لابنه الوليد. والآن يجيء الوليد فيعلن أنه سيحرمهم منها أيضاً. وأنه سيجعلها في غلامين صغيرين من ذريته من أبناء الجواري. وانضم إلى صف أبناء الوليد الأول أبناء هشام وغيرهم من رجالات الأسرة المروانية ..))

وساهمت سيرة الوليد بعد توليه الخلافة في زيادة تردي الروابط الأسرية بين بني أمية؛ إذ عاد إلى عزلته وابتعاده عنهم ؛ وأبعدهم عن المواقع المهمة في إدارة شؤون

---

(١) ابن عبد ربه : طبائع النساء ، ص ٩٣.

(٢) الأصفهاني: نفسه ، ج٧ ، ص ٥٣.

(٣) نبيه عاقل: خلافة بني أمية ، دار الفكر، بيروت، ص ٣٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحكم، وسامهم سوء العذاب ؛ وقد روى المدائني بعض جوانب هذه السيرة بقوله[١]: ((... كان الوليد صاحب صيد وتهتك ولهو ولذات يتثقل فيها، فلما ولي الأمر جعل يكره المواضع التي يراه الناس فيها فلم يدخل مدينة من مدن الشام حتى قُتل، وكان تحول فثقل على الناس وعلى جنده واشتد على بني هشام... وأخذ جارية لآل الوليد بن عبد الملك ... وحبس الوليد يزيد بن هشام، وفرّق بين روح بن الوليد وبين امرأته، وحبس عدة من ولد الوليد، وعذب بعضهم وعزم على البيعة لابنيه الحكم وعثمان ...)) .

ويصوّر يوليوس فلهاوزن سياسة الوليد بعد توليه الخلافة بقوله[٢] : ((... ويمكن القول في الجملة إن الوليد بن يزيد إنما كان يعبث بما له من سلطان فكان ينظر إلى قيامه بشؤون الحكم كما ينظر إلى نوع من الرياضة والفروسية، ولم يشتغل بأمور الحكم اشتغال جد وعناية وهو بعد أن تولى الخلافة لم يغيّر إقامته في برية شرق الأردن...، ولم يزايل روحه ذلك الإحساس المرير باحتقار الإنسانية وكراهية الناس، وهو الإحساس الذي تكون في صباه. وهو بعد موت هشام أيضاً تباعد عن الجو الذي كان ينبغي أن يكون فيه، ونفّر من نفسه قرابته وأترابه لا يبالي أقل مبالاة بالرأي العام ولا يجعل له سبيلاً على نفسه. وكان له بطبيعة الحال ديوانٌ في قصره، ولكن لا يفارقه الجو الذي كان يرتاح إليه من قبل، من خيل وكلاب وصيدٍ ومغنين ومغنيات وشعراء وأدباء ..)).

وأكد د. نبيه عاقل على دور سيرة الوليد بعد الخلافة في زيادة التوتر والتفكك الأسري بينه وبين أسرته الأموية إذ قال[٣]:((... استمر الوليد الثاني بعد أن تولى العرش على ما كان عليه من قبل، إذ أنه ما كان ينهي مراسيم التتويج والبيعة حتى عاد إلى الأغدف في البادية وانصرف إلى اللهو كما كان يفعل في شبابه حين نقم على هشام ، وساء ظنه بالناس واحتقرهم. وقد فرض عليه انغماسه أن يهمل عمله فأبعد رجالات هشام، ومن كان يمت إليه بصلة ود من بني أمية ...)).

---

(١) البلاذري: أنساب، ج٩،ص٣٧٨٠. وانظر كذلك : اليعقوبي : تاريخ ، م٢، ص ٣٣٣. والطبري: تاريخ الأمم ، ج٩،ص٣. والأصفهاني: الأغاني ، ج٧، ص٥٤-٥٥. وابن الأثير : الكامل، ج٤، ص ٤٧٩؛ وابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٠٣. والذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨، ص١٤.

(٢) فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة، ص ٣٤٢.

(٣) نبيه عاقل : خلافة بني أمية ، ص ٣٣٢..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وواضحٌ أن المحدثين تأثروا في هذه الأخبار بما ذكره القدماء دون تمحيص أو تدقيق، إذ تدل الإجراءات التي اتخذها الوليد بعد توليه الحكم لمصلحة الرعية على غير ذلك. (١)

٥- تآمر بني أمية بقيادة يزيد بن الوليد بن عبد الملك للإطاحة بالوليد بن يزيد :

وكان من الطبيعي أن يبدأ أفراد الأسرة الأموية بالتحرك للانتقام مـــن الوليد؛ إذ بثوا حوله الشائعات التي تؤلب الأسرة الأموية عليه من ناحية، والرأي العام من ناحية ثانية مما زاد العلاقة الأسرية بين أفراد هذه الأسرة تردياً وسوءاً ؛ وقد روى البلاذري نقلاً عن عباس بن هشام هذه الشائعات فقال(٢): ((... وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال: كان سليمان عدواً للوليد، فكان يسعى في قتله لا يألو ، وكان يزيد بن الوليد بن عبد الملك رجلاً حسن العقل، يظهر عفافاً وتورعاً إلا أنه كان ينسب إلى قول غيلان بن مسلم الذي قتله هشام في القدر، وكان الوليد قد اقصاه وجميع إخوته وأهل بيته، واستخف بهم، وأغلظ لهم، وحبس بعضهم فرموا الوليد بالكفر وغشيان أمهات أولاد أبيه وباللواط، وقالوا : قد اتخذ جوامع كتب على كل جامعة منها اسم رجل من بني أمية ليقتله)).

واستغل اليمانية هذه الخلافات الأسرية بين أبناء الأسرة الأموية للانتقام من الوليد لما فعله بخالد بن عبد الله القسري؛ فذهبوا إلى ابنه عمه يزيد بن الوليد وكان أكثر بني أمية عداءً له وأرادوه على البيعة، واقترحوا عليه اقناع أخيه العباس بن الوليد على خلع الوليد لما كان له من مكانة عند أفراد أسرته؛ وهذا ما رواه البلاذري فقال: (٣) ((... قالوا وأتت اليمانية يزيد بن الوليد فأرادوه على أن يبايعوه، فقال عمر بن يزيد الحكمي ليزيد : إن العباس بن الوليد أخاك سيد أهل بيتك، فإن بايعك لم يخالفك الناس ، وإن أبى فالناس له أطوع، وإن أبيت مشاورته فأظهر بيعته لك)).

---

(١) انظر في هذه الإجراءات بالتفصيل: حسين عطوان : الوليد بن يزيد، ص٣٦٠-٣٦٤.

(٢) البلاذري: أنســاب، ج٩،ص ٣٧٧٩-٣٧٨٠. وانظــر كــذلك : الطبــري: تــاريخ الأمــم ج٩،ص٣ . والأصفهاني: الأغاني، ج٧، ص ٥٨ . وابن الأثير : الكامل، ج٤، ص ٤٧٩. وابن العبري: تــاريخ مختصــر الدول، ص ٢٠٣.

(٣) البلاذري: أنساب، ج٩، ص ٣٧٨٣ . وانظر كذلك : الطبري: تاريخ الأمم، ج٩ ، ص ٩ . وابن الأثير: الكامل ، ج٤ ، ص ٤٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفعلاً بدأ يزيد تحركه للإطاحة بالوليد مستغلاً ما كان يظهره من النسك والورع للناس، وذهب لأخيه العباس محاولاً إقناعه بالمبايعة له وخلع الوليد، فجُوبه برفض العباس؛ قال البلاذري[١]: ((... وكانت أرض الشام في تلك الأيام وبيئة فخرج الناس إلى البوادي وكان الوليد بن يزيد متبدياً ، وكان العباس بن الوليد بالقسطل ، فأتى يزيد أخاه فأخبره الخبر وشاوره وعاب الوليد فقال له العباس: مهلاً يا يزيد فإن في نقض عهد الله فساد الدين والدنيا، فرجع إلى منزله ودَبَّ في الناس فبايعوه سراً)).

وقد حاول بعض الأمراء الكبار من بني أمية وقف الانهيار في الأسرة، ومنهم العباس بن الوليد بن عبد الملك إذ رفض بشدة محاولات شقيقه يزيد إقناعه خلع الوليد بن يزيد ، وهدده بافتضاح أمره حين عاود هذه المحاولة؛ قال البلاذري[٢]: ((... ودس يزيد بن عنبسة السكسكي رجلاً من كلب وقوماً من ثقاته من وجوه الناس وأشرافهم يدعو الناس سراً ، ثم عاود أخاه العباس ومعه قطن مولاهم فشاوره وأعلمه أن قوماً يأتونه يريدونه على البيعة فزبره العباس وقال: إنْ عدتَ لمثلها لأشدَّنك وثاقاً ولأحملنّكَ إلى أمير المؤمنين. فخرج يزيد وقطن، وبعث العباس إلى قطن فقال له : ويحك أترى يزيد جاداً،؟! قال: جعلت فداءك ما أظن ذلك ولكنه قد دخله مما صنع الوليد بن يزيد ببني الوليد بن عبد الملك وبني هشام، وما يسمع من الناس من ذكر استخفاف الوليد وتهاونه بالأمور ما ضاق به ذرعاً. قال : أما واللهِ إني لأظنه أشأم سخلة في بني مروان ، ولولا ما أخاف من من عجلة الوليد مع تحامله علينا لشددته وثقاقاً وحملته إليه . فازجره عن أمره فإنه يسمع منك. وسأل يزيد بن الوليد قطناً عما جرى بينه وبين العباس فأخبره به فقال: واللهِ لا أكف، ثم لا أكف)).

وتدخل أمير كبير آخر من أمراء بني أمية لوقف الأنهيار الذي أصاب العلاقة الأســـرية بينهم بسبب التنازع على الخلافة التي قادتهم للإنتقام بعضهم من بعض، وهو مروان بن محمد؛ الذي بادر بإرسال رسالة إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان حين بلغه وهو يقود الغزو الإسلامي في أرمينية أن يزيد يحرّض الناس على الوليد ويدعو إلى

---

(١) البلاذري : نفسه ، ج٩ ، ص ٣٧٨٣ . وانظر كذلك : الطبري: نفسه، ج٩ ، ص ٩، والأصفهاني: نفسه، ج٧ ، ص ٥٤ . وابن الأثير : نفسه، ج٤ ، ص ٤٨١ . والذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٨ ، ص ٢٩١.

(٢) البلاذري: نفسه ، ج٩،ص٣٧٨٣-٣٧٨٤. وانظر كذلك : الطبري : نفسه ، ج٩، ص٦-٧. والأصفهاني : نفسه ، ج٧ ، ص ٥٤. وابن الأثير : نفسه ، ج٤، ص٤٨١. والذهبي: نفسه، ج٨،ص ٢٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلعه؛ نقلها البلاذري ونصها [١]: ((إن الله جعل لأهل كل بيت أركاناً يعتمدون عليها ، ويتوقَّون المخاوف بها، وأنت بحمد الله ركن من أركان أهل بيتك، وقد بلغني أن قوماً مـــن سفهاء أهل بيتك قد أسسوا أمراً إن تَمَّتْ لهم رؤيتهم فيه على ما أجمعوا عليه استفتحوا باباً لن يغلق عنهم حتى تسفك دماء كثيرة منهم، ولولا انشغالي بهذا الفرج العظيم أمره، الشديد شوكة أهله لرمت فساد أمرهم بيدي ولساني، وأنت اقرب إليهم مني فاحتل لعلم أمرهم بإظهار المتابعة لهم، ثم تهددهم بإظهار أسرارهم، وخذهم بلسانك، وخوّفهم العواقب لعل الله يردّ إليهم ما عزب عنهم من دينهم وعقولهم، فإن فيما شرعوا فيه تغيير النعم وذهاب الدولة، فعاجل الأمر رحمك الله وحبل الأمة مشتد، وفي الناس سكون والثغور محفوظة، فإن للجماعة دولة من الفرقة، وللسعة دافعاً من الفقر)).

وعندما وصلت هذه الرسالة إلى سعيد بادر من فوره بإرسالها إلى العباس بن الوليد، فقام باستدعاء يزيد وهدده؛ فجعل يزيد يراوغ وينفي ما وصل إليه عنه خوفاً من تنفيذ العباس تهديده وكشف أمره ؛ وقد ذكر ذلك البلاذري فقال[٢]: ((... فبعث سعيد بكتاب مروان إلى العباس، فدعا العباس يزيد فعذله وتهدده، فَحَذِرهُ وقال: يا أخي لم أفعل وهذا من إرجاف أهل الحسد لنا، والسرور بزوال نعمتنا وحلف له على ترك المعارضة فأمسك عنه)).

ولم تفلح هذه المحاولات من عقلاء بني أمية في تدارك التردي المتواصل في الرابطة الأسرية بينهم؛ إذ انضم بشر بن الوليد إلى يزيد بن الوليد، وحاول إقناع العباس بن الوليد بالبيعةِ ليزيد شقيقه فرفض ذلك وتنبأ بزوال مُلك بني أمية وهلاكهم، وصوّر هذه الإحساس الذي انتابه بقصيدة مؤثرة لم تجد عندهم آذاناً صاغية وذلك بقوله : [٣]

---

(١) البلاذري: أنساب ، ج٩،ص٣٧٨٤-٣٧٨٥. وانظر كذلك : الطبري : تاريخ الأمم ، ج٩، ص٧. وابن الأثير: الكامل ، ج٤ ، ص ٤٨١.

(٢) البلاذري: نفسه: ج٩، ص ٣٧٨٥. وانظر كذلك: الطبري: نفسه ،ج٩، ص٨. وابن الأثير: نفسه،ج٤، ص ٤٨١.

(٣) ابن عساكر : تهذيب تاريخ مدينة دمشق ، عبد القادر بدران، دار إحياء التراث العربي، بيـــروت ، ج٧ ، ص ٢٧٣. وانظر كذلك : البلاذري : أنســـاب، ج٩، ص ٣٧٨٥. والطبـــري: تـــاريخ الأمـــم ، ج٩ ، ص٨. والأصفهاني : الأغاني، ج٧ ، ص ٥٥. وابن الأثير: الكامل، ج٤ ، ص ٤٨١-٤٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا قَوْمَنا لا تَمَلّوا نِعْمَةً لَكُمُ ... إنَّ الإِله لَكُمْ فيما مضى صنعُ
فَأَنتُمُ اليَوْمَ أَهْلُ المُلْكِ مُذْ حِقَبٍ ... وأَهْلُ دُنْيا وَدِينٍ مَا بِهِ طَمَعُ
فَانْفوا عَدُوَّكُمُ عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِكُم ... واسْتَجْمِعوا إِنَّ أَمْرَ الدِينِ مُجْتَمِعُ
قوُموا عَلَيْهِ كَما قَامَ الأُولَى نَصَرُوا ... حَتّى تَولّوا وَمَا خَافوا وما جَزِعوا
إِنَّ الكَبْيرَ عَلَيْكُم في وِلايَتِكُم ... أَنْ تُصْبِحوا وَعَمُوُدُ الدّينِ مُنْصَدِعُ
لا تُلْحِمُنَّ ذِئابَ النَاسِ أَنْفُسَكُم ... إِنَّ الذِئابَ إِذا ما أُلْحِمَتْ رَتَعوا
لا تَبْقُرُنَّ بِأَيْدِيكُمُ بُطُونَكُمُ ... فَثَمَّ لا حَسْرَةٌ تُغْني وَلا جَزَعُ
إِنّي أُعِيْذُكُمُ بِاللّهِ مِنْ فِتَنٍ ... مِثْلِ الجِبَالِ تَسَامَى ثُمَّ تَنْدفِعُ
لَسْتُمْ كَمَنْ كانَ قَبْلَ اليوم يُسْعِرُها ... بالمَشْرَفِيةِ بِيْضَاً حِيْنَ تَنْتَزِعُ
والسّمْهَرِيّةُ مَطْرورٌ أَسِنّتُها ... وحَوْمَةُ المَوْتِ تَغْلي وِرْدُها شرعُ
إِنّ البَرِيّةَ قَدْ مَلّتْ ولايَتَكُمُ ... فَاسْتَمْسِكوا بَعمودِ الدِّينِ وارتَدِعوا
فَلَنْ تَزَالوا رُؤُوسَ النّاسِ ما صَلَحوا ... وَمَا شَكَرْتُمْ وأَضْحَى العَهْدَ يُتَبَّعُ

وكشف د. حسين عطوان عن مدى الإنهيار الذي أصاب الأسرة الأموية بسبب التنازع على الخلافة من خلال تقسيم أفرادها حسب موقفهم من الثورة على الوليد وخلعه إلى فريقين، يقول[١] :((... ويستفاد من أخبارهم أنهم كانوا طائفتين، فمعظم الأمراء الصغار من أولاد الوليد، وهشام والحجاج بن عبد الملك بن مروان، ومن أبناء عمر بن عبد العزيز كانوا عصبة واحدة على الوليد، جمع بينهم التذمر منه، والمنافسة له، والطمع في عزله وزاد من برمهم به أنه أهان الذين تحزبوا عليه منهم أثناء ولايته للعهد وأيدوا هشاماً في خلعه... وأما الأمراء الأمويون الكبار من أبناء عبد الملك بن مروان وحفدته، ومن أبناء أخيه محمد بن مروان بن الحكم، ومن حفدة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فكانوا أرجح عقلاً من الأمراء الصغار الموتورين المتهورين، وأكثر اعتدالاً ، وأوسع أفقاً، وأحسن وعياً لما ينفع وما يضر، فسالموا الوليد، وصانعوه، وأيدوه، وحاولا كبح جماح الأمراء الصغار)).

٦- اغتيال الوليد بن يزيد وأثره في الأسرة الأموية:

---

(١) حسين عطوان : الوليد بن يزيد ، ص ٤٠١ و ٤٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبدأت الثورة على الوليد بن يزيد بقيادة ابن عمه يزيد بن الوليد بعد أن انتهى مـــن التخطيط والتنظيم السري، وضمن بيعة أهل دمشق، وأهل المزة وزعيمهم معاوية ابن مصاد، فأرسل إلى أصحابه بالخروج في ليلةٍ حددها لهم، فخرجوا وتمكنوا من خداع حراس المسجد الأموي واعتقلوهم، ثم أقبل يزيد ومعه مائتين ونيف وستين رجلاً فدخلـــه، وأُعلن خليفة للمسلمين بمبادرة من يزيد بن عنبسة؛ وبعدها تمّكن أصحابه من خداع حراس القصر الأميري ونهبوه واعتقلوا من فيه، في الوقت الذي جلس فيه يزيد في

المسجد منتظراً باقي المجموعات لاتمام البيعة فجاءت على النحو التالي:

١- أهل دمشق.
٢- أهل المزة بقيادة عبد الرحمن بن مصاد؛ ودخلوا من باب الجابية وكان عددهم زهاء ألف وخمسمائة.
٣- السكاسك ودخلوا من باب جيرون وكان عددهم ثلاثمائة رجل.
٤- أهل داريا بقيادة يعقوب بن عمير بن هانيء؛ ودخلوا من الباب الصغير.
٥- أهل دير مُرَّان والأرزة بقيادة حميد بن حبيب اللخمي، ودخلوا من باب الفراديس.
٦- بنو عذرة وبنو سلامان بقيادة ربعي وهشام الحارثي؛ ودخلوا من باب توما.

وبعد أن تتامت الجموع أمر يزيد بن الوليد باعتقال نفر من معارضيه لضمان عدم التشويش على خطته، فأرسل أصحابه إلى عامل بعلبك وهو مولى لسعيد بن العـــــاص، وإلى عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف وقاموا باعتقالهما، ثم أمر بإغلاق أبـــواب المدينة وعدم فتحها إلا لمن نادى بشعاره . (١)

وأسند إلى مؤيديه من أبناء الأسرة الأموية بعض الأعمال، فأمر عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان بالوقوف بباب الجابية، وأمر اشقاءه من بني الوليد، أن

---

(١) انظر في هذه الأحداث وما سيأتي منها لاحقاً : البلاذري: أنســـاب، ج٩، ص ٣٧٨٥- ٣٧٩٩. وابـــن حبيب: المحبر ، ص ٣١. واليعقوبي: تاريخ، م٢، ص٣٣٣-٣٣٤. والطبري: تاريخ الأمـــم، ج٩، ص٨-١٦. والأصفهاني: الأغاني،ج٧، ص٥٥-٥٩. وابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٤٨٢-٤٨٥. وابـــن العبـــري:تـــاريخ مختصر الدول، ص٢٠٣-٢٠٤. وأبي الفدا : المختصر في أخبار البشر، ص٢٥٦-٢٥٧. والـــذهبي: تـــاريخ الإسلام، ج٨،ص ٢٩٢-٢٩٤. وفلهاوزن : تاريخ الدولة العربية، ص٣٤٨-٣٥٠. وحسين عطوان: الوليد بين يزيد، ص ٤٥٢-٤٦٥. ونبيه عاقل: خلافة بني أمية، ص٣٣٨-٣٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتفرقوا وينتشروا بين الناس كي يحضوهم على البيعة؛ ثم فتح بيت المال وأعطى الناس عطاءهم وفرَّق الأموال بينهم شراءً لولائهم، وبعد ذلك أعلن عن مكافأة مالية كبيرة مقابل رأس الوليد ناعتاً إياه بالفاسق، وأشرف على تنظيم الجيش المتوجه للإطاحة به ونصّب قادته وهم: منصور بن جمهور، ويعقوب بن عبد الرحمن سليم الكلبي؛ وحميد بن حبيب اللخمي؛ ثم وضع قائداً عاماً للجيش وهو عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، فسار بالجيش وعسّكر بالمزة.

وقام الوليد باتخاذ بعض التدابير في مواجهة هذا التحرك حين أيقن بجديته؛ فأرسل إلى أبي محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ووجهه على رأس الجيش إلى دمشق لوأد الثورة، لكنه أخفق في إنجاز المهمة حين أرسل إليه يزيد بن الوليد جيشاً بقيادة عبد الرحمن بن مصاد واضطر لمبايعة يزيد، فقال الوليد بن يزيد بن عبد الملك عندما علم بالخبر : (١)

يا وَيْحَ جُنْدي الأُلى خَاروا وَمَا نَظَروا ... في غَبِّ أمرِ عَمُودِ الدّينِ لَوْ وَقَعا
أَلْقَحْتُها ثُمَّ شَالَتْ عَاقِداً أُنُفاً ... ما نَتّجُوها فَيَلقوا تَحْتَها رُبَحا
وَلا ارْتَقوا مِنْ صَمِيْمِ المَحْضِ آونَةً ... لَكْنَهُمْ يَحْتَسُونَ الصَّابَ والسَّلَّعا
مَا كَنْتُ أَجْزَعُهُمْ مِنْ عَرْكِ كَلْكَلِها ... حتى تَدُرَّ نجْيعاً أحَمْراً دُفَعا
مِنْ كُلِّ لَيْثٍ شَتِيْمِ الوَجْهِ ذي زَبَدٍ ... ضِرْغَامَةٍ يَحْذَرُ الاسادُ ماصنَعا
غِضنفرٌ أَهْرَتِ الشِدْقَيْنِ قَسْوَرَةٍ ... كَأَنَّهُ ظَالِع نَقْباً وَمَا ظَلَعا
يَلْقَاكَ في اللّيلةِ الظَلْمَاءِ مُنْفَرِداً ... كَأَنَّه في رَأْسِهِ نَجْمَيْنِ قَدْ طَلَعَا

وحاول استمالة الجنود الذين حوله باطلاق الوعود لهم بالعطاء الوفير إذا التفــوا حوله وساعدوه على النجاة من الموت، وترجم هذه الوعود شعراً بقوله : (٢)

ضَمِنْتُ لَكُمْ إِنْ سَلَّمَ اللّهُ مُهْجَتي ... عَطَاءً وَرِزْقَاً كَامِلاً في المُحَرَّمِ
فَلاَ تُعْجِلُوني لاَ أَباً لِإِبِيْكُمُ ... فَإِنّي لَكُمْ كالوَالِدِ المُتَرحّمِ

---

(١) البلاذري: نفسه ، ج٩ ، ص٣٧٨٩ ، وانظر كذلك ترجمة ابن عساكر للسفياني وذكره هذه الحادثة : ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ، ج١٩، ص ١٥٣.

(٢) البلاذري: أنساب، ج٩، ص٣٧٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسار إلى البخراء بناءً على رأي خاصته، فعرف بمسيره عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك، فقاد الجيش وتبعه حتى عسكر على مقربة من البخراء؛ ثم أرسل منصور ابن جمهور على رأس جيش لملاقاة العباس بن الوليد الذي خرج بأولاده ومواليه لنصرة الوليد فهُدد بالقتل وأُرغم على البيعة ليزيد، وُجلبَ إلى عسكر عبد العزيز فُرفعت رايته وأعلنوا مبايعته ليزيد فقال[١] : ((... إنّا لله خدعة من خدع الشيطان، هلك بنو مروان ...)).

وكشفت ردة فعل يزيد بن الوليد بعد انتهاء القتال باغتيال الوليد على نحو مأساويّ عن مدى الكراهية والحقد الذي اختلج في صدور أبناء الأسرة الأموية تجاه بعضهم بعضاً بسبب التناحر على الخلافة؛ إذ بادر بالسجود عندما سمع خبر قتل الوليد؛ وقد قال البلاذري مصوراً هذا الموقف [٢]: ((... وحمل الرأس إلى يزيد بن الوليد روح بن مقبل، وقال : ابشر يا أمير المؤمنين بقتل الوليد الفاسق، وكان يزيد يتغدى فسجد ومن كان معه ...)).

وعبّر عن مدى حقده على ابن عمه حين أمر بنصب رأسه غير مكترث لمن حاول نهيه عن هذه الخطوة التي لا تليق بأبناء العمومة ؛ قال البلاذري[٣]: ((... قالوا : ولما أمر يزيد الناقص بنصب رأس الوليد قال له يزيد بن فروة مولى بني مروان: إنما ينصب رأسي خارجي، وهذا ابن عمك وخليفة من الخلفاء ولا آمن إن نصبته أن ترِقَّ له قلوب الناس، ويغضب له أهل بيتك وتدركهم الحمّية . فقال: والله لا نصبه غيرك. فنصبه على رمح ثم قال: انطلق فطف به في مدينة دمشق وأدخله دار أبيه ...)).

---

(١) البلاذري :نفسه ، ج٩ ، ص ٣٧٩١-٣٧٩٢ . وانظر كذلك: الطبري: تاريخ الأمم، ج٩ ، ص١١-١٢. والأصفهاني : الأغاني، ج٧، ص ٥٧. وابن الأثير : الكامل، ج٤ ، ص ٤٨٣-٤٨٤. والذهبي : تاريخ الإسلام، ج٨ ، ص ٢٩٣.

(٢) البلاذري : نفسه : ج٩،ص ٣٧٩٣ . وانظر كذلك: الطبري: نفسه، ج٩ ص١٢. وابن الأثير: نفسه، ج٤ ، ص ٤٨٤. والذهبي : نفسه ، ج٨ ، ص ٢٩٣.

(٣) البلاذري: أنساب: ج٩، ص٣٧٩٥. وانظر كذلك : خليفة بن خياط: تاريخ، أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ٣٦٤. واليعقوبي : تاريخ، م٢ ، ص ٣٣٤ .والطبري: تاريخ الأمم،ج٩ ، ص ١٥. وابن الأثير: الكامل ، ج٤ ، ص ٤٨٤-٤٨٥. وابن العبري: تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٣. والذهبي: تاريخ الإسلام ، ج٩، ص ٢٩٤. والسيوطي: تاريخ الخلفاء، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ص ٢٥١. والبغدادي: خزانة الأدب ، ج٢ ، ص ٢٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأصرّ على تصوير مدى السوء الذي أصاب العلاقة الأسرية بين أفراد البيت الأموي من خلال ما كاله من شتائم لابن عمه الوليد أمام الرعية في الخطبة التي خطبها

بعد مقتله؛ وقد روى البلاذري هذه الخطبة ومنها[١] : ((... قالوا : ولما قُتل الوليد خطب يزيد فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم : أيها الناس، إني واللهِ ما خرجت بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك، وما أقول هذا إطراءً لنفسي، إني لظلوم لها إن لم يرحمني ربي. ولكن خرجت غضباً لله ولدينه، وداعياً إلى الله وكتابه وسنة نبيه، لَمّا هُدمت معالم الدين، وعُفي أثر الحق وأُطفىء نور الهدى، وظهر الجبار العنيد المستحلّ لكل حرمة، والراكب لكل بدعة، مع أنه والله ما كان يصدّق بالكتاب، ولا يؤمن بيوم الحساب، وإنه لابن عمي في النسب، وكفئي في الحسب، فلما رأيتُ ذلك استخرتُ الله في أمره وسألته أن لا يكلني إلى غيره، ودعوت إلى مجاهدته، فأجابني من أجابني من أهل ولايتي ، وسعيت عليه حتى أراح الله منه العباد بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي...)).

وحتى في رسالته إلى أهل العراق ألح يزيد على التشهير بابن عمه القتيل، كاشفاً عن التصدع الكبير الذي أصاب أواصر القُربى بين بني أمية دون تحرج من شتم ابن عمه على الملأ؛ ومن هذه الرسالة برواية البلاذري[٢] : ((... فتناسخت خلفاء الله وولاة دينه قاضين بحكمه متبعين لكتابه حتى أفضى الأمر إلى عدو الله الوليد المنتهك للمحارم، والراكب للعظائم التي لا يأتي مثلها مسلم، ولا يُقدم عليها كافر تكرّماً عن غشيان مثلها، فلما استفاض ذلك وتمكن، واشتد فيه البلاء، وسُفكت الدماء... فبعثت عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، فلاقى عدو الله ومن معه وهو بجانب قرية من قرى حمص تدعى البخراء، فدعاه إلى أن يجعل الأمر شورى ينظر فقهاء المسلمين وصلحاؤهم فيه لأنفسهم، فأبى ذلك متتابعاً في ضلالته فقتله الله على شر عمله وأسوأ أثره بين عصبة من بطانته

---

(١) البلاذري: نفسه، ج٩، ص ٣٨٠٥-٣٨٠٦ . وانظر كذلك : خليفة بن خياط : نفسه ، ص ٣٦٥. والجاحظ: البيان والتبيين ، ج٢ ، ص١٤١-١٤٢. والطبري : نفسه ، ج٩ ، ص٢٦-٢٧. وابن عبد ربه:العقد ، ج٤ ، ص١٥٩ . والذهبي : نفسه ، ج٨ ، ص ٣١١ -٣١٢ . والسيوطي : نفسه، ص ٢٥٢ – ٢٥٣.

(٢) البلاذري : أنساب ، ج٩، ص ٣٨٠٩-٣٨١٠ ، وانظر كذلك : الطبري: تاريخ الأمم، ج٩،ص ٣١-٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخبيثة، فأطفأ الله جمرته، واراح العباد منه فبعداً له ولمن كان على طريقته، أحببت أن أعلمكم ذلك لتحمدوا الله عليه وتشكروه...)).

واستمر توارث الأحقاد، واستفحلت الكراهية بين أبناء البيت الأموي بسبب الصراع السياسي؛ إذ ألقى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك القبض على ابني الوليد عثمان والحكم، وأتى بهما يزيد فسلمها بدوره إلى عمهما سليمان بن يزيد بن عبد الملك الذي سرعان ما تخلى عنهما خوفاً من سعاية الناس بينه وبين يزيد بسببهما ؛ فأمر بسجنهما، فدخل عليهما في السجن يزيد بن هشام شاتماً ولاعناً عمه الوليد؛ قال البلاذري مصوراً هذه الحادثة[١]: ((... قالوا وتغيب عثمان والحكم ابنا الوليد بن يزيد في سَرَب من القصر، فطلبهما عبد العزيز فوجدهما في السرب فأتى بهما يزيد فدفعهما إلى عمهما سليمان بن يزيد بن عبد الملك فمكثا عشرة أيام ثم ردهما وقال: قد كثر اختلاف الناس إليهما، وقد كان أبوهما بايع لهما فأخاف أن أغلب عليهما فإن في الناس غواة؛ فأمر يزيد بحبسهما فحبسا بالخضراء، فدخل عليهما الأفقم وهو يزيد بن هشام السجن، وكان الوليد قد ضربه وحلقه فشتم أباهما ولعنه، فبكى الحكم فزجره أخوه عثمان، وقال : اسكت ، وقال للأفقم: ويحك تشتم أبي ؟ قال: نعم، فقال عثمان: لكني لا أشتم عمي هشاماً ، وايم الله لو كنت من بني مروان ما شتمت أبي ولكنك لست من بني الحكم فانظر إلى وجهك في المرآة، فإن رأيت حكمياً يشبهك فأنت منهم، ولا واللهِ ما في الأرض حكميّ مثل وجهك)).

وكشفت القصيدة التي يقال أن الحكم بن الوليد بن يزيد قد نظمها أثناء وجوده في السجن عن مدى الظلم الذي ألحقه بنو أمية ببعضهم بعضاً بسبب التناحر على الخلافة؛ إذ استغاث بأعمامه مروان والغمر بن يزيد مصوراً لهم تآمر بني أمية على أبيه، متسائلاً عن قبولهما لضياع دم والده وماله هدراً من عدمه، محرضاً مروان على الانتقام من قتلته وعلى رأسهم يزيد ومن شايعه من بني أمية، مسنداً العهد بعده وشقيقه إلى مروان: [٢]

ألاَ مَنْ مُبْلِغٌ مَرْوانَ عَنّي وَعمِيَّ الَغْمرَ طَالَ بذا حَنِينا

(١) البلاذري : نفسه ، ج٩، ص٣٨٠٠. وانظر كذلك: الأصفهاني : الأغاني ، ج٧ ، ص ٥٩.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ج٩ ، ص٥٤ ، وانظر كذلك : ابن عبد ربه: العقد ، ج٥ ، ص١٩٨. وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ، ج١٥، ص٨١ . وابن الأثير : الكامل، ج٥ ، ص ٤-٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بِأَنِّي قَدْ ظُلِمْتُ وَصارَ قَوْمي على قَتْلِ الوَلِيدِ متبا يعيناَ
أَيَذْهَبُ كَلْبُهُمْ بِدَمِيَ وَمَالِي فَلاَ غَثّاً أَصَبْتُ وَلا سَمينا
وَمَرْوانٌ بأَرْضِ بني نِزَار كَلَيْثِ الغَابِ مُفْتَرِسٌ عَرِينا
أَلَمْ يَحْزُنْكَ قَتْلُ فَتَى قُرَيْشٍ وَشَقُّهُمْ عُصِيَّ المُسْلِمِينا
أَلا فاقرا السَّلامَ علىِ قُرَيْشٍ وَقَيِّس بالجزْيرةِ أَجْمَعينا
وَسَادَ النَّاقِصُ القَدَرِيّ فينا وألقى الحَرْبَ بَيْنَ بني أَبِيْنا
... ...
فإِنْ أَهْلِكْ أَنَا وَوَلِيُّ عَهْدِي فَمَرْوانٌ أَمِيْرُ المُؤْمِنِينا

وخرج سليمان بن هشام بن عبد الملك من سجنه بعَّمان؛ وكان قد سجن فيه بأمر الوليد متشفياً ساخطاً، وأخذ يشتم ابن عمه ويلعنه ويكفّره، ونهب جميع ما كان بعَّمان من المال؛ قال البلاذري [١]: ((... فلما قُتل الوليد اختلف بنو مروان بينهم، وكان سليمان بن هشام محبوساً بعَّمان فخرج من السجن، فأخذ جميع ما كان بعَّمان من المال، وأقبل إلى دمشق، وجعل يلعن الوليد بن يزيد ومن يهوى هواه ويعيبه، ويكّفره)).

وحاول يزيد اضفاء الشرعية على خلافته فدعا الناس إلى تجديد البيعة ، فكان أول المبايعين يزيد بن هشام بن عبد الملك. [٢]

واضطر إلى مبايعة شقيقه إبراهيم ولياً للعهد؛ ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بضغط من الغيلانية؛ وقد صوّر البلاذري هذا الضغط فقال[٣]: ((وحدثني داود بن عبد الحميد عن أشياخه قالوا : لم يزل الغيلانية بيزيد الناقص حتى بايع لإبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده ...))

وأقول إنه بايع لأخيه مضطراً لأن ابن عساكر والذهبي نقلا عنه أنه غضب حين طُلب منه ذلك وضرب على جبهته مستنكراً ؛ قال بُرد بن سنان[٤]: ((... حضرتُ يزيد بن

---

(١) البلاذري: أنساب، ج٩، ص ٣٨٠٠-٣٨٠١ . وانظر كذلك: الطبري: نفسه ، ج٩ ،ص ٢٢-٢٣ .
وابن الأثير : نفسه، ج٤ ، ص ٤٨٧.

(٢) البلاذري: نفسه، ج٩، ص ٣٨٠٦. والطبري : نفسه، ج٩، ص ٢٧.

(٣) البلاذري: أنساب، ج٩، ص ٣٨١٨. والطبري : تاريخ الأمم، ج٩ ، ص ٤٣-٤٤.

(٤) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٧ ، ص٢٤٧. والذهبي: تاريخ الإسلام ، ج٨،ص٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوليد وقد احتضر فأتاه قَطَن فقال: أنا رسولُ منْ وراءك يسألونك بحق اللهِ لَمَا وليّت أمرهم أخاك إبراهيم بن الوليد، فغضب وقال بيده على جبهته: أنا أوليّ إبراهيم ! ...)).

٧- انقسام بني أمية بعد مقتل الوليد بن يزيد :

لا شك أن اغتيال الوليد على يد أبناء عمه قد زاد تفسخ الأسرة الأموية؛ إذ غضب لمقتله ثلاثة من أمراء بني أمية هم: مروان بن محمد بن مروان، ومروان بن عبد الله ابـــن عبد الملك ، وأبو محمد زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان؛ فدعا مروان بن عبد الله بن عبد الملك أهل حمص للمسير معه والثأر للوليد فأجابوه، ولكن الخلاف الذي دب بينه وبين السفياني أدى في نهاية المطاف إلى مقتله، ومبايعة السفياني فسار بأهل حمص لقتال يزيد، فوجه إليه جيشاً بقيادة سليمان بن هشام وعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، فهُزم وانتهى الأمر بايداعه السجن بأمر من يزيد مع الحكم وعثمان ابني الوليد. (١)

وصوّر اليعقوبي مدى الانقسام الذي أصاب الأسرة الأموية بعد اغتيال الوليد فقال(٢): ((وملك يزيد بن الوليد بن عبد الملك ... ونقص الناس من أعطائهم، فسمّي يزيد الناقص، واضطربت عليه البلدان، فكان ممن خرج عليه العباس بن الوليد بحمص وشايعه أهل حمص، وبشر بن الوليد بقنسّرين، وعمر بن الوليد بالأردن، ويزيد بن سليمان بفلسطين، وساعد العباس أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية، وسليمـــان بن هشـــــام))

٨- الصراع بين مروان بن محمد وبعض أمراء بني أمية:

وأما مروان بن محمد فتحرك بعد موت يزيد لخلع إبراهيم بن الوليد، مطلقاً على الوليد لقب الخليفة المظلوم، مشبهاً نفسه بمعاوية بن أبي سفيان الذي طلب بدم عثمان، محرضاً أهل الجزيرة وقنسرين وحمص على قتال ابراهيم بن الوليد؛ وقد روى البلاذري

---

(١) انظر التفاصيل : البلاذري: نفسه، ج٩، ص ٣٨١٧-٣٨١٨. والطبري: نفسه ، ج٩،ص٢٣-٢٥. وابن عساكر: نفسه، ج١٩، ص١٥٣. وابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص ٤٨٧-٤٨٨.

(٢) اليعقوبي : تاريخ، م٢، ص٣٣٥. وانظر كذلك : الطبري: نفسه ، ج٩، ص ٢٥-٢٦-٥٦. وابن الأثير: نفسه ، ج٤، ص٤٨٨-٤٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه التحركات فقال[١]: ((... وكان مروان بن محمد بن مروان بن الحكم حين قُتل الوليد قدم الجزيرة فدعا إلى نفسه سراً، وسمّى الوليد الخليفة المظلوم، وأظهر أنه يطلب بدمه وقال: إنما قتله قدرية غيلانية. فبايعه خلق من أهل الجزيرة ، ثم أظهروا أمره بعد بيعه إبراهيم بن الوليد بشهر أو بأكثر منه بأيام بحّران، وقال : أمري شبيه بأمر معاوية حين طلب بدم الخليفة المظلوم عثمان ، ثم إنه سار بأهل الجزيرة وقنسرين وحمص يريد إبراهيم وبعث إلى الناس : انهضوا لمحاربة هذا القدري أخي القدري الغيلاني المبتز لأمور الناس الآمر بالبدعة والضلالة فإن جهاده واجب على كل مسلم، فقد كنت على مجاهدة أخيه فسبقني به أجله، وصار إلى نار الله وحر سعيره، مبتدعاً ضالاً)).

وبدأ الاحتراب والاقتتال بين أبناء العمومة من جديد لا لشيء إلا للتنازع على الخلافة، منذراً بتقطع أواصر القربى بينهم؛ إذ أرسل إبراهيم جيشاً لمحاربة مروان بقيـــادة شقيقيه بشر ومسرور، وانتهت المعركة بأسرهما وهزيمة عسكرهما؛ ثم وجه إبراهيم جيشاً آخر بقيادة سليمان بن هشام فاشتبك مع جيش مروان بعين الجر، فانهزم سليمان وفر ملتحقاً بإبراهيم. [٢]

وتمكن مروان من استمالة وجوه أهل دمشق، بعد أن أغراهم ومنّاهم ووعدهم، وحلف لهم على الوفاء والإحسان، فانقلبوا على ابن عمه إبراهيم، ثم نزل الغوطة وبايعه خلق كثير من الناس. [٣]

ورداً على هذه الانتصارات تآمر عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك مع يزيد ابن خالد بن عبد الله القسري ، على إعدام ابني عمه الوليد بن يزيد، عثمان والحكم في

---

(١)البلاذري: أنساب، ج٩، ص٣٨١٣. وانظر كذلك : اليعقوبي : تاريخ ، م٢، ص ٣٣٧. والطبري: تاريخ الأمم، ج٩، ص٤٧. وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٥٧، ص ٣٢٨. وابن الأثير : الكامل ج٥،ص٣.

(٢) انظر في هذه الأحداث : البلاذري: نفسه، ج٩، ص ٣٨١٣-٣٨١٤ . واليعقوبي: تاريخ ، م٢، ص ٣٣٧. والطبري: نفسه، ج٩، ص٤٧-٤٨. وابن عساكر: نفسه ،ج٢٢، ص٣٩٥، وج٥٧،ص٣٢٩. وابـــن الأثيـــر : نفسه، ج٥،ص٤-٥ . والذهبي: تاريخ الإسلام ، ج٨،ص١٦. واليافعي : مرآة الجنان ، ج١ ،ص٢٩٢.

(٣) انظر في ذلك : البلاذري: أنساب، ج٩ ،ص ٣٨١٤ . والطبري : تاريخ الأمم ، ج٩ ،ص٤٨. وابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق، ج٥٧،ص٣٢٩.وابن الأثير: الكامل ،ج٥،ص٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سجنهم ؛ مُحدثاً بهذا التآمر هوةً واسعة في جدار الرابطة الأسرية التي تجمع بين أبناء الأسرة الأمويـــة. (١)

وبعدها تلقّى أبو محمد السفياني مروان، وعزّاه عن الوليد وابنيه؛ وأخبره بأنهما جعلا له العهد من بعدهما على مرأى ومسمع من رؤوس أصحابه؛ فسّره ذلك على الرغم من إعلانه بأنه لم يطلب هذا الأمر بتاتاً. (٢)

ودخل مروان دمشق ويقال إنه نبش قبر يزيد بن الوليد وصلبه، فقد ذكر البلاذري(٣) وابن عبد ربه (٤) ، وابن عساكر(٥)، والذهبي (٦) أن مروان أمر بنبش القبر واستخراج جثمان يزيد وصلبه.

وذهب الطبري(٧)؛ وابن الأثير (٨)، إلى أن موالي الوليد بن يزيد هم الذين نبشوا القبر انتقاماً لمقتله وولديه الحكم وعثمان.

---

(١) انظر في هذه المؤامرة :البلاذري: نفسه: ج٩، ص ٣٨١٤. خليفة بن خياط: تاريخ، ص٣٧٣. والطبـــري: نفسه، ج٩، ص٤٨. وابن عساكر: نفسه: ج٥٧، ص٣٢٩. وابن الأثير: نفسه، ج٥، ص٤. والـــذهبي: تـــاريخ الإسلام، ج٨،ص١٧

(٢) انظر في ذلك : البلاذري: نفسه، ج٩، ص٣٨٣٨ . والطبري : نفسه ، ج٩، ص٥٤. وابن عساكر:نفسه ، ج٥٧، ص٣٣٠. وابن الأثير: نفسه ،ج٥،ص٤. وانظر القصيدة التي زعم أبو محمد السفياني أن الحكم نظمهـــا وعهد بالخلافة فيها لمروان: ص ٩٩ من هذا الفصل .

(٣) البلاذري: نفسه: ج٩،ص٣٨١٩.

(٤) ابن عبد ربه: العقد ،ج٥،ص١٩٦.

(٥) ابن عساكر : نفسه ،ج٥٧،ص٣٣٠.

(٦) الذهبي: نفسه، ج٨،ص١٧.

(٧) الطبري : تاريخ الأمم، ج٩، ص٥٤.

(٨) ابن الأثير: الكامل ، ج٥،ص٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسواءً أكانت الرواية الأولى هي الصحيحة أم الثانية فإن الحادثة تُعد شرخاً جديداً يضاف إلى الشروخ التي أصابت الروابط الأسرية بين أبناء البيت الأموي بسبب التنافس على الخلافة وما رافقه من أحقاد وانتقام.

وبعد أن تمت له البيعة ودخل دمشق حاول مروان بن محمد رأب صدع الأسرة الأموية؛ إذ أمّن إبراهيم بن الوليد فتنازل له عن الخلافة، وخلع نفسه بعد أن خذله جنوده، وأعطى الأمان لسليمان بن هشام وقلّده منصباً رفيعاً؛ وأمّر إسحاق بن إبراهيم بن الوليد

وسليمان بن يزيد بن عبد الملك فبايعاه. (١)

ولضمان عدم معارضته في توليه العهد من بعده لولديه عبيد الله وعبد الله، وسعياً وراء لم شمل الأسرة الأموية زوّج ولديه لابنتي هشام بن عبد الملك؛ وهذا ما رواه الطبري فقال(٢) : ((... وأقبل مروان من دير أيوب حتى بايع لابنيه عبيد الله وعبد الله وزوجهما ابنتي هشام بن عبد الملك أم هشام وعائشة وجمع لذلك أهل بيته جميعاً منهم من ولد عبد الملك محمد وسعيد وبكار، وولد الوليد، وسليمان ويزيد وهشام وغيرهم من قريش ورؤوس العرب...))

ولكن هذه المحاولات لم تنجح في تنقية نفوس أبناء الأسرة الأموية المشحونة حقداً وضغناً ؛ إذ انتهز سليمان بن هشام أول فرصة سانحة وخلع مروان؛ سامحاً للرعية التدخل من جديد في اذكاء نار الخلافات بين أبناء البيت الأموية بالإتكاء على تحريضهم ضد بعضهم بعضاً بوساطة الخلافة والتناحر عليها؛ فنشب الصراع الدموي من جديد، ودارت عدة معارك انتهت بهزيمة سليمان وفراره. (٣)

---

(١) انظر في هذه الأحداث : البلاذري : أنساب، ج٩، ص٣٨٣٨-٣٨٣٩. واليعقوبي: تاريخ، م٢،ص٣٣٧. والطبري: نفسه :ج٩، ص٥٤-٥٥. وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق : ج٥٧،ص٣٣٠. وابن الأثير: نفسه،ج٥، ص٥. وابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٠٥. والذهبي: تاريخ الإسلام ،ج٨،ص١٧.

(٢) الطبري: نفسه، ج٩،ص٥٦. وانظر كذلك : ابن الأثير: نفسه، ج٥.ص٨.

(٣) انظر في المعارك الطاحنة التي جرت بين مروان بن محمد وسليمان بن هشام: البلاذري: أنساب، ج٩، ص ٣٨٥١ -٣٨٥٥. والطبري: تاريخ الأمم ، ج٩ ، ص ٦٢-٦٤. وابن الأثير: الكامل ج٥، ص ١٠-١١. وابن العبري: تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٥. وأبي الفدا : المختصر في أخبار البشر، ج١، ص ٢٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاء رد الفعل من مروان عنيفاً فأعدم إبراهيم أكبر أولاد سليمان دون مراعاة لصلة القربى والرحم التي تجمعه به؛ قال الطبري[١] : ((... وقَتَل إبراهيم بن سليمان أكبر ولده ...)).

وتحالف سليمان بن هشام من أجل الحصول على الخلافة مع الخوارج أعداء بني أمية اللدودين الذين حاربهم أسلافه من الخلفاء بلا هوادة ولا رحمة، فبايع الضحاك بن قيس مع مجموعة من أمراء بني أمية هم : عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وأبان بن معاوية بن هشام، وداود بن سليمان بن عبد الملك، ونشبت الحرب بين الضحاك ومروان وانتهت بمقتل الضحاك . [٢]

وقد نظم سليمان بن هشام أثناء تحالفه مع الضحاك بن قيس بيتين من الشعر يقطران أسىً وحسرة على الوضع الذي آلت إليه الأسرة الأموية مخاطباً أخته عائشة بنت هشام زوجة عبيد الله بن مروان بن محمد بقوله : [٣]

يَا عَيْشُ لَوْ أَبصَرْتِنا لَتَرَقْرَقتْ دُمُوعكِ لما خَفَّ أَهْلُ البَصَائِرِ
عَشِيـــــةَ رُحْنـــــا واللِـــــوَاءُ كَأَنَّـــــهُ إِذا زَعْزَعَتْـــهُ الرِيْـــحُ أَشْـــلاءَ طَائِـــرِ

وتابع سليمان بن هشام وبعض الأمراء الأمويين تحالفهم مع الخوارج ضد مروان بعد مقتل الضحاك بن قيس، فقاتلوا تحت قيادة الخيبري، ثم شيبان بن عبد العزيز اليشكري، وانتهت المعارك بانتصار مروان وفرار سليمان حتى قتله أبو العباس لاحقاً. [٤]

---

(١) الطبري: نفسه ، ج٩، ص ٦٢. وانظر كذلك : ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ، ج٦، ص ٤١٧. وابن الأثير: نفسه ، ج٥، ص١٠ وفيه : ((... وقتل إبراهيم بن سليمان وأكثر ولده...)).

(٢) انظر في هذه الأحداث : لبلاذري: نفسه ، ج٩، ص ٣٨٧٦-٣٨٨١ . والطبري : نفسه، ج٩ ، ص ٦٤، و ص ٧٦-٧٧. وابن عساكر : نفسه، ج٦ ، ص ١٦٠ وفيه أن : ((... أبان بن معاوية بن هشام كان مع عمه سليمان بن هشام حين هرب من مروان بن محمد ، ثم دخل أبان إلى خراسان وبايع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر)) وج٢٢، ص٣٩٥ . وابن الأثير: نفسه، ج٥، ص١١و ص ٢١-٢٢.

(٣) ابن عساكر: نفسه ، ج٢٢، ص٣٩٧.

(٤) انظر في هذه المعارك : البلاذري: أنساب: ج٩، ص٣٨٨١-٣٨٨٩ . والطبري : تاريخ الأمم،ج٩، ص٧٧-٨٢. وابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٢-٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تنفع أمية بن معاوية بن هشام بن عبد الملك استغاثته بالرحم التي تجمع بينه وبين مروان بن محمد حين أُلقى القبض عليه وهو يقاتل ضده مع شيبان الخارجي؛ إذ أعدمه بلا رحمة؛ قال الطبري[١] : ((... قال : كان مروان يقاتل الخوارج بالصف ... وخندق مروان بازائهم فأقام ستة أشهر يقاتلهم بكرة وعشية. قال وأُتي مروان بابن أخٍ لسليمان بن هشام يُقال له أمية بن معاوية بن هشام وكان مع عمه سليمان بن هشام في عسكر شيبان بالموصل فهو مبارز رجلاً من فرسان مروان فأسره الرجل فأتي به أسيراً فقال له : أنشدك الله والرحم يا عم . فقال : ما بيني وبينك اليوم من رحم؛ فأمر به وعمه سليمان وأخوته ينظرون فقطعت يداه وضربت عنقه ...)).

وقد استغل دعاة الدولة العباسية هذا التناحر على الخلافة بين أفراد الأسرة الأموية، وتمكنوا من التخطيط السليم، وحشد الطاقات، وأسقطوا الدولة الأموية وفتكوا بأفرادها.

(١) الطبري : نفسه، ج٩ ، ص٧٩. وانظر كذلك : البلاذري : نفسه، ج٩ ص ٣٨٥٤ . وابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق، ج٩ ، ص ٣٠٦ . وابن الأثير : نفسه ، ج٥ ، ص ٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العامل الاجتماعي : دور نسب الأم في تباغض أمراء بني أمية

ولم يكن العامل السياسي المتمثل بالصراع على الخلافة على الرغم من أهميته الكبيرة هو الوحيد الذي ساهم في رسم ملامح العلاقة الأسرية بين أفراد البيت الأموي؛ بل ارتبط به عامل آخر لا يقل عنه في الأهمية وهو العامل الاجتماعي المتصل بتعامل أبناء الأسرة الأموية بعضهم مع بعض على أسس اجتماعية منها نسب الفرد من جهة أمه ولا سيما إذا كانت الأم غير عربية، أو عربية لا تنتمي لقبيلة لها مكانة رفيعة في المجتمع.

وقد ساهم بعض الخلفاء في خلق التباغض بين أبنائهم من خلال زواجهم من العربيات وغير العربيات؛ وتحيزهم لأبنائهم من العربيات، فعلى سبيل المثال كان مسلمة من أفضل أبناء عبد الملك وأشجعهم وأسدهم رأياً، ومع ذلك لم يَرُق لعبد الملك أن يسبق مسلمة ابن الأمة سليمان ابن الحرة وصرّح بعدم رضاه شعراً رواه ابن عبد ربه فقال[١]: ((... سابق عبد الملك بين سليمان ومسلمة، فسبق مسلمة سليمان، فقال عبد الملك:

أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَحْمِلوا هُجَنَاءكُمْ على خَيْلِكُمْ يَوْمَ الرِّهَانِ فَتُدْرَكُ
وَمَا يَسْتَوي المَرْءان هَذا ابْنُ حُرّةٍ وهذا ابْنُ أَخْرى ظَهْرُها مُتَشَرَّكُ))

وروى المدائني أنه أصيب بالغيظ حين صرع هشام ابن المخزومية شقيقه محمد، فطلب منهما إعـــادة الجولة وسر سروراً عظيماً حين فاز محمد في الجولة الثانية، مما يؤكد دور تعدد الزوجات وتمييز الخلفاء بين أبنائهم بسبب أمهاتهم في التباغض بين أبناء الأسرة الأموية ؛ يقول[٢] :((... اصطرع محمد وهشام ابنا عبد الملك بين يديه فصرع هشام محمداً وقعد على صدره فقال هشام : أنا ابن الوحيدة – وكانت أمه مخزومية - فغاظ ذلك عبد الملك فقال: عودا، فصرع محمد هشاماً فقعد على هشام وقال : سأرهقه صعوداً ، فضحك عبد الملك وضم محمداً إليه)).

---

(١) ابن عبد ربه : العقد ، ج٧، ص١٢٣. وانظر كذلك : الأبشيهي: المستطرف، عبد الله أنيس الطباع،دار القلم، بيروت ، ج٢، ص ٣٢٢. والشعر لعمرو السعدي تمثله عبد الملك في هذا الموقف.

(٢) البلاذري : أنساب، ج٧، ص٣١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويكشف الحوار التالي بين الوليد وعبد الله في حضرة والدهم عبد الملك عن دور التسري وتعدد الزوجات في التباغض والتشاحن بين الأخوة في العائلة الأموية؛ قال البلاذري[١] :((... بينا بنو عبد الملك عنده إذ مد الوليد رجله في حجر أخيه عبد الله بن عبد الملك فنبذها وقال: اقبض رجلك، فقال الوليد : يا أمير المؤمنين الا ترى إلى ابن البربرية ؟ فقال عبد الله : أجل والله ، إني لابن البربرية، وإنها لابنة أملاك كرام، وليست كأمك ابنة الأعرابي الجلف البائل على عقبيه، فقال الوليد: يا أمير المؤمنين ألا تسمع ؟ فقال عبد الملك: إيهاً الآن اعرضا عن هذا ...)).

(١) البلاذري : أنساب ، ج٧، ص٢٩٧١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العامل الاقتصادي : أثر المال في العلاقات الأسرية عند بني أمية

وكان للعامل الاقتصادي أيضاً أثره المهم في رسم ملامح العلاقة الأسرية بين أفراد البيت الأموي، إذ كان للتمييز بين الأولاد في العطاء، والإسراف في الإنفاق ، والتهديد بمنع العطاء وقطعه، والتحاسد بسبب الخراج، أهمية كبرى في تردي أواصر القربى بين أبناء الأسرة الأموية.

وربما تظهر هذه الأهمية من خلال تهديد عبد الملك بن مروان خالد بن يزيد بن معاوية بمنع عطائه لخلافٍ جرى بينهما ؛ وقد روى المدائني هذا التهديد فقال[١]: ((كان بين خالد بن يزيد بن معاوية وبين عبد الملك بن مروان كلام فجعل عبد الملك يتهدده، فقال له خالد: أتهددني ويد الله فوقك مانعة، وتمنعني وعطاء الله دونك مبذول)).

وتظهر كذلك مما رواه ابن عبد ربه حول غضب سليمان بن عبد الملك على شقيقه يزيد بسبب إسرافه في تبديد الأموال ومفاده[٢] : ((... وأراد سليمان بن عبد الملك أن يحجر على يزيد بن عبد الملك وذلك أنه تزوج سعدى بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان فأصدقها عشرين ألف دينار واشترى جارية بأربعة آلاف دينار؛ فقال سليمان: لقد هممت أن أضرب على يدِ هذا السفيه، ولكن كيف أصنع بوصية أمير المؤمنين بابني عاتكة يزيد ومروان ؟)).

وبتأثير من هذا العامل عبّر أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان عن غضبه من أخيه عمر بسبب تمييز عبد العزيز في الوصية بين أبنائه؛ وقد صور المدائني هذا الغضب بقوله[٣] : ((... أوصى عبد العزيز لعمر بأربعين ألف دينار، ودفعها إلى رجل من أهل المدينة يقال له ابن رمانة، وكان مولى لبعضهم ، فلما توفي عبد العزيز أتاه بالمال

---

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج١٦،ص٣١٠.

(٢) ابن عبد ربه : العقد ، ج٥،ص١٦٤. وانظر كذلك: الطبري: تاريخ الأمم، ج٨،ص١٧٩. وابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٣٦٨. وابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص١٩٩ ، وابن قيم الجوزية: أخبار النساء، ص١٠٩.وابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٢٧٣.

(٣) البلاذري: أنساب ، ج٨،ص٣٣١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقبضه ثم ذهب ابن رمانة فحدّث بذلك أبا بكر بن عبد العزيز فغضب وكتب إلى عمر : إنك أخذت هذا المال دوننا ...)).

وأكد البلاذري دور هذا العامل في تحاسد بني أمية وتباغضهم وكيد بعضهم لبعض فقال [١]: ((... وحسد قوم من بني أمية مسلمة بن عبد الملك وقدحوا فيه عند يزيد بن عبد الملك، وقالوا: وليته العراق فإن اقتطع من خراجه شيئاً أجللته عن تكشيفه لسنه وبلائه وحقه، وقد علمت أن أمير المؤمنين عبد الملك لم يُطمع أحداً من أهل بيته في ولاية الخراج، فوقع ذلك في نفس يزيد وعزم على عزله)).

وتفاقم الخلاف بين هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد بتأثير مباشر من هذا العامل ، إذ قطع هشام عطاء الوليد وأصحابه وحرسه، في محاولة لإجباره على التنازل عن ولاية العهد، متذرعاً بما كان يشاع عن فسق الوليد وتبذيره للأموال على ندمائه ومجونه، وقد روى البلاذري محاولات هشام والرسائل المتبادلة بينه وبين الوليد بن يزيد فقال[٢] : ((... قالوا وقطع هشام عن الوليد ما كان يجري عليه، وأسقط أسماء أصحابه وحرسه وقطع ما كان يجري عليهم، فكتب إليه الوليد : ((قد بلغني الذي أحدث أمير المؤمنين أصلحه الله في قطع ما قطع عني وعن أصحابي وحرسي وأهلي، ولم أكن خائفاً لأن يبتلي الله أمير المؤمنين بذلك، ولا يبتليني به منه، فإن يكن طلبي ابن سهيل علة ذلك، فلم يبلغ أمر ابن سهيل وكتابي فيه ما بلغ أمير المؤمنين من قطيعتي، وإن يكن ذلك لشيء في نفس أمير المؤمنين عليَّ فقد سبب الله لي من العهد، وكتب لي من العمر، وقسم لي من الرزق ما لا يقدر أحد على قطع شيء منه بدون مدته، ولا صرف شيء منه عن مواقعه ، فأقدار الله تجري بما أحب الناس أو كرهوا، فلا تأخير لعاجلها ولا تعجيل لآجلها، والناس بين ذلك مقترفون للآثام عن أنفسهم)). فكتب إليه هشام: ((قد فهم أمير المؤمنين كتابك ، وأمير المؤمنين يستغفر الله من اجرائه ما كان يجري عليك فإنه للمأثم في ذلك أخوف منه على نفسه في قطعه ما قطع لأمرين: أما أحدهما فإيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يجريه عليك وهو يعلم المواضع التي تضعه فيها، وانفاقك إياه في سبيل المعصية، وأما الآخر فلأن أمير المؤمنين أثبت صحابتك وإدرار أرزاقهم وليس ينالهم

---

(١) البلاذري: أنساب، ج٨ ، ص٣٥٣٩.

(٢) البلاذري: نفسه ، ج٩، ص٣٧٥٠-٣٧٥١ . وانظر كذلك : الطبري : تاريخ الأمم، ج٨، ص٢٩٠ -٢٩٢. والأصفهاني . الأغاني ، ج٧،ص١٢-١٣. وابن الأثير : الكامل ،ج٤،ص٤٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــا ينال المسلمين في كل عام من المكروه عند قطع البعوث وجهاد العدو، وإنما هم معك تجول بهم في سفهك وبطلانك وفسوقك ... ولعمر أمير المؤمنين إن كتابك إلي أمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحمقك وسقوطك، فاربع على نفسك وغلوائها ، فإن لله سطوات وغيراً يصيب بها من يشاء وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور إليه، وأرضاها له. والسلام)).

ولما لم تفلح محاولات الوليد في ثني هشام عن قطع العطاء عنه، زاد حقده على عمه، وتوعد بالانتقام من أبنائه وخاصته قائلاً : (١)

رأَيْتُكَ تَبْني جَاهِداً في قَطِيْعَتي ... فَلَوْ كُنْتَ ذا عَقْلٍ لَهَدَّمْتَ ما تَبْني
سَتَتْرُكَ لِلْبَاقِيْنَ مَجْنى ضَغَيْنَةٍ ... ووَيْلٌ لَهُمْ إنْ مِتَّ مِنْ شرٍّ ما تَجْني

وقال أيضاً : (٢)

أَلَيْسَ عَظِيماً أَنْ أَرَى كُلَّ وَارِدٍ ... حِياضَكَ يَوْماً صَادِراً بالنّوافِلِ
وَأَرْجِعَ مَجْذُوذَ الرَّجاءِ مُصَرَّداً ... بِتَحْلِئَةٍ عَنْ وِرْدِ تِلْكَ المَناهِلِ
فَأَويسْتُ مِمَّا كُنْتُ آمَلُ فِيْكُم ... وَلَيْسَ يُلاقي ما رَجَا كُلَّ آمِلِ
كَذي قَبْضَةٍ يَوْماً على عُرْضِ هَبْوَةٍ ... يَشُدُّ عليها كَفَّهُ بالأَنّامِلِ

وقد أصبح الأمويون بسبب هذه العوامل عبرة لمن جاء بعدهم بدليل قول عقيل ابـــن هاشم القَيْني مخاطباً قومه: (٣)

يَا آلَ عَمْرو أَمِيْتوا الضَغْنَ بَيْنَكُم ... إِن الضَغَائِنَ كَسْرٌ لَيْسَ يَنْجَبِرُ
قَدْ كَانَ في آلِ مروانٍ لَكُمْ عِبَرٌ ... إِذْ هُمْ مُلُوكٌ وَإِذْ ما مِثْلُهُمْ بَشَرُ
تَحاسَدوا بَيْنَهُمْ بالغِشِ فَاخْتَرموا ... فَمَا تُحِسُ لَهُمْ عَيْنٌ وَلا أَثَرُ

---

(١) البلاذري: أنساب: ج٩، ص٣٧٥٢. وانظر كذلك الطبري: تاريخ الأمم ، ج٨، ص٢٩٢. والأصفهاني: الأغاني:ج٧، ص٩. وابن الأثير : الكامل ، ج٤، ص ٤٦٨.

(٢) البلاذري: نفسه، ج٩، ص ٣٧٥٢. والأصفهاني: نفسه، ج٧،ص١٢-١٣. وابن أبي الفرج : الحماسة البصرية، ج٢،ص٢٦.

(٣) ابن أبي الفرج: نفسه، ج٢،ص٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

الحياة الزوجية في الأسرة الأموية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توظيف الزواج لتحقيق مآرب سياسية

قبل الشروع في الحديث عن الحياة الزوجية التي جرت أحداثها خلف أسوار القصور الأموية ينبغي الإشارة إلى أمر ميز هذه الحياة ووسمها بطابع خاص ينسجم مع خصوصية العائلة الحاكمة؛ وهو توظيف الزواج لتحقيق مآرب سياسية من خلال استخدام المصاهرة والنسب مع الخصوم لحل الخلافات السياسية معهم؛ قال البلاذري [١]: ((... كتب معاوية إلى مروان وهو على المدينة أن يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، وأمها زَيْنب بنت علي . وأمّها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ابنه يزيد ويقضي عن عبد الله دينه، وكان خمسين ألف دينار، ويعطيه عشرة آلاف دينار، ويصدقها أربعمائة ويكرمها بعشرة آلاف دينار ، فبعث مروان إلى ابن جعفر فأخبره فقال: نعم، واستثني رضاء الحسين بن علي، فأتى الحسين فقال له : إنّ الخال والد وأَمْرُ هذه الجارية بيدك، فأشهد عليه الحسين بذلك ثم قال للجارية: يا بنيّة إنّا لم نُخرج منّا غريبة قط، أفأمركِ بيدي؟ قالت : نعم فأخذ بيد القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب فأدخله المسجد، وبنو هاشم وبنو أمية وغيرهم مجتمعون، فحمد مروان الله وأثنى عليه ثم قال: إنّ أمير المؤمنين قد أحبَّ أن يزيد القرابة لطفاً والحق عظماً، وأن يتلافى ما كان بين هذين الحيَّيْن بصهرهما، وعائدة فضله وإحسانه على بني عمه من بني هاشم، وقد كان من عبد الله في ابنته ما يحسن فيه رأيه، وولّى أمرها الحسين خالها، وليس عند الحسين خلاف أمير المؤمنين ...))

ولعل الغاية السياسية من هذا السعي للزواج قد ظهرت واضحة جلية؛ إذ كان الهدف منها إصلاح الخلاف السياسي بين بني أمية وبني هاشم، والذي كان عميقاً لدرجة دفعت ولي أمر الفتاة رغم الإغراءات المادية الضخمة إلى إحالة اتخاذ القرار في هذا الزواج إلى الحسين بن علي زعيم بني هاشم آنذاك ؛ فأحبط المحاولة وفوّت على معاوية فرصة توظيف المصاهرة لضمان عدم منافسة بني هاشم للأمويين على الخلافة؛ وقد صوّر البلاذري نجاح الحسين بن علي في إحباط هذه المحاولة فقال[٢] : ((... فتكلم الحسين

---

(١) البلاذري : أنساب ، ج٥،ص ١٥٠-١٥١. وانظر كذلك: المبرد: الكامل في اللغة والأدب،ج٢، ص ١٥٥.

(٢) البلاذري : نفسه، ج٥،ص١٥١. وانظر كذلك : الزبيري: نسب قريش ، ص ٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنّ الإسلام دفع الخسيسة، وتمم النقيصة، وأذهب اللائمة، فلا لوم على مسلم إلا في أمر مأثم؛ وإن القرابة التي عظّم الله حقها وأمر برعايتها، وأن يسأل نبيه الأجر له بالمودة لأهلها قرابتنا أهل البيت وقد بدا لي أن أزوج هذه الجارية من هو أقرب نسباً وألطف سبباً، وهو هذا الغلام ...)).

ووظّف مروان بن الحكم الزواج لمصلحة سياسية أيضاً حين تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية كي يستصغره فلا يطالب بالخلافة التي عهد له بها من بعده بضغط من حسان بن مالك بن بحدل؛ قال الطبري [١] ((... لما حضرت معاوية بن يزيد أبا ليلى الوفاة أبى أن يستخلف أحداً وكان حسان بن مالك بن بحدل يريد أن يجعل الأمر بعد معاوية ابن يزيد لأخيه خالد بن يزيد بن معاوية وكان صغيراً وهو خال أبيه يزيد بن معاوية فبايع لمروان وهو يريد أن يجعل الأمر من بعده لخالد بن يزيد، فلما بايع لمروان وبايعه معه أهل الشام قيل لمروان تزوج أم خالد؛ وأمه أم خالد ابنة هشام بن عتبة حتى تصُغّر شأنه فلا يطلب الخلافة فتزوجها ...))

واستغل عبد الملك بن مروان حين تولى الخلافة الزواج لاستمالة منافسية عليها، فتزوج عاتكة بنت يزيد بن معاوية [٢]، لضمان ولاء الفرع السفياني؛ وزوّج خالد بن يزيد ابن معاوية ابنته عائشة [٣] كي يضمن عدم مطالبته بالخلافة التي عُهد له بها في الجابية.[٤]

وحاول الوليد بن عبد الملك ضمان البيعة لابنه عبد العزيز بعد شقيقه سليمان من خلال تزويجه إحدى بنات سليمان علَّ حرص الأب على مصلحة ابنته يدفع سليمان

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم ، ج٧ ، ص ٨٣-٨٤ . وانظر كذلك : أبي مخنف : نصوص من تاريخ : دار المحجة البيضاء ، ج٢ ، ص ٢٧. والبلاذري : أنساب ، ج٥،ص٣٨٩.والدينوري: الأخبار الطوال ،ص ٢٦٢ . واليعقوبي : تاريخ ، م٢ ، ص ٢٥٧ . وابن عبد ربه: العقد ، ج٥ ، ص ١٣٨ . والمسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٩٧-٩٨ . وابن الأثير : الكامل : ج٤ ، ص ١٣-١٤ . وأبي الفدا : المختصر في أخبار البشر، ج١،ص٢٤١. وابن كثير: البداية والنهاية ، ج٨ ، ص ٦٥٧.

(٢) انظر في زواج عبد الملك من عاتكة : الزبيري : نسب قريش، ص ١٦٢. وابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ١٢٧. والبلاذري : نفسه، ج٧. ص ١٩٥ . والطبري : نفسه، ج٨ ، ص ٥٧ . وابن حزم: جمهرة أنساب العرب، عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ص٩١.

(٣) انظر: ابن حبيب: المحبرّ ، ص٩.وانظر كذلك الزبيري : نفسه ، ص١٦٢.والبلاذري: نفسه،ج٧،ص٩٥ .

(٤) انظر: فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية ، ص ١٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمبايعة عبد العزيز؛ قال البلاذري [١] :((... قالوا : وكان عبد العزيز سَيّدُ ولد الوليد بن عبد الملك ، وأراد الوليد أن يبايع لعبد العزيز بعد سليمان، وزوجه أم أيوب بنت سليمان، وزوَّج بعض بني سليمان بعض بناته ...))

وربما يكشف هذا النص دور زواج المبادلة في تحقيق المآرب السياسية الخاصة عند بني أمية، فالوليد لم يكتفِ بتزويج ابنه ابنة سليمان بل زوج بناته لأولاد سليمان إمعاناً منه في ضمان البيعة لابنه.

وتزوّج يزيد بن الوليد أخت سليمان بن هشام بن عبد الملك كي يضمن ولاءه بعد مقتل الوليد بن يزيد؛ قال الطبري[٢] : ((... ثم قدم على يزيد سليمان بن هشام فأكرمه يزيد، وتزوج أخته أم هشام بنت هشام بن عبد الملك، ورد عليه ما كان الوليد أخذه من أموالهم، ووجهه إلى مسرور بن الوليد والوليد بن روح وأمرهما بالسمع والطاعة له ...)).

واتكأ مروان بن محمد على الزواج لرأب الصدع الكبير الذي حصل في العلاقات الأسرية بين بني أمية بعد مقتل الوليد بن يزيد من ناحية، وضمان شرعية المبايعة لابنيه عبيد الله وعبد الله بولاية العهد من ناحيةٍ ثانية، فزوج أولاده بنات هشام ابن عبد الملك؛ وربما يتضح هذا الهدف مما رواه البلاذري ونصه[٣] ((... وأقام مروان بدير أيوب هلال المحرم، وبايع به لابنيه: عبد الله وعبيد الله، وزوّج عائشة بنت هشام من عبيد الله ابنه، وزوج أم هشام عبد الله بن مروان ابنه)).

واللافت أن معظم هذه الزيجات ذات الأهداف السياسية قد أخفقت في تحقيق الغاية منها؛ فالحسين بن علي أحبط محاولة معاوية في تزويج إحدى فتيات بني هاشم ليزيد لأنه كان يعرف الهدف الرئيسي لهذا الزواج ؛ وأسفر زواج مروان بن الحكم من أم خالد بن يزيد عن مصرعه على يديها.

---

(١) البلاذري : أنساب، ج٨ ، ص ٣٢٥٦.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ج٩ ، ص ٢٣.

(٣) البلاذري: نفسه ، ج٩ ، ص ٣٨٤٩ ، وانظر كذلك ، الطبري : نفسه، ج٩ ، ص ٥٦ . وابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تتحقق غاية الوليد بن عبد الملك من تزويج ابنه ابنة أخيه سليمان إذ مـــر أن سليمان رفض البيعة لعبد العزيز بن الوليد. (١)

وانتهز سليمان بن هشام أول فرصة سانحة فانقلب على مروان بن محمـــد ودارت بينهما معارك وحروب طاحنة . (٢)-

(١) انظر : الفصل الثاني، ص ٧٨ من الدراسة.

(٢) انظر : الفصل الثاني، ص ١٠٣-١٠٤ ، وما بعدها من الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسس اختيار زوجات الخلفاء والأمراء الأمويين

١- الزواج من العربيات العريقات النسب.

لعل نظرة متفحصة في زوجات خلفاء بني أمية تكشف أنهم حرصوا على الزواج من العربيات الأصيلات النسب عموماً، ومن القرشيات على وجه الخصوص ولا سيما الأمويات منهن؛ انسجاماً مع العصبية القبلية التي طغت على الحياة العربية في العصر الأموي من جهة، وحرصاً على نقاء العرق الأموي من جهة ثانية؛ فمعاوية تزوج فاخته بنت قَرضَةَ بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف وهي قرشية أموية . (١)

وتزوج يزيد بن معاوية أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ، وأم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهما أمويتان. (٢)

واقترن مروان بن الحكم بأربع زوجات قرشيات هنُّ: عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي ، وأم أبان بنت عثمان بن عفان ، وزينب بنت عمرو بن أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمربن مخزوم، وقطية بنت بشر بن عامر ابن مالك بن جعفر بن كلاب ، ويلاحظ أن الثلاث الأوليات منهن أمويات. (٣)

وسار عبد الملك بن مروان على النهج ذاته فتزوج ثلاث أمويات هنَّ : عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وأم أيوب بنت عمرو بنت عثمان بن عفان، وأم المغيرة بنت المغيرة بن

---

(١) الزبيري: نسب قريش، ص ١٢٨. وابن الكلبي: جمهرة النسب ،ص٥٠. والبلاذري : أنساب ،ج٥،ص٢٩٥. والطبري : تاريخ الأمم، ج٦،ص١٨٣. وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ،ص ١١٦. وابن الأثير: الكامل، ج٣، ص٣٧٢.

(٢) الزبيري: نفسه، ص ١٢٨-١٢٩. وابن الكلبي: نفسه ، ص ١٢٧. والبلاذري : نفسه، ج٥،ص٣٧٥. والطبري : نفسه ،ج٧،ص١٦. وابن عبد ربه : العقد ، ج٥، ص ١١٧. وابن حزم: نفسه ، ص ٧٤،٧٥.

(٣) الزبيري: نفسه ، ص ١٦٠-١٦١. وابن الكلبي: نفسه، ص٣٩. والبلاذري: نفسه، ج٩، ص٣٠٧-٣٠٨. وابن حزم: نفسه ، ص ٨٧-٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة؛ وتزوج قرشية هي عائشة بنت هشام بن اسماعيل ابن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. (١)

وتزوج الوليد بن عبد الملك آمنة بنت سعيد بن العاص، وأم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان، وأم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وهن أمويات؛ ونفيسة بنت زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وعاتكة بنت عبد الله بن مطيع،(٢) وزينب بنت الحسن بن الحسن بن الحسين بن علي وهن قرشيات. (٣)

وبنى سليمان بن عبد الملك بأم أبان بن الحكم بن أبي العاصي، وأم يزيد بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وعائشة بنت عبد بن عمرو بن عثمان بن عفان، وأم عمر بنت عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص. (٤)

واقترن عمر بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك بن مروان؛ ولميس بنت علي من بني الحارث بن كعب (٥) .

وتزوج يزيد بن عبد الملك سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان(٦).

وتزوج هشام بن عبد الملك ثلاث أمويات هن: أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي ، وعبده بنت الأسوار بن يزيد بن معاوية ، وأم عثمان بنت سعيد بن خالد بن عمر بن عثمان.(٧)

---

(١) الزبيري: نسب قريش ، ص ١٦٣و ١٦٤و١٦٥. وابن الكلبي: جمهرة النسب ، ص ١٢٧. والبلاذري : أنساب : ج٨، ص١٩٥-١٩٩. والطبري : تاريخ الأمم ، ج٨، ص ٥٨. وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص٨٦و٩١و٩٢. وابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص٢٣٨.

(٢) الزبيري: نفسه، ص ٣٨٥. وابن حزم: نفسه: ص١٥٨.

(٣) البلاذري: نفسه ، ج٨، ص ٦٥-٦٦. وانظر كذلك الزبيري : نفسه، ص١٦٥.وابن حزم: نفسه: ص١٥٨و٤٢.

(٤) الزبيري : نفسه، ص١٦٥-١٦٦. والبلاذري: نفسه، ج٨، ص ٩٩-١٠٠. وابن عبد ربه : العقد، ج٥،ص١٦٢. وابن حزم: نفسه ، ص ٩١.

(٥) البلاذري: نفسه ، ج٨، ص ٢١٩. وابن حزم : نفسه، ص ١٠٦.

(٦) الزبيري : نفسه، ص ١٦٦-١٦٧. والبلاذري : نفسه، ج٩، ص٣٥١. وابن حزم: نفسه، ص ٩١.

(٧) الزبيري: نفسه، ص١٦٧-١٦٨. والبلاذري: نفسه، ج٨، ص٣٦٧-٣٦٨. وابن حزم : نفسه، ص٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبنى الوليد بن يزيد بأمويتين أيضاً هما : عاتكة بنت عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، وأم عبد الملك بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان. [١]

٢- الحرص على الزواج من بنات عثمان بن عفان وحفيداته:

وتكشف جريدة زوجات الخلفاء والأمراء الأمويين عن حرصهم على الزواج من بنات عثمان بن عفان وحفيداته؛ فمروان بن الحكم تزوج أم أبان بنت عثمان بن عفان[٢]؛ وعبد الملك بن مروان تزوج أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان[٣] ؛ والوليد بن عبد الملك تزوج أم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان [٤] ؛ وسليمان بن عبد الملك تزوج عائشة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان[٥] ؛ ويزيد بن عبد الملك تزوج سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان [٦] ؛وهشام بن عبد الملك تزوج أم عثمان بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان، ورقية بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان [٧] ؛ والوليد بن يزيد تزوج أم عبد الملك بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان [٨].

وتزوج بعض أمراء بني أمية من حفيدات عثمان بن عفان أيضاً؛ فعبد العزيز بن مروان اقترن بحفصة بنت عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان [٩]؛ وأيوب بن

---

(١) الزبيري : نسب قريش، ص١٦٧. والبلاذري: أنساب، ج٩، ص١٢٩.

(٢) الزبيري: نفسه، ص١٦١. والبلاذري: نفسه ، ج٦،ص٣٠٧. وابن حزم: جمهرة أنساب العرب: ص٨٧.

(٣) الزبيري: نفسه، ص١٦٤. والبلاذري: نفسه ، ج٧، ص١٩٥. والطبري: تاريخ الأمم ، ج٨، ص٥٧. وابن حزم : نفسه ، ص٨٦. وابن الأثير : الكامل ، ج٣، ص ٢٣٨.

(٤) الزبيري : نفسه، ص١٦٥. والبلاذري: نفسه، ج٨، ص ٦٥. والطبري : نفسه ، ج٨، ص ٩٧. وابن عبد ربه : العقد ، ج٥، ص ١٥٩.

(٥) الزبيري: نفسه، ص ١٦٦. والبلاذري: نفسه، ج٨،ص١٠٠. وابن عبد ربه : نفسه، ج٥،ص١٦٢. وابن حزم: نفسه، ص٩١.

(٦) الزبيري : نفسه ، ص ١٦٧. والبلاذري: نفسه، ج٨، ص٣٥١. وابن حزم: نفسه، ص٩١.

(٧) الزبيري: نفسه، ص١٦٨، والبلاذري: نفسه، ج٨، ص٣٦٨، وج٩، ص٢٩.

(٨) الزبيري : نفسه ، ص١٦٧. والبلاذري: نفسه ، ج٩، ص ١٢٩.

(٩) الزبيري : نفسه، ص ١١٥. وابن حزم: نفسه، ص٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سليمان بن عبد الملك تزوج من أم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان [١]؛ ومحمد بن هشام بـــن عبد الملك ارتبط برقية بنت محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان[٢].

وربما يكون السبب في هذا الحرص على الزواج من بنات عثمان وحفيداته هـــو إضفاء الشرعية على خلافة هؤلاء الخلفاء؛ إذ من المعروف أن الأمويين حصـــلوا علـــى الخلافة نتيجة مطالبتهم بدم عثمان بن عفان بعد أن تعاطف معهم أهل الشـــام فـــي هـــذا المطلب، ومن هنا حرصوا على الارتباط ببنات عثمان وحفيداته لضمان ولاء المناصرين لهم بسبب طلبهم بدمه. [٣]

وربما يكون هناك سبب آخر لهذا الحرص ؛ وهو ضمان عدم مطالبة أبناء عثمان وأحفاده بالخلافة؛ إذ من غير المعقول أن ينافسوا فيها أصهارهم وأزواج بناتهم .

ولعل استغلال خلفاء بني أمية المصاهرة مع ذرية عثمان إناثاً وذكوراً لضمان عدم مطالبتهم بالخلافة، أو تحريضهم على المطالبة بها تظهر واضحة من خلال الخبر الـــذي أورده البلاذري بقوله [٤]: ((... زوّج معاوية ابنته رملة من عمرو بن عثمان بن عفان ؛ فسمعت مروان بن الحكم يقول له وقد عاده : إنما ولي معاوية الخلافة بذكر أبيـــك فمـــا يمنعك من النهوض لطلب حقك ؟! فنحن أكثر آل حرب عدداً ، مِنّا فلان وفلان ؛ وحـــج عمرو بن عثمان وخرجت إلى أبيها فقال لها : مالك ؛ أطلقّك زوجك؟ فقالـــت : الكلـــب أضَنّ بشحمته ، وحدثته حديث مروان واستكثاره آل أبي العاص واستقلاله آل حرب فكتب معاوية إلى مروان :

أَواضِعَ رِجْلٍ فَوْقَ رِجْلٍ يَعُدُّنا كَعَدِّ الحصا مَا إِنْ يَزَالُ يُكَاثِرُ

---

(١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص٨٥.

(٢) الزبيري: نسب قريش: ج٤، ص ١١٦. وابن حزم : نفسه ، ص ٨٣.

(٣) انظر في هذا الحرص : ابن حبيب : المحبر، ص ٢٤٣، وفيها أسماء الخلفاء الذين تزوجوا من بنات عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان.

(٤) البلاذري : أنساب، ج٥،ص٥٢ . وانظر كذلك: الزبيري : نفسه، ص١٠٩-١١٠.والقالي: الأمالي، لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، دار الجيل، بيروت، ج١ ، ص ٢٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَأُمُّكُمُ تُزْجي تَوْأَماً لِبَعْلِها وَأُمُّ أَخيْكُمْ نَزْرَةُ الوُلْدِ عَاقِرُ))

وقد استغل حفدة عثمان حرص الخلفاء على الزواج من بناتهم لإملاء شروطهم عليهم، بل إن بعضهم كان يطلب مبلغاً مالياً ضخماً مقابل تزويج الخليفة؛ ومن أمثلة هذا الاستغلال ما رواه البلاذري حول استغلال خالد بن عمر بن عثمان بن عفان لرغبة الخليفة يزيد بن عبد الملك بالزواج من اخته لطلب مبلغ ضخم من المال؛ وذلك بقوله[١] ((... وأمّا خالد بن المطرف فكان نبيلاً وفد إلى يزيد بن عبد الملك فخطب إليه يزيد أخته فقال له : إنّ عبد الله بن عمرو بن عثمان أبي قد سنَّ لنسائه عشرين ألف دينار فإن أعطيتنيها وإلا لم أزوجك؛ فقال يزيد : أو ما ترانا أكْفاءً إلا بالمال ؟ قال: بلى والله إنكم بنو عمنا. قال : إني لأظنك لو خطب إليك رجل من قريش لزوجته بأقل مما ذكرت من المال، قال: أي لعمري لأنها تكون عنده مالكةً مملَّكة، وهي عندكم مملوكة مقهورة وأبى أن يزوجه..)).

وروى البلاذري أن القاسم بن المطرف رفض تزويج ابنته ابن الخليفة هشام بن عبد الملك إلا بالنزول على حكمه وشروطه؛ مما يؤكد حرص الخلفاء على الزواج من بنات عثمان وحفيداته من ناحية، واستغلال حفدة عثمان هذا الحرص لإملاء شروطهم على الخلفاء من ناحية ثانية؛ قال البلاذري [٢]: ((... وكان القاسم بن المطرف شديد النفس واللسان، وخطب عليه هشام ابنته وهو خليفة على ابنه فأبى أن يزوّجه إلا على حكمة وشروط يشترطها ، ومات في خلافة هشام فزوج ابنه ابنته ..)).

٣- الزواج من الهاشميات:

وربما تزوج بعض الخلفاء والأمراء الأمويين من بنات بني هاشم لاستلال الضغائن من نفوسهم بسبب عنفهم بهم ؛ فقد تزوج يزيد بن معاوية من أم محمد بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب [٣]؛ فيما ذكر البلاذري أن عبد الملك بن مروان تزوج ابنة

---

(١) البلاذري : أنساب ، ج٦،ص٢٣٨.

(٢) المصدر نفسه : ج٦،ص٢٣٨.

(٣) الزبيري : نسب قريش ، ص٨٣. وابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لعلي بن أبي طالب ، وابنة لعبد الله بن جعفر لكنه لم يذكر اسم أي منهما [١] ؛ وذكر كذلك أن الوليد بن عبد الملك تزوج نفيسة بنت زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب [٢]، وزينب بنت الحسن بن الحسن بن الحسين بن علي [٣].

ومن المحتمل أن أمراء بني أمية قد ساروا على نهج الخلفاء بالزواج من الهاشميات للسبب ذاته إذ تزوج الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان من سكينة بنت الحسين بن علي [٤] ؛ وبني معاوية بن مروان بن الحكم بهاشميتين هما رملة بنت علي بن أبي طالب ، وزينب بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب [٥]؛ واقترن أبو بكر بن عبد الملك بن مروان بفاطمة بنت محمد بن الحسن بن الحسن بن علي [٦]؛ وتزوج العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ربيحة بنت الحسين بن علي. [٧]

٤- الزواج من الفرع السفياني:

ولعل التقرب من الفرع السفياني هو الذي دفع بعض الخلفاء والأمراء من الفرع المرواني للزواج من بناتهم، فعبد الملك بن مروان تزوّج عاتكة بنت يزيد للتقرب من شقيقها خالد [٨]، وتزوّج سليمان بن عبد الملك أم يزيد بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية [٩]؛ واقترن هشام بن عبد الملك بعبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان [١٠]، وارتبط الوليد بن يزيد بعاتكة بنت عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية [١١].

---

(١) البلاذري : نفسه، ج٧، ص ١٩٩.

(٢) البلاذري : أنساب ،ج٨ ، ص ٦٥. وانظر كذلك : الزبيري: نسب قريش، ص٣٢.

(٣) الزبيري: نفسه، ص٥٢. وابن حزم: جمهرة أنساب العرب ،ص٤٢.

(٤) الزبيري: نفسه، ص٥٩. وابن حزم: نفسه ، ص ١٠٥.

(٥) الزبيري : نفسه، ص ٤٥.وابن حزم : نفسه، ص٨٧.

(٦) الزبيري: نفسه ،ص ٥٣.

(٧) المصدر نفسه: ص ٥٩.

(٨) انظر صفحة ١١٣ من هذا الفصل.

(٩) الزبيري: نفسه، ص١٦٥. والبلاذري: نفسه، ج٨، ص١٠٠,وابن عبد ربه : العقد، ج٥،ص١٦٢.

(١٠) الزبيري : نفسه، ص١٦٧. البلاذري: نفسه، ج٨، ص٣٦٨ ، وج٩،ص٢٩.وابن حزم : نفسه، ص٩٢.

(١١) الزبيري: نفسه، ص١٦٧. والبلاذري: نفسه، ج٨. ص١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحرص الأمراء المروانيون كذلك على الزواج منهم؛ فعلى سبيل المثال تزوج الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان أم يزيد بنت يزيد بن معاوية [١]؛ وبنى معاوية بن هشام بن عبد الملك بأمة الحميد بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية بعد أبي بكر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان. [٢]

٥- التقرب للقبائل القوية:

وتزوج بعض الخلفاء الأمويين أيضاً من القبائل العربية القوية ضماناً لولائها، ولاستخدام نفوذها في مقاومة خصومهم ومنافسيهم على الخلافة، فمعاوية بدأ حكمه معتمداً على اليمانية وتزوج ميسون بنت بَحْدَل بن أنيف بن دلجة... الكلبية [٣] لتأكيد هذا الاعتماد ، وكان لقبيلة كلب قوةً ومكانة بالشام آنذاك. [٤]

وسار على نهجه مروان بن الحكم، وعمر بن عبد العزيز، إذ تزوج الأول ليلى بنت زبان بن الأصغر بن عمرو ... بن جناب، من كلب [٥]وتزوج الثاني أم شعيب بنت زبان الكلبية . [٦]

وذكر البلاذري أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك تزوج امرأة من ولد زبان الكلبي دون أن يسميها . [٧]

وأصهر بعض الخلفاء الأمويين إلى غير كلب من القبائل العربية ذات النسب والمجد؛ مثل عبس فقد تزوج عبد الملك بن مروان منها ولادة بنت العباس بن جزء ... بن عبس. وطيء فقد تزوج عبد الملك منها شقراء بنت مسلمة بن حنظلة الطائي.[١]

---

(١) الزبيري: نفسه ، ص١٣٠. وابن حزم : نفسه، ص١٠٥.

(٢) الزبيري: نسب قريش ،ص١٣١. وابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص١١٣.

(٣) البلاذري: أنساب، ج٥،ص٢٩٧. وانظر كذلك: الزبيري: نفسه، ص ١٢٧. والطبري: تاريخ الأمم، ج٦ ، ص ١٨٣ . وابن الأثير: الكامل ، ج٣، ص ٣٧٢.

(٤) انظر في هذا الرأي : يوليوس ولهاوزن: الدولة العربية وسقوطها، ترجمة د. يوسف العش، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ص ١٠٩ . وحسين عطوان : الوليد بن يزيد، ص ٤١١. وعلي حسني الخربوطلي: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٤٩.

(٥) الزبيري: نفسه، ص١٦٠. والبلاذري: نفسه، ج٩، ص٣٠٨. وابن حزم : نفسه، ص٨٧.

(٦) البلاذري: نفسه، ج٨، ص٢١٩.

(٧) المصدر نفسه: ج٩ ، ص ١٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقبيلة الأزد التي تزوج منها عمر بن عبد العزيز لميس بنت علي من بني الحارث بن كعب [٢] . وثقيف فقد تزوج يزيد بن عبد الملك منها أم الحجاج بنت محمد ابن يوسف بن الحكم [٣].

وأصهروا أيضاً إلى أولاد أبي بكر الصديق وحفدته فتزوج الوليد بن عبد الملك نفيسة بنت عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق[٤] ؛ وبنى هشام بن عبد الملك بميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق [٥].

وكان بعض أشراف العرب يأنفون أن يزوجوا بناتهم لأبناء الإماء من أبناء الخلفاء؛ قال الأصمعي [٦]: ((... كان عقيل بن عُلَّفة غيوراً فخوراً، وكان يصهر إليه خلفاء بني أمية ، فخطب إليه عبد الملك بن مروان ابنته لبعض ولده ، فقال: جنبني هجناء ولدك)).

واستغل الرعية رغبة الخلفاء الأمويين في الزواج من العربيات الحرائر لتزويجهم بناتهم والحصول على المكانة الرفيعة عندهم ؛ ومن ذلك ما رواه البلاذري بقوله [٧]: ((... خرج عبد الملك متنزهاً ، فرأى خباءً حريراً فوقف عليه ، فخرج إليه أبو شقراء فقال له عبد الملك : ما أنزلك مُتَنحياً ؟ فقال إن لي ابنة لها بهاء قرشية، وحسن

---

(١) البلاذري: نفسه ، ج٧ ، ص ١٩٥ . وانظر كذلك : ابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص١٢٧، والطبري : نفسه ، ج٨ ، ص ٥٨ . وابن حزم : نفسه ، ص٩١ . وابن الأثير : نفسه ، ج٣ ، ص ٢٣٨.

(٢) البلاذري : أنساب ، ج٨، ص ٢١٩ .

(٣) الزبيري: نسب قريش، ص١٦٧. وابن الكلبي : جمهرة النسب، ص١٢٨. والبلاذري: نفسه، ج٩، ص٣٥١. وابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ١٢٨.

(٤) البلاذري: أنساب، ج٨، ص٦٦. وابن حزم: جمهرة أنساب العرب ، ص١٣٧.

(٥) ابن حزم: نفسه، ص١٣٧.

(٦) ابن عبد ربه : العقد ، ج٧، ص٩٢. وانظر كذلك : ابن قتيبة : عيون الأخبار ،م ٢، ص١٢. والبغدادي: خزانة الأدب، ج٤،ص٤٨٢. وقد قال الأصفهاني : الأغاني ، ج١٢، ص٤٥: ((... وعقيل شاعر مجيد مقل من شعراء الدولة الأموية، وكان أعرج جافياً شديد الهوج والعجرفية والبذخ بنسبه في بني مرة ، لا يرى أن له كفئاً. وهو في بيت شرف في قومه من كلا طرفيه . وكانت قريش ترغب في مصاهرته . تزوج إليه خلفاؤها وأشرافها...)).

(٧) البلاذري : نفسه ، ج٧ ، ص ١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غطفانية ، وفم طائية، وجسم عامرية، فتزوجها فماتت عنده فصالحهم من ميراثها على ألف ألف درهم ...))

ولم تكن رغبة الخلفاء في الزواج دائماً مجابة ، بل كان طلبهم يرد أحياناً من بعض النساء المنتميات إلى قبائل عربية عريقة ، ومن ذلك ما رواه ابن طيفور حول رفض رملة بنت الزبير بن العوام الزواج من عبد الملك بن مروان وذلك بقوله[١]: ((... خطب عبد الملك بن مروان رملة بنت الزبير بن العوام فردته وقالت لرسوله : إنيٍّ لا آمن نفسي على من قتل أخي، وكانت أخت مصعب لأمه كانت أمها الكلبية ...))

وربما يكون السبب الرئيسي في هذا الرفض سياسياً ، إذ لا تُستبعد موافقة رملة على الزواج من الخليفة بما يعنيه هذا الزواج من رغد العيش لولا الخلاف السياسي الذي حصل بين قومها وبني أمية .

٦- الحرص على الزواج من بنات العم:

وشاع في الأسرة الأموية الزواج من بنات العم شيوعاً واسعاً لأسباب قد يكون منها زيادة التآلف بين أبناء الأسرة الواحدة؛ وعدم تزويج الأميرات الأمويات لآخرين من غير البيت الأموي ؛ ولأسباب سياسية كما مر سابقاً ، وزيادة ذرية الأسرة الحاكمة وتكاثر أمرائها ؛ فالوليد بن عبد الملك تزوج أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان [٢]؛ وعمر ابن عبد العزيز تزوج فاطمة بنت عبد الملك بن مروان[٣] ؛ ومحمد بن الوليد بن عبد الملك تزوج عاتكة بنت يزيد بن عبد الملك [٤]؛ وبنى يزيد بن الوليد بن عبد الملك بأم هشام بنت هشام بن عبد الملك [٥]؛ واقترن عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بأم سلمة بنت هشام بن عبد الملك [٦]؛ وارتبط محمد بن يزيد بن الوليد بن عبد الملك بأم

---

(١) ابن طيفور : بلاغات النساء، ص ٢١٣.

(٢) الزبيري: نسب قريش، ص١٦٥. والبلاذري: أنساب، ج٨، ص٦٥. وابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص١٠٠.

(٣) الزبيري: نفسه ، ص ١٦٥. والبلاذري : نفسه ، ج٨، ص ٢١٩ . وابن حزم : نفسه ، ص ١٠٦.

(٤) الزبيري: نفسه ، ص١٦٦-١٦٧. وابن حزم : نفسه، ٨٨.

(٥) الزبيري: نفسه، ص١٦٧. وابن حزم : نفسه، ص ٩٣.

(٦) الزبيري: نفسه ، ص١٦٨. وابن حزم : نفسه، ص٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحجاج بنت الوليد بن يزيد بن عبد الملك [١]؛ وتزوج مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بأم الحكم بنت عبيد الله بن مروان بن محمد بن مروان [٢]؛ وتزوج عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك أمة الله بنت الوليد بن يزيد بن عبد الملك [٣]؛ وبنى الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم بابنة مروان بن محمد بن مروان. [٤]

وحرص الخلفاء والأمراء الأمويون على تزوج الأرامل والمطلقات من نسائهم لئلا يتزوجن من غيرهم ؛ فأم الحكم بنت عبد العزيز بن مروان تزوجها الوليد بن عبد الملك ثم سليمان بن عبد الملك ، وبعده هشام بن عبد الملك[٥]؛ وأم سعيد بنت عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان بنى بها يزيد بن عبد الملك، وخلف عليها هشام بن عبد الملك[٦]؛ وتزوج بشقيقتها أم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان كل من الوليد بن عبد الملك، وابن أخيه أيوب بن سليمان بن عبد الملك [٧]؛ وتزوج أم هشام بنت هشام بن عبد الملك يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وعبد الملك بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، وعبد الله بن مروان بن محمد بن مروان [٨]؛ وتزوج فاطمة بنت عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز سليمان الأعور بن داود بن مروان بن الحكم[٩]؛ واقترن بأم الحجاج بنت الوليد بن يزيد بن عبد الملك محمد بن يزيد بن الوليد بن عبد الملك، ويحيى ابن عبد الله بن مروان بن الحكم [١٠].

---

(١) الزبيري : نفسه، ص ١٦٧. وابن حزم : نفسه، ص ٩٢.
(٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ، ص١٠٦.
(٣) الزبيري: نسب قريش، ص١٦٧. وابن حزم : نفسه، ص٩٢.
(٤) ابن حزم: نفسه، ص٨٨.
(٥) الزبيري: نفسه، ص١٦٨. ابن حزم: نفسه، ص ١٠٥.
(٦) الزبيري: نفسه، ص١١٥. وابن حزم: نفسه: ص ٨٥.
(٧) ابن حزم : نفسه، ص٨٥.
(٨) الزبيري: نفسه، ص ١٦٧. وابن حزم : نفسه، ص ٩٣.
(٩) الزبيري: نفسه، ص١٦٥. ابن حزم : نفسه، ص ٨٨.
(١٠) الزبيري: نفسه، ص١٦٧. وابن حزم : نفسه، ٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسس اختيار أزواج الأميرات عند بني أمية

١- تزويجهن في البيت السفياني والمرواني:

لعل الجريدة التي أوردها ابن حبيب بأصهار الخلفاء الأمويين تكشف عن الأسس التي كان الخلفاء يزوجون بناتهم على أساسها، ويأتي على رأسها تزويجهن لأمراء من داخل البيت الأموي بفرعيه السفياني والمرواني سواءً في حياة الخلفاء؛ أم بعد موتهم وعدم إخراجهن خارج هذا البيت إذا اعتبرنا زياد بن أبيه وذريته من العائلة الحاكمة؛ فبنات يزيد بن معاوية عاتكة، وأم يزيد ، وأم محمد، وأم عبد الرحمن، وأم عثمان ورملة تزوجهن عبد الملك بن مروان ، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان، وعمرو بن عتبة بن أبي سفيان، وعباد بن زياد بن أبيه وعثمان بن محمد بن أبي سفيان، وعتبة بن عتبة بن أبي سفيان [١].

وزوّج مروان بن الحكم بناته أم عثمان ، ورملة لعبد الملك بن الحارث بن الحكم، وأبو بكر بن الحارث بن الحكم[٢].

ولعل اللافت في أصهار الخلفاء أن معاوية ربما حاول تأكيد صحة نسب زياد إلى أبي سفيان [٣] من خلال تزويج ابنته عائشة لمحمد بن زياد بن أبي سفيان[٤]؛ ولا سيما أن بني أمية لم تعجبهم هذه الخطوة من معاوية ولم يقتنعوا بها، فعلى سبيل المثال سخر عبد الملك بن مروان من خالد بن يزيد بن معاوية لأنه زوّج أخته رملة لعبّاد بن زياد رغم السنوات التي مضت على استلحاق معاوية نسب زياد، وما قدمّه زياد وأبناؤه من خدمة

---

(١) ابن حبيب: المحبر، ص٥٧ –٥٨٨ . وانظر كذلك : الزبيري: نسب قريش ، ص ١٢٩–١٣٠. والبلاذري: أنساب ، ج٥،ص٣٧٧ . والطبري : تاريخ الأمم ج٧ ، ص ١٦ . وابن عبد ربه : العقد، ج٥ ، ص ١١٧.

(٢) ابن حبيب: نفسه: ص ٥٨ . وانظر أصهار معاوية ص ٥٧ ؛ وأصهار عبد الملك بن مروان ، ص ٥٩ ؛ وأصهار عمر بن عبد العزيز ص ٥٩ ؛ وأصهار هشام بن عبد الملك ص ٥٩ –٦٠ ؛ وأصهار مروان بن محمد بن مروان ص ٦٠.

(٣) انظر في استلحاق معاوية نسب زياد بن سمية بأبيه أبي سفيان : الطبري : نفسه ، ج٦ ، ص ١٢٢ . وابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص ٢٩٩.

(٤) الزبيري: نفسه ، ص ١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للعائلة الأموية؛ وقد روى البلاذري هذه السخرية فقال[١] : ((... وأما رملة وأم عبد الرحمن فتزوجها عبّاد بن زياد واحدة بعد أخرى، وكان الذي زوّج عبّاداً خالد بن يزيد فعيرّه عبد الملك بذلك وقال : زوّجته وقد عرفت دعوته ؟! فقال خالد : أما إنه سِلْفُكَ وهو دعَيّي، ولو كان دَعِيٌّ غيري ما زوجته)).

وكان معاوية قد دافع بصلابة عن نسب زياد إلى أبي سفيان، وأغضب وتوعد كل من حاول الطعن في هذا النسب؛ وعلى رأسهم عبد الله بن عامر زوج ابنته هند الذي احتج على هذا النسب وعابه؛ فأجبره معاوية على استرضاء زياد شرطاً لعودة المودة بينهما؛ وقد صور الطبري هذا الدفاع فقال [٢]: ((... طعن ابن عامر في نسب زياد إلى أبي سفيان فسمع معاوية بذلك من خلال زياد، فلقي بن عامر وقال له : يا ابن عامر أنت القائل في زياد ما قلت ؟! أما واللهِ لقد علمت العرب أني كنت أعزها في الجاهلية ، وأن الإسلام لم يزدني إلا عزاً ، وأني لم أتكثر بزياد من قلة ، ولم أتعزز به من ذلة ولكن عرفت حقاً له فوضعته موضعه. فقال : يا أمير المؤمنين نرجع إلى ما يحب زياد. قال: إذاً نرجع إلى ما تحب فخرج ابن عامر إلى زياد فترضاه ...)).

٢- تزويجهن أبناء عثمان بن عفان وأحفاده:

وزوج خلفاء بني أمية بناتهم لأبناء عثمان وحفدته تأكيداً لغايتهم في إبعادهم عن منافستهم على الخلافة ، فقد زوج معاوية ابنته رملة لعمرو بن عثمان بن عفان[٣]؛وزوج مروان ابن الحكم ابنته ام عمرو للوليد بن عثمان بن عفان. [٤]

ويلاحظ أن الخلفاء الأمويين لم يزوجوا بناتهم من ذكور آل هاشم، رغم حرصهم على الزواج وتزويج أبنائهم من بناتهم ولا يُستبعد أن يكون السبب في ذلك هو خشيتهم على بناتهم من الانتقام والتنكيل بسبب ما فعلوه ببني هاشم.

---

(١) البلاذري : أنساب ، ج٥،ص٣٧٧.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ج٦ ، ص ١٢٣ . وابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٣) ابن حبيب : المحبر، ص ٥٧ . وانظر كذلك الزبيري : نسب قريش، ص ١٠٦.

(٤) ابن حبيب: نفسه، ص ٥٨. وانظر كذلك الزبيري: نفسه، ص١٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان الزواج داخل الأسرة الأموية يسير وفق العرف السائد في المجتمع آنذاك، إذ كان يبدأ بخطبة النكاح [١] أو الإملاك [٢] ، وقد روى ابن عبد ربه أنموذجاً لهذه الخطبة بين أفراد البيت الأموي فقال [٣]: ((... خطب محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان إلى عمر بن عبد العزيز أخته ، فتكلم محمد بكلام طويل، فأجابه عمر: الحمد لله ذي الكبرياء، وصلى الله على محمدٍ خاتم الأنبياء؛ أما بعد ؛ فإن الرغبة منك دعتك إلينا ، والرغبة فيك أجابتك منّا، وقد أحسنَ بن ظناً من أودعك كريمته، واختارك ولم يختر عليك ، وقد زوجتكها على كتاب الله: وإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)).

وروى ابن عبد ربه أيضاً ما جرى بين عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز عند ما زوجه ابنته فاطمة ؛ فقال[٤] :((... وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز : قد زوجّك أميرُ المؤمنين ابنته فاطمة . قال : جزاك الله يا أمير المؤمنين خيراً ، فقد أجزلت العطية، وكفيت المسألة)).

ولكن الزواج في الأسرة الأموية تميّز عن المجتمع بمراسمه الخاصة المنسجمة مع خصوصية الطبقة الحاكمة؛ إذ تكشف أخبارهم أن الزواج كان يبدأ بعقد النكاح، ثم يدخل الشعراء لتهنئة العروسين شعراً في حضرة الخليفة، وبعد ذلك توزع الأعطيات وتقضى الحاجات ابتهاجاً بهذا الزواج الأميري ؛ وقد صور الأصفهاني أنموذجاً من هذا الزواج فقال[٥]: ((... وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، ولما عقد النكاح بينهما ، عقد في مجلس عبد الملك ، وأمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد ويقولوا في

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين، ج١،ص١١٦-١١٨.

(٢) إحسان النص : الخطابة العربية في عصرها الذهبي ، ص ٢٣١.

(٣) ابن عبد ربه : العقد ، ج٤ ، ص ٢٠٦ . وانظر كذلك : ابن قتيبة :عيون الأخبار ، م٢ ، ج١٠ ، ص ٧٣.

(٤) ابن عبد ربه: نفسه : ج٤ ، ص ٢٠٦ .

(٥) الأصفهاني : الأغاني ، ج١٦ ، ص ٤٥١-٤٥٢. وانظر هذه الأبيات: عدي بن الرقاع العاملي: الديوان، ص ٢٥٧. وجرير : الديوان، تحقيق نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، مصر، ص١٠٣٥-١٠٣٦، وزاد على هذه الأبيات بيتين هما:

هَنَأْتُكُمْ بِمَوَدّةٍ وَنَصِيْحَةٍ وَصَدَقْتُ في نَفْسي لَكُمْ وَمَقَالي
فَلَتُهْنِكَ النِعَمُ التّي خُوِّلْتَهَا يَا خَيْرَ مَأْمُولٍ وَأَفْضَلَ وَالي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك أشعاراً يرويها الناس ، فاختير منهم جرير وعدّي بن الرقاع، فدخلا ، وبـــدأ عـــديّ لموضعه منهم ، فقال :

قَمَرُ السَماءِ وَشَمْسُها اجْتَمعا بالسَّعْدِ ما غَابا وما طَلَعَا
مَا وَارتِ الأَسْتَارُ مِثْلَهُما مَنْ ذا رأى هذا وَمَنْ سَمِعا؟
دَامَ السُرورُ لَهُ بِها ولَها وتَهنَّيا طُوْلَ الحَياةِ معا

وقال جرير:

جَمَعَ الأَمْيرُ إِلَيْه أَكْرَمَ حُرَةٍ في كُلِ مَا حَالٍ منَ الأَحْوالِ
حَكَمِيَةٌ عَلَتِ الروابيَ كُلَّها بِمَفَاخِرِ الأَعْمَامِ والأَخْوالِ
وَإِذا النسَاءُ تَفاخَرَتْ بِبُعُولَةٍ فَخَرَتْهُمْ بالسَّيِّد المِفْضَالِ
عبد العزيزِ ومن يُكَلِّفْ نَفْسَهُ أَخْلاقَهُ يَلْبَثْ بِأَكْسَفِ بَالِ

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم ، ولعديّ بن الرقاع بمثلها وقضى لأهله ومواليه يومئذ مئة حاجة ، وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتّاب بعشرة دنانير عشرة دنانير ...)).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجوانب الإيجابية في الحياة الزوجية عند بني أمية

١- تمتع الزوجة بمكانة رفيعة:

لعل أول ملامح العلاقات الإيجابية بين الخلفاء والأمراء الأمويين وزوجاتهم تظهر من خلال تمتع الزوجة بمكانة خاصة عند الخليفة أو الأمير، فالنساء عند معاوية لا يغلبن إلا الكرام؛ قال البلاذري [١]: ((... قال عمرو بن العاص لمعاوية : غلبتك امرأتُك، فقال: إنّهنّ يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام)).

وكان معاوية يتقبل تدخل الزوجة ونقدها للإجراءات السياسية المتصلة بشؤون الحكم بصدر رحبٍ ولا يضيق بها ؛ قال أبو مخنف [٢] : ((... قالت امرأة معاوية، ورأته قد أطال الصلاة : ما أحسن صلاتك يا أمير المؤمنين لولا أنك قتلت حجراً وأصحابه، فقال : إنّهم فعلوا وفعلوا)).

وكانت الزوجة عند الخليفة مجابة الطلب، حتى وإن كان طلبها متعلقاً بقضية حساسة مثل ولاية العهد؛ ومن ذلك ما رواه البلاذري فقال[٣] ((... كانت أم معاوية بن يزيد - وهي أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس - امرأة برزة[٤] عاقلة فدعا يزيد يوماً بمعاوية بن يزيد وأمه حاضرة فأمره بأمر ، فلما ولّى قالت له : لو وليّت معاوية عهدك ، فقال : أفعل ...)).

وتظهر مكانة الزوجة عند خلفاء بني أمية وأمرائهم أيضاً من خلال مشاورتها في بعض الأمور والأخذ بهذه المشورة؛ إذ يُقال[٥] : ((... أُتي هشام بن عبد الملك بجارية تعرض عليه فأعجب بها فسام صاحبها بها فأبعد عليه في السوم، فقال له : لأعطينك بها

---

(١) البلاذري: أنساب، ج٥،ص٤١.وانظر كذلك: ابن عبد ربه: العقد ، ج٧ ، ص ١٠٠،

(٢) البلاذري: نفسه : ج٨، ص٥٢٧.

(٣) المصدر نفسه: ج٥،ص٣٨٠.

(٤) قال أبو عبيدة في اللسان :((البرزة من النساء الجليلة التي تظهر للناس ويجلس إليها القوم . وامرأة بَرْزَة: موثوق برأيها وعفافها. ويقال: إمرأة برزة إذا كانت كهلة لا تحتجب احتجاب الشّوابِّ وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس الناس وتحدثهم)). مادة : "برز"

(٥) ابن طيفور: بلاغات النساء ، ص ٢٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعطيةً لم أبلغها بجاريةٍ قط لك بها عشرة آلاف درهم، فأبى وخرج بها، قال : وتبعتها نفس هشام وجعل لا يطيب بالزيادة نفساً ، فأتى الأبرش الكلبي مولاها فلم يزل حتى أخذها منه بثلاثين ألفاً وأهداها إليه فسّر بها، ولم يلبث أن جاءه مال من ضياعه فيه فضل، فقسّمه في أهله وولده وبقيت عشرون ومائة ألف، فدعا امرأتيه: أم حكيم بنت يحيى ابن الحكم بن أبي العاص ، وعبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية، فبدأ بأمّ حكيم ، فقال : مَنْ أحق الناس بهذا المال ؟ قالت: زوجتك ، وبنت عمك ، قال: قد أخذت حقها، قالت : فابنك وولي عهد المسلمين وسيد فتيان قومك، قال : قد أخذ حقه . فأقبل على عبدة، فقال: هاتي ما عندك فإنكم يا آل أبي سفيان تَدّعون فضيلة في الرأي. قالت : ما أبين ذاك؛ أحقهم به من جاد لك بما بخلت به على نفسك ، قال: صدقت، فبعث بالمال إلى الأبرش)).

وتظهر مكانة الزوجة عند الخلفاء والأمراء الأمويين من خلال اصطحابها معهم إلى الحج ؛ فقد روى البلاذري أن الوليد بن عبد الملك اصطحب زوجته ام البنين بنت عبد العزيز بن مروان معه إليه[١]؛ وروى الطبري أن أم سلمة بنت هشام بن عبد الملك قد حجت مع زوجها عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة [٢] .

٢- الغزل في الزوجة:

وارتقت علاقة بعض أبناء الأسرة الأموية بزوجاتهم إلى درجة العشق، فتحول هذا الحب تجاههن إلى صورة مقطعات وقصائد غزلية لا تختلف في محتواها أو مستواها الفني عن قصائد الغزل العذري ذات المشاعر الصادقة النبيلة ؛ ومن الأمثلة على ذلك قول يزيد بن معاوية متغزلاً بزوجته أم خالد مصّرحاً بأنه لا يقدر على فراقها[٣]:

إِذَا سِرْتُ مِيلاً أوْ تَخَلَّفْتُ سَاعَةً دَعَتْنِي دَواعي الحُبِّ مِنْ أُمِّ خَالِدِ

وقد قال محمد بن سيرين معلقاً على هذا البيت [٤]: ((هذا البيت أشوق بيت قالته العرب)).

---

(١) البلاذري : أنساب، ج٨، ص ٨٩.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ، ج٨، ص٢٨٣.

(٣) يزيد بن معاوية : الديوان ، واضح عبد الصمد، دار صادر، بيروت، ص ٣٩.

(٤) المصدر نفسه : ص ٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعّبر في بيت آخر عن عجز لسانه عن التعبير عما يختلج في صدره من مشاعر ورغبات نحو أم خالد فيقول : (١)

إِنّي إِذا مَا جِئتُكُمْ أُمَّ خالدٍ لَذو حَاجَةٍ عَنْها اللِسَانُ كَلِيْلُ

وأما خالد بن يزيد بن معاوية فقد صرح أنّه أحب الزبيريين أعداء قومه ومنافسيهم على الخلافة لأن زوجته منهم وهو يحبهم لحبها؛ بل إنه يجيب عاذليه على الزواج منها رغم انتمائها للزبيريين بأنه تعمد هذا الاختيار، ويغلو في التعبير عن حبه لزوجته معلناً أنه منقاد لهواها فيقول : (٢)

أُحبُّ بَني العَوّامِ طُرَّاً لِحُبِّها وَمِنْ حُبِّها أَحْبَبْتُ أَخْوالها كَلْبا
وَلا تُكْثِروا فيها الضِجَاجَ فإِنَّني تَنَخَّلْتُها عَمْداً زُبَيْرِيَّةً قَلْبا
فَإِنْ تُسْلِمي نُسْلِمْ وَإِنْ تَتَنَصَّرِّي يَخُطُّ رِجَالٌ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ صُلْبا(٣)
تَجولُ خَلاخِيْلُ النِسَاءِ ولا أرى لِرَمْلَةَ خَلْخَالاً يَجُولُ ولا قُلْبا

وزاد الأصفهاني على هذه الأبيات أبياتاً أخرى تعبّر عن مدى حب خالد بن يزيد لزوجته؛ فقال : (٤)

أَلَيْسَ يَزِيْدُ السَيْر في كُلِّ لَيْلَةٍ وَفي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَحِبّتِنا قُرْبا
أَحِنُّ إلى بنْتِ الزُبَيْرِ وَقَدْ عَلَتْ بِنا العِيْسُ خَرْقاً مِنْ تُهَامَةَ أو نَقْبا
إذا نَزَلَتْ أَرْضاً تَحبَّبَ أَهْلَها إلينا وَإِنْ كَانَتْ مَنازِلَها حَرْبا
وَإِنْ نَزَلَتْ مَاءً وإِنْ كَانَ قَبْلَها مَلِيْحاً وَجَدْنا مَاءَهُ بارِداً عَذْبا

---

(١) يزيد بن معاوية: الديوان، ص ٥٥ .

(٢) البلاذري : أنساب ، ج٥،ص٣٨٦.

(٣) روى الأصفهاني أن خالد بن يزيد قد تبرأ من هذا البيت لاعناً من نحله له فقال: " ... فقال له عبد الملك تنصرت يا خالد، قال: وما ذاك؟ فأنشده هذا البيت ، فقال له خالد: على من قاله ومن نحلنيه لعنة الله ". الأصفهاني: الأغاني، ص١٧، ص٢٢٠.

(٤) الأصفهاني : نفسه ، ج١٧ ، ص ٢٢٠ . وانظر كذلك : ابن أبي الفرج : الحماسة البصرية ، ج٢ ، ص ٢٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالسفر في الليل والنهار يقّر به من زوجته المحبوبة، وحنينه اليها يـزداد كلمـا قطعت به الإبل صحراءً واسعةً، أو طريقاً في جبل، وكل أرضٍ نزلتها أوحلت بها يصبح أهلها أحبةً له وإن كانوا من قبل أعداءه له، والماء الذي تشرب منه يصبح عذباً فراتاً وإن كان ملحاً أجاجاً.

وصوّر الوليد بن يزيد فرحته بزوجته سلمى بنت سعيد بن خالد ليلة زفافها إليـه وكان عانى معاناةً شديدة قبل أن يتزوجها؛ فقال : (١)

خَفَّ مِنْ دَارِ جَيْرَتي يا خَلِيْلَيَّ أُنْسُها
أَفَلاَ تَخْرجُ العَرُو سُ فَقَدْ طَالَ حَبْسُهَا
قَدْ دَنَا الصُّبْحُ أَوْ بَدَا وَهْيَ لَمْ يُقْضَ لُبْسُها
خَرَجَتْ كَالمَهاةِ في لَيْلَةٍ غَابَ نَحْسُها
بَيْنَ خَمْسٍ كَواعِبٍ أَكْرَمُ الجِنْسِ جِنْسُها

وبسبب فرحته بها وحبه لها دعا على كل اللائمين للعشاق أن يموتوا ميتة بشـعة حتى يتخلص الناس من شرهم وأذاهم ؛ فقال: (٢)

أَنَا في يُمْنَى يَدَيْها وَهْيَ في يُسْرى يَدَيّهْ
إِنَّ هَذَا لَقَضَاءٌ غَيْرُ عَدْلٍ يَا أُخَيّهْ
لَيْتَ مَنْ لاَمَ مُحِبّاً ي الهَوى لاقى مَنِيّهْ
فَاسْتَرَاحَ النّاسُ مِنْهُ مِيْتَةً غَيْرَ سَوِيّهْ

وسبب هذه الفرحة العارمة هو ما قاساه الوليد بن يزيد حتى حظي بالزواج منها، فقد كان له معها قصة حب معقدة، وطويلة، ومركبة؛(٣) تـدّخل فـي تعقيـدها عوامـل اجتماعية وسياسية؛ منها أن سلمة كانت شقيقة زوجته مما جعل موافقتها وموافقة والـدها صعبة حرصاً على مشاعر شقيقتها.

---

(١) الوليد بن يزيد : الديوان ، ص ٧١.

(٢) المصدر نفسه : ص ١٤١.

(٣) انظر تفاصيل هذه القصة: البلاذري: أنساب، ج٩، ص١٢٧-١٢٩. و ص ١٣٨-١٤١. والأصفهاني: الأغاني ، ج٧، ص٢٠-٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتدّخل عمه هشام بن عبد الملك خصمه السياسي، وزوج شقيقها الثالثة أم عثمان بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان؛[١] مستغلاً نفوذه لمنع هذا الزواج موجهاً رسالة إلى أبيها تحمل بين طياتها معنى التهديد، قال البلاذري[٢] : ((... فأرسل هشام إلى سعيد: إياك أن تزوجُه ، وقال له : أيريد الوليد أن يكون فحلاً لبناتك، يطلّق واحدة، ويتزوج واحدة، فلم يزوجه...)).

وكانت نتيجة هذا الرفض هي هيام الوليد بها حُباً عبّر عنه بغير مقطوعة شعرية ضمنّها حبه ولوعته وهيامه؛ ومن أمثلتها قوله يصوّر شدة حبه لها، وعذابه بسبب جفائها وصدودها وعدم مبادلته المشاعر نفسها : [٣]

أَرَاني اللهُ يا سَلْمَى حَياتي ... وَفي يَوْمِ الحسابِ كَما أَرَاكِ
أَلاَ تَجْزِيْنَ مَنْ تَيّمْتِ عُمْراً ... وَمَنْ لَوْ تَطْلُبَيْنَ لَقَدْ أَتَاكِ
وَمَنْ إنْ متِّ مَاتَ ولا تَمُوتي ... وَإنْ يُنْسَأ لَهُ أَجَلٌ بَكَاكِ
ومَنْ لَوْ قُلْتِ مُتْ وأَطَاق مَوْتَاً ... إذاً ذَاقَ المَماتَ وَمَا عَصَاكِ
وَمَنْ حَقاً لو أُعطِيَ مَا تَمَنّى ... مِنَ الأَرْضِ العَرِيضَةِ ما عَدَاكِ
أَثِيْبِي هَائِماً كَلِفاً مُعَنّى ... إذا خَدِرتْ لَهُ رِجْلٌ دَعاكِ

وشبّه نفسه بسبب حبه لها بالمريض الموشك على الموت مبيناً أن حبه لها قدر من الله لا يستطيع الخلاص منه فقال: [٤]

بَلِّغا عَنّي سُلَيْمى ... وَسَلاَها لِيَ عَمّا
فَعَلَتْ في شَأْنِ صَبٍّ ... دَنِفٍ أُشْعِرَ هَمّا
وَلَقَدْ قُلْتُ لِسَلْمى ... إِذْ قَتَلْتُ البَيْنَ عِلْما
أَنْتِ هَمِّي يا سُلَيْمى ... قَدْ قَضَاهُ الرَبُّ حَتْما
نَزَلَتْ في القَلْبِ قَسْــراً ... مَنْزِلاً قَدْ كَانَ يُحْمَــى

(١) الزبيري: نسب قريش، ص ١٦٨. والبلاذري: نفسه ، ج٩، ص١٣٨. والأصفهاني: نفسه، ج٧، ص٢١.
(٢) البلاذري: أنساب، ج٩، ص١٣٨. والأصفهاني : الأغاني، ج٧، ص ٢١.
(٣) الوليد بن يزيد : الديوان، ص ٨٩.
(٤) المصدر نفسه: ص ١١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحاول استدرار عطفها حين يصوّر مدى عذابه وألمه بسبب جفائها وصـــدودها فيقول: [١]

مَنْ لِقَلْبٍ أَمْسى كَئِيْباً حَزيناً مُسْتَهاماً بَيْنَ اللّها والتّرَاقي
أُمَّ سَلاَّمَ ما ذَكَرْتُكِ إلاَّ شَرِقَتْ بالدُّموع مِنِّي المَآقي
أُمَّ سَلاَّمَ ذِكْرُكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ أَنْتِ دَائي وفي لِسَانِكِ رَاقي
حَذَراً أَنْ تَبِيْنَ لي دارُ سَلْمَى وَتجِيءَ الدُّنْيا لَها بِفِرَاقِ

ويشكو لها الأرق والسُهاد الذي يعاني منه بسبب عدم اكتراثها به ، متوسلاً إليهـــا أن تحس به حتى لا يقضي كمداً وحزناً، يقول : [٢]

نَامَ مَنْ كَانَ خَلِيّاً مِنْ أَلَمْ وَلَقَدْ بِتُ شَجِيّاً لَمْ أَنَمْ
أَرْقُبُ النّجْمَ كَأَنِّي مُسْنَدٌ بِأَكُفٍّ القَوْمِ تَغْشَاني الظُّلَمْ
إِنَّ سَلْمَىَ وَلَنا مِنْ حُبِّها دَيْدَنٌ في القَلْبِ مَا أَخْضَرَّ السّلَمْ
قَدْ سَبَتْني بِشَتِيْتٍ نَبْتُهُ وَثَنَايَا لَمْ يَعِبْهُنَّ قَضَمْ
أُحْكُمِي في الوَصْلِ إِذْ وُلِّيتِهِ لَيْسَ قَتْلُ النَفْسِ مِنْ عَدْلِ الحَكَمْ

ولم تقتصر محاولاته على استعطاف سلمى بل حاول أن يستميل والـــدها ليقبلـــه زوجاً لها فقال : [٣]

أَبَا عُثْمانَ هَلْ لَكَ في صَنِيْعٍ تُصِيْبُ الرُّشْدَ في صِلَتي هُدِيْتا
فَأَشْكُرَ مِنْكَ ذا المُسْدى وَتُحْيِي أَبَا عُثْمانَ مَيِّتَةً ومَيْتَا

ولكن محاولاته لم تفلح بسبب خوف والدها من بطش هشام بن عبد الملك، وهو ما دفع الوليد للسخرية منه بقوله : [٤]

وَمَنْ يَكُ مِفْتاحاً لِخَيْرٍ يُرِيْدُهُ فَإِنَكَ قُفْلٌ يا سَعِيْدُ بنُ خَالِدِ

ولكنه سرعان ما ندم، وتراجع واعتذر حين علم أن سلمى غضبت لوالدها بسبب هذا التهكم فقال مستعطفاً معتذراً : [١]

---

(١) نفسه: ص٨٥.
(٢) الوليد بن يزيد : الديوان ، ص ١٠٩.
(٣) المصدر نفسه: ص ٢٧.
(٤) نفسه: ص ٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عَتَبَتْ سَلْمى عَلَيْنَا سَفَاهَا أَنْ سَبَبْتُ اليومَ فيها أَبَاهَا
كَانَ حَقُّ العَتْبِ يَا قَوْمُ مِنِّي لَيْسَ مِنْها كانَ قَلْبي فِدَاها
فَلَئِنْ كُنْتُ أَرَدْتُ بِقَلْبي لأبي سَلْمَى خِلافَ هَوَاها
فَتَكَلْتُ اليَوْمَ سَلَمى فَسَلْمَى مَلأَتْ أَرْضي مَعَاً وَسَماها
غَيْرَ أَنِّي لا أَظُنُّ عَدُوَّاً قَدْ أَتَاها كَاشِحاً بِأَذَاها
فَلَها العُتْبَى لَدَيْنا وَقَلّتْ أَبداً حَتّى أَنَالَ رِضَاها

وقال أيضاً يعتذر لها ولوالدها: (٢)

أَلاَ أَبْلِغْ أبا عُثْمَا نَ عِذْرَةَ مُعْتِبٍ أَسِفَا
فَلَسْتُ كَمَنْ يَوَدُّكَ بِالْـ ـلِّسَانِ وَيُكْثِرُ الحَلِفَا
عَتَبْتَ عَلَيَّ في أَشْيا ءَ كَانَتْ بَيْنَنَا سَرَفَا
فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدا ءَ والجِيْرَانَ مُلْتَهِفَا
تَودُّ لَوْ أَنّني لَحْمٌ رَأَتْهُ الطّيْرُ فاخْتُطِفَا
وَلا تَرْفَعْ بِهِ رَأْساً عَفَا الرَّحْمنُ ما سَلَفَا

ولمّا لم ينجح من خلال هذا التوسل والاستعطاف في تغير موقفها أو موقف والدها أنفت نفسه، وشعر أن كرامته قد أهدرت فأقسم على تطليقها بعد أن يزوجها لـه أبوهـا بمجرد موت هشام بن عبد الملك، وأبّر بقسمه بناءً على نصيحة بعض الفقهاء؛ ثـم عـاد وتزوجها بعد إنقضاء عدّتها الشرعية . (٣)

ولم يكن الوليد بن يزيد هو الشاعر العاشق الوحيد من بني أمية فقد نظم عبـد الله ابن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان المعروف بالعَرْجي عدة قصائد في زوجته عثيمة تقطر حباً وعشقاً ولوعةً وحنيناً؛ ومنها قوله: (٤)

قَدْ كَانَ مَا بي قَبْلَ رُؤْيَتِكُمْ يَا عُثْمَ مِنْ وَجْدٍ بِكُمْ يَكفِي
حَتَّى أَتَيْتُكِ يَا عُثَيْمَةُ زَائِراً أَمْشِي عَلَى عَمْدٍ إلى حَتْفِي

---

(١) نفسه: ص ١٣٠.
(٢) الوليد بن يزيد : الديوان، ص٨٢.
(٣) انظر في ذلك : البلاذري : أنساب، ج٩، ص ١٥٠. والأصفهاني: الأغاني ، ج٧، ص٢١.
(٤) العَرْجي : الديوان ، سجيع جميل الجبيلي ، دار صادر،بيروت، ص ٢٦٥-٢٦٦. وانظر مثالاً آخر على غزل العرجي في زوجته عثيمة: المصدر نفسه ، ص ٣٠٢-٣٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَازْدَدْتُ أَحْزَاناً عَلَى حَزَنٍ مِنْكُمْ مُنِيْتُ بِهِ عَلَى ضَعْفِي
فَالدَّمْعُ مِنِّي وَاكِفٌ سَرِبٌ كَالغَرْبِ يُنْزَعُ دَائِمَ الوَكْفِ
يا رَبِّ إِنِّي قَدْ شَقِيْتُ بِهَا فَالْطُفْ فَإِنَّكَ رَبِّ ذُو لُطْفِ
عُلِّقْتُهَا خَوْداً بَرَهْرَهَةً رَابٍ مُؤَزَّرُهَا مِنَ اللَّفِّ[١]
تَلْوِي النَّصِيفَ إِذا لَوَتْهُ عَلَى جَثْلِ النَّبَاتِ مُعَثْكَلٍ وَحْفِ[٢]

فعشقه لها بدأ قبل أن يراها، وقد أصرّ على لقائها رغم معرفته المسبقة بصدها عنه ، وتمنعها عليه ، فازداد ألم على ألم، وانهمرت دموعه غزيرة كما ينهمر الماء من الدلو، وتوجه بالدعاء إلى الله جلَّ جلاله بأن يخفف عنه وطأة معاناته من حبها الذي أصبح مصدر شقاء له، مؤكداً بأن عشقه لها ليس جديداً بل كان منذ كانت فتاة شابة ناعمة تلف الإزار حول وسطها، وتغطي شعرها الأسود بخمارها.

٣- مدح الزوجة:

وامتزج التغزل في الزوجة عند بعض أبناء الأسرة الأموية بمدحها؛ مركزين في هذا المدح على عراقة نسبها وشرفها، من مثل قول خالد بن يزيد بن معاوية في زوجته ابنة عبد الله بن جعفر: [٣]

أَتَتْنا بِها دُهْمُ البِغَالِ وَشُهْبُها عَفَيْفَةِ أَخْلاقٍ كَرِيْمَةِ عُنْصُرِ
مُقَابَلَةٍ بَيْنَ النَبِيِّ مُحَمَّدٍ وبَيْنَ عَلِيَّ ذِي الفَخَارِ وَجَعْفَرِ
مُنَافِيَّةٍ جادَتْ بِخَالِصِ وُدّها لِعَبْدِ مَنافِيٍّ أَغَرَّ مُشَهَّرِ

وفي آمنة بنت سعيد وأمها أم عمرو بنت عثمان بن عفان وأمّها رملة بنت شيبة ابن ربيعة بن عبد شمس يقول خالد بن يزيد : [٤]

كَعَابٌ أَبُوها ذو العِمامَةِ وابْنُهُ وعُثْمانَ مَا أَكْفاؤُها بِكَثِيرِ
فإنْ تَسْتَفِدْها والخِلافَةَ تَنْقَلِبْ بِأَفْضَلِ عِلْقَيْ مِنْبَرٍ وسَرِيرِ

(١) الخود: الفتاة الشبه الناعمة . البَرَهْرَهَة: الجارية الغضة اللينة .
(٢) النصيف : الخمار . النبات الجثل : الأسود . المعثكل: الذي يشبه عناقيد البلح. الوحف: الأسود الكثيف.
(٣) البلاذري : أنساب، ج٥،ص٣٨٥. والأصفهاني : الأغاني : ج١٧، ص ٢٢٢.
(٤) البلاذري: نفسه ، ج٥،ص٣٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومدح العرجي زوجته عثيمة مازجاً هذا المدح بالغزل فقال: [١]

مَنْ لِنَفْسٍ عَنِ الهَوَى لا تَنَاهَى ... لا تُبَالِي أَطَاعَها أَمْ عَصَاهَا
عَاذِلٌ في الهَوَى بِنُصْحٍ ، وَيَخْشَى ... أَن يَسُوقَ الرَّدَى إِلَيها هَوَاها
لَوْبِهِ مَا بَها مِنَ الوَجْدِ لَمْ يَنْـ ... ـهَ مُحِبّاً وَلَمْ يُبَالِ بَلاَهَا
خَامَرَتْ مِنْ هَوى عُثَيْمَةَ داءً ... مُسْتَكِنّاً لحُبِّهَا أَذْوَاهَا
ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: سَأَعْصِيكَ فيها ... رَاغِماً مِثْلَمَا عَصَتْنِي نِسَاهَا
إِنَّهَا حَيْثُ مَا تَكُونُ مِنَ الأَرْ ... ضِ، فَغُضَّ الملامَ فِيها، مُنَاها

فالعَرْجي العاشق لا يبالي بنصح الناصحين الذين يخشون عليه الهلاك بسبب حبه عثيمة ، ويؤكد لهم أنهم لو أصيبوا بما أصيب هو به من العشق لما نهوه عن حبها، تاركاً لنفسه فرصة الرد عليهم بإعلانها معصيتهم فيما يطلبون لأنها لا تستطيع نسيانها، منوهاً بكرم محتد عثيمة ، وحسن مناقبها وصفاتها؛ يقول: [٢]

إِنَّهَا بِنْتُ كُلِّ أَبْيَضَ قَرْمٍ ... مَلِكٍ نَالَ مِنْ قُصَيٍّ ذُرَاهَا
وَبَنَى المَجْدَ صاعداً فَعَلَتْهُ ... عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ أَبَوَاها
فَهِيَ لا تُدْرِكُ النِّسَاءُ بِسَعْيٍ ... أبداً، حِيْنَ يَفْخَرُونَ، مَداهَا
لَسْنَ حُوْراً عَقَائِلاً هُنَّ مِنْها ... إِنَّ في النَّاسِ، فَاعْلَمُوا أَشْبَاهَا
أُمُّهَا البَدْرُ : أُمُّ أَرْوَى، فَنَالَتْ ... كُلَّ مَا يُعْجِزُ الأَكُفَّ يَدَاهَا
إِنَّ عُثْمانَ والزُّبَيْرَ أَحَلاَّ ... دَارَها باليَفَاعِ إِذْ وَلَدَاها
وَنَبِيُّ الهُدَى وَحَمْزَةَ إِبْدَأ ... بِهِمَا إِذْ نَسَبْتَهَا خالاَهَا

---

(١) العرجي: الديوان، ص ٣٣٩–٣٤٠. وذكر الزبيري : نسب قريش ، ص١٨٨، أنها عثيمة بنت بكير بن عثمان بن عفان ، وأمها سكينة بنت مصعب بن الزبير، ومن هنا جاء نسبها الرفيع الذي تغنى به زوجها.

(٢) العرجي: نفسه ، ص ٣٣٩ –٣٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نَبَتَتْ في نُجُومِ رَبْوَةِ رَمْلٍ يُنْشَرُ المَيتُ إِنْ يَشُمَّ ثَرَاها
مِنْ تُرَابٍ بَيْنَ المَقَامِ إِلى الرُكْـ ـنِ، بَرَاهَا الإِلَهُ حِيْنَ بَرَاها

فهي قرشية ابنة ملوك على رأسهم قصي بن كلاب بن مرة الذي جمع قريش ووّحدها، ولا تدرك النساء منزلتها الرفيعة؛ فجدتها لأبيها البيضاء بنت عبد المطلب عمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجدها عثمان بن عفان، وخالها لأمها الزبير بن العّوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، فنبتت لذلك وترعرعت في بيت طيب ، ولذلك شبهها بالزهرة التي أينعت في تربة أعزها الله وأكرمها.

ويشيد بعراقة البيت الذي تنتمي إليه زوجته وهو بيته أيضاً إذ يقول : (١)

قُصَوِيٍّ مِنْهُ قُصَيٌّ وَلَمْ يَخْـ ـلُطْهُ طِيـنُ القُرَى وَلاَ أَكْبَاهَا
ذَبَّ عَنْهَا قُصَيٌّ كُلَّ عَدُوٍّ فَنَفَاهُ ، وَجُرْهُماً أَجْلاَهَا

فجدها قصي دافع عن التربة التي نشأت بها وهي مكة ، ونفى عنها كل الأعداء وعلى رأسهم قبيلة جرهم ، ومن هنا لا يستطيع أحد أن ينافسها في مكانتها الرفيعة في قريش؛ يقول: (٢)

لَنْ تُمَارَى قُصَيٌّ في المَجْدِ إِلاَّ أَكْذَبَ اللهُ كُلَّ مَنْ مَارَاها
وَبِحَسْبِ الفَتَاةِ قُرْباً مِنَ المَجـ ـدِ قُصَيٌّ ، إِنْ يَعْدِلوُا مَوْلاَهَا
مِنْهُمُ الطَّيِّبُ النَّبِيُّ بِهِ اللّـ ـهُ إلى بَابِ كُلِّ خَيْرٍ هَدَاهَا
بَرَّدَ النَّارَ عَنْهُمُ حِيْنَ فَارَتْ تَرْتَجي أَكْلَهُمْ وَأَحْمى حِمَاها
ثُمَّ حُجَّابُ بَيْتِهِ بَعْدُ مِنْهُمْ وَحِيَاضَ الحَجِيْجِ قَدْ وَلاَّهَا
ثُمَّ وِلّى ، وَلَنْ يَزالوا وُلاَةً رَبُّنَا اللُّه خَلْقَهُ خُلَفَاهَا

فقبيلتها توارثت المجد كابراً عن كابر، وحسبها في المجد انتماؤها لهذه القبيلة، التي منها رسول الهدى، الذي أنقذ الناس من النار، وحمى مكة من الأعداء، ومنها أيضاً

(١) العرجي: الديوان، ص ٣٤٠ – ٣٤١.
(٢) المصدر نفسه : ص ٣٤١ – ٣٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سدنة البيت الحرام وخدمه، وسُقاة الحجيج، ولذلك أمر الله عز وجل أن يكون الخلفاء منهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دور الزوجة في إيجابية الحياة الزوجية عند بني أمية:

١- الخوف على الزوج:

وفي الجانب الآخر من الحياة الزوجية الإيجابية عند الأسرة الأموية ساهمت زوجات الخلفاء والأمراء في إرساء قواعد هذه الحياة من خلال ما أظهرنه من مشاعر؛ وممارسات ايجابية تجاه أزواجهن، ومن أمثلة ذلك خوف عاتكة بنت يزيد على زوجها عبد الملك بن مروان حين عزم على الخروج لقتال مصعب بن الزبير؛ قال البلاذري [١]: ((... بعثت عاتكة بنت يزيد ، إمرأة عبد الملك ، وهي أم يزيد ابنه: ما رأيت خليفة قط غزا بنفسه فوّجه وأقم، فقال : واللهِ لو بعثت إلى مصعب جميع أهل الشام لفضهم وفلهم ما لم أكن معهم ... قالوا : وبكت عاتكة بنت يزيد بن معاوية حين أراد عبد الملك المسير نحو العراق، وبكى جواريها فقال؛ كأن كثير عزة كان يرى ما نحن فيه حين يقول:

إِذَا مَا أَرَادَ الغَزْوَ لَمْ تَثْنِ رَأْيَهُ حَصَانٌ عَلَيْها نَظْمُ دُرٍّ يَزِيْنُها
نَهَتْهُ فلَمّا لَمْ تَرَ النَهْيَ عَاقَهُ بَكَتْ فبكى مِمّا شجاها قَطِيْنُها))

وأظهرت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان خوفها على زوجها الوليد بن عبد الملك حتى من أقرب المقربين؛ وأكثر الناس ولاءً لبني أمية حين جلس الحجاج مع الوليد بكامل عدته وهو أعزل؛ قال ابن طيفور[٢]: ((... قدم الحجاج بن يوسف على الوليد بن عبد الملك فألفاه يدفن بنتاً له ، فمال إلى قبر عبد الملك فصلى عنده ركعتين، ثم انصرف وقد ركب الوليد فمشى بين يديه وعليه درع وقوس، فقال: اركب يا أبا محمد، قال يا أمير المؤمنين دعني استكثر من الجهاد، فإن ابن الزبير وعبد الرحمن بن الأشعث شغلاني عن الجهاد زمناً طويلاً ، فعزم عليه الوليد فركب ، فلما دخل القصر ألقى الوليد ثيابه وبقي في غلالة، ثم أذن للحجاج، فبينا هو يُحدِّثه ويقول له : يا أمير المؤمنين إذا أقبلت جارية فسارّت الوليد، ثم انصرفت ، ثم عادت ، فقال الوليد: يا أبا محمد أتدري ما قالت هذه الجارية ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين، قال : أرسلت إليَّ أم البنين بنت عبد العزيز بن

---

(١) البلاذري : أنساب ، ج٧ ، ص ٢٨١٢ ، ٢٨١٤ . وانظر كذلك : ابن عبد ربه : العقد ، ج ، ص١٤٦. والأصفهاني : الأغاني ، ج٩ ، ص ١٧ . والقالي : الأمالي، ج١ ، ص ١٣ . واليافعي: مرآة الجنان، ج١ ، ٢٥٠.

(٢) ابن طيفور : بلاغات النساء ، ص ٢٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مروان ما مجالستك هذا الاعرابي ، وهو في سلاحه وأنت في غلالة، لأن يخلو بك ملك الموت أحبّ إليّ من أن يخلو بك الحجاج، وقد قتل الناس ...)).

٢- استرضاء الزوج بشتى السبل:

وفي سبيل استرضاء الزوج والحصول على الحظوة عنده قامت بعض زوجات الخلفاء بأمور تتعارض مع طبيعتهن كنساء من خلال تحقيق رغباتهم في امتلاك الجواري على حساب مشاعرهن؛ إذ يُعرف أن المرأة لا تحب أن يشاركها في زوجها أحد، ومع ذلك فحرصاً على إسعاد الزوج قامت بعض نساء الخلفاء بهذا الأمر؛ قال الطبري[١] ((... حج يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان بن عبد الملك فاشترى حبابة وكان اسمها العالية بأربعة الآف دينار من عثمان بن سهل بن حنيف فقال سليمان: هممت أن أحجر على يزيد فرد يزيد حبابه فاشتراها رجل من أهل مصر فقالت سعدة ليزيد : يا أمير المؤمنين هل بقي من الدنيا شيء تتمناه بعد؟ قال : نعم، حبابة ، فأرسلت سعدة رجلاً فاشتراها بأربعة آلاف دينار ، فصنعتّها حتى ذهب عنها كلال السفر فأتت بها يزيد فأجلستها من وراء الستر فقالت : يا أمير المؤمنين أبقي شيء من الدنيا تتمناه ؟ قال : ألم تسأليني عن هذا مرة فأعلمتك ؟! فرفعت الستر وقالت هذه حبابة وقامت وخلتها عنده، فحظيت سعدة عند يزيد وأكرمها وحباها ...)).

وبادرت فاطمة بنت عبد الملك إلى تقديم جارية لزوجها عمر بن عبد العزيز بُعيد توليه الخلافة بعد أن كانت سابقاً ترفض ذلك؛ قال ابن عساكر[٢] : ((... كانت لفاطمة بنت عبد الملك جارية تعجب عمر ، فلما صار إلى ما صار إليه زيّنتها فاطمة ، وطيّبتها وبعثت بها إلى عمر، وقالت: إني قد كنت أعلم أنها تعجبك، وقد وهبتها لك ، فتنال منها حاجتك ...)).

ولم تكن هذه التضحية هي الوحيدة التي قدمتها فاطمة لزوجها عمر بن عبد العزيز، فقد تخلت عن حليّها وجواهرها حين خيّرها بينه وبينها؛ إذ يقال [٣] : ((... كان

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم ، ج٨ ، ص ١٧٩ . وانظر كذلك : الأصفهاني: الأغاني ، ج١٥،ص٨٦. وابن قيم الجوزية : أخبار النساء ، ص ١٠٩. وابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص ٣٦٨ . وابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص ١٩٩ . وابن كثير : البداية والنهاية ، ج٩ ، ص ٢٧٣.

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٥٤،ص١٥٩.

(٣) البلاذري : أنساب ، ج٨، ص ٣٣٦٩ – ٣٣٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عند فاطمة بنت عبد الملك جوهر فقال لها "عمر" : من أين صار إليك ؟ قالت: أعطانيه أمير المؤمنين - تعني أباها - فقال : إما أن تردّيه إلى بيت المال ، وإما أن تأذني لي في فراقك - وكان امرأته - فإني أكره أن أكون أنا وأنت في بيت وهو عندك . قالت : لا بل أختارك على أضعافه ، قال : فضعيه في بيت المال ...)).

وظلت وفية لرغبته حتى بعد موته ؛ إذ رفضت استعادة الجواهر بعد أن عرضها عليها شقيقها يزيد بن عبد الملك؛ قال البلاذري[١] : ((... فلما ولي يزيد بن عبد الملك قال لها: إن شئت رددته عليك ، وإن شئت أعطيتك قيمته، قالت : أأطيب به نفسهاً في حياته ثم أرجع فيه بعد وفاته؟! لا حاجة لي فيه...)).

وكانت تسهر معه أثناء مرضه حتى الصباح؛ رُوي عن عثمان بن مسلم أنه قال[٢]:((بلغنا أن فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قالت : اشتد علزه ليلة فسهر وسهرنا معه فلما أصبحنا أمرت وصيفاً له يقال له مرثد فقلت : يا مرثد كن مع أمير المؤمنين فإن كانت له حاجة كنت قريباً منه ...)).

وبذلت زوجات أبناء الأسرة الأموية كل ما في وسعهن لإسعاد أزواجهن وتحقيق رغباتهم، ومن أمثلة ذلك ما قامت به هند بنت أسماء بن خارجة مع زوجها بشر بن مروان حين لاحظت انقطاعه عنها لعدم انسجام رغباته مع رغباتها؛ قال البلاذري[٣]: ((... لما قدم بشر بن مروان الكوفة قال لأبي بردة بن أبي موسى : إني أكره أن أبيت ليلة عزباً فهل من إمرأة أتزوجها ؟ قال : نعم، هند بنت أسماء بن خارجة، قال: فاخطبها عليَّ؛ قال : فقال لأبيها : إني أتيتك خاطباً لهند ، قال على نفسك فإنك كفؤ كريم؟ قال : لا بل علي من هو خير لها مني ، الأمير بشر بن مروان ، فقالت هند : زوّجه فأرسل إلى رجلين فأشهدهما أنه قد زوجّها بشراً ؛ قال: ودخل بها فأقام عندها ثلاثاً وأرسل إليها بمائة الف درهم منها خمسون ألفاً صداقها وخمسون ألفاً صلة، ثم قعد عنها أياماً فقالت: ما له ؟ قالوا: إنه يصيب الشراب وأنت لا تشربين، فأرسلت إلى مولى لها

---

(١) البلاذري : أنساب، ج٨، ص٣٣٧٠.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ج٨ ، ص ١٤١.

(٣) البلاذري : نفسه ، ج٦ ، ص ٢٥٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالسليحون [١] فحمل إليها شراباً جيداً ، وأمرت فعمل له سمك وجُعل في محسي ، ثم أرسلت إليه ليكن غداؤك عندي فأتاها فتغدى فاستطاب غداءه ثم قال : لهذا ما يصلحه، فدعت بالشراب فوجده أجود من شرابه، فقال : بقيت واحدة ، فقالت ما هي ؟ قال : من يحادثنا ، فأرسلت إلى أخويها : مالك بن أسماء وعيينة فنا دماه فحظيت عنده وولدت له عبد الملك بن بشر...)).

٤- رثاء الزوجة عند بني أمية

ومثّل الرثاء شكلاً آخراً من أشكال العلاقات الإيجابية في الحياة الزوجية عند الأسرة الأموية، إذ فعلى الرغم من ندرة رثاء الزوجات في الشعر العربي نجد الوليد بن يزيد يرثي زوجته سلمى بنت سعيد رثاءً حزيناً ، ويبكيها بكاءً حاراً ، لأن فرحته بالزواج منها لم تدم طويلاً؛ إذ عاجلها الموت بعد زفافها إليه بوقتٍ قصير[٢]؛ فصوّر هذه المأساة قائلاً [٣]:

يَا سَلْمَ كُنْتِ كَجَنّةٍ قَدْ أَطمَعَتْ أَفْنَانُها دانٍ جَنَاهَا مُوضَعُ
أَرْبَابُها شَفَقاً عَلَيْها نَوْمُهُمْ تَحْلِيلُ مَوْضِعها ولَمّا يَهْجَعُوا
حتّى إِذا فَسَحَ الرَّبِيْعُ ظُنُونَهُمْ نَثَرَ الخَرِيْفُ ثِمارها فَتَصَدَّعُوا

فحاله معها كحال قوم نزلوا جنة وخافوا عليها من كل شيء حتى إذا أينع ثمرها جاءها الخريف بغتة فأيبس ثمارها اليافعة، وقضى على فرحتهم قبل أن تكتمل، وأبدلهم مكانها فراقاً وحزناً كبيراً.

ويقول راثياً زوجته؛ باكياً فراقها [٤]:

أَلمّا تعلَما سلْمَى أَقامَتْ مُضَمّنَةً منَ الصَّحراءِ لَحْدَا
لَعَمْرُكَ يا ولَيْدُ لَقَدْ أَجَنُّوا بِها حَسَباً وَمَكْرُمَةً وَمَجْدا
وَوَجْهاً كانَ يَقْصُرُ عَنْ مَداهُ شُعاعُ الشّمَسِ أَهْلٌ أَنْ يُفدَّى
فَلَمْ أَرَ مَيِّتاً أَبْكَى لِعَيْنٍ وَأَكْثَر جَازِعاً وأَجَلَّ فَقْدا

---

(١) موضع قرب بغداد : يا قوت الحموي، معجم البلدان ، دار الكتاب العربي ، م٣ ، ص ٢٣٥.
(٢) انظر اختلاف المصادر في المدة التي مكثتها سلمى بنت سعيد بن يزيد بعد الزفاف : حسين عطوان : الوليد بن يزيد: الديوان، ص ٥٧.
(٣) المصدر نفسه: ص ٧٧.
(٤) نفسه: ص ٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَأَجْدَرَ أَنْ تكُونَ لَديْهِ مَلْكاً يُرِيكَ جَلادَةً وَيُسِرُّ وَجْدَا

فقد ماتت زوجته سلمى، ووارها التراب في أرض موحشة، ومات معها الحب والمكارم والجمال والمجد؛ فأبكت الناس، وعز عليهم فراقها، لكنه مع ذلك يظهر لهم جلداً وصبراً انسجاما مع مكانته، ويبطن حزناً ووجداً وجزعاً يكاد يُذهب نفسه.

ويبدو كأنه لا يستطيع أن يصدق أن زوجته قد ماتت حين يعيد طرح السؤال على صاحبيه يخبرهما أنها ماتت ودفنت في قبر صحراوي بعيد المكان ؛ وذلك بقوله: (١)

أَلَمْ تعْلَما سَلْمى أَقَامَتْ بِمَهْمَهٍ مُضَمّنَةً قَبْراً مِنَ الأَرْضِ أُلْحِدَا

(١) الوليد بن يزيد: الديوان ، ص ٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجوانب السلبية في الحياة الزوجية عند بني أمية

١- الملاحاة بين الزوجين:

ومن الجوانب السلبية في الحياة الزوجية عند بين أمية الملاحاة بين الزوجين التي تشي بسوء العلاقة بينهما أثناء تحاورهما؛ ومن أمثلة هذا النوع من الملاحـــاة مـــا رواه المدائني فقال [١] : ((كانت بنت سعيد بن العاص عند الوليد بن عبد الملك ، فلما مـــات عبد الملك لم تبكه، فقال الوليد : ما يمنعك من البكاء على أمير المؤمنين ولا مصيبة أجلَ من فقده ؟ قالت : وما أقول له إلا أن أسأل الله أن يحييه ويزيد في سلطانه حتى يقتل أخاً لي آخر، قال. أي والله لقد كسرنا ثناياه وقتلناه، فقالت : قد علمت من شقّت استه بالسيف، قال: الحقي بأهلكِ، قالت: ألذّ من الرفاء والبنين)).

ومنها أيضاً التشاتم الذي حصل بين سليمان بن هشام بن عبد الملك وزوجته فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب؛ قال المدائني [٢]: ((كانت عند سليمان بـــن هشام بن عبد الملك فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب، وأمهـــا زينـــب الكبرى بنت علي، فقال لها سليمان يوماً: إنما أنت بغلة لا تلدين، فقالت له: ليس الأمر كما ظننت، ولكن يأبى كرمي أن يدنسه لؤمك)).

وصوّر العرجي إلحاح زوجته على لومه بعد أن كبر سنه وانتشر الشيب في رأسه لأنه كان يحاول أن يمارس أفعال الشباب؛ فقال : [٣]

تِلْكَ عِرْسِي تَلُومُني في التَّصَابي مَلَّ سَمْعِي وَمَا تَمَلُّ عِتَابي
أَهْجَرَتْ في المَلامِ تَزْعَمُ أَنِّي لاَحَ شَيْبِي وَقَدْ تَوَلّى شَبَابي
أَنْ رَأَتْ رَوْعَةً مِنَ الشَّيْبِ صَارَتْ في قَذَالي مُبِينَةً كَالشِّهَابِ
تَحْتَ لَيْلٍ بِكَفِّ قَابِسِ نَارٍ إِعتَشَاهَا بِعَارِضٍ مِنْ سَحَابِ

(١) ابن طيفور: بلاغات النساء ، ص ٢٢٩ . وانظر كذلك : البلاذري : أنساب ، ج٨ ، ص ٣٢٧٩.
(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٢٢ ، ص ٤٠٠ . وانظر كذلك : ابن طيفور : نفسه، ص ١٩٤.
(٣) العرجي : الديون ، ص ١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهي تلومه لميله نحو حياة الشباب، فضجر من كثرة لومها واستهزائها بنزوعه إلى حياة الشباب، وقد ظهر شيب رأسه وتولى شبابه معتداً بقوته وفروسيته؛ يقول: [١]

قُلْتُ : مَهْلاً فَقَدْ عَلِمْتِ إبَائِي مِنْكِ هَذَا وَقَدْ عَلِمْتِ جَوَابي
لَيْسَ نَاهِيَّ عَنْ طِلاَبِ الغَوَانِي وَخَطُّ شَيْبٍ بَدَا وَدَرْسُ خِضَابِ
وَرُكُوبٌ إذا الجَبَانُ تَطَوّى فَرَقاً عِنْدَ عِرْسِهِ فِي الثِّيَابِ
أَحْمِلُ السَّيْفَ فَوقَ أَقْرَحَ وَرْدٍ ذي حُجُولٍ كَأَنَّهُ سِيّدُ غَابِ

فظهور الشيب ليس نهاية المطاف حسب رأيه، وهو لا يمنع الرجل من طلب النساء الجميلات ، كما لا يمنعه من ركوب الخيل والاشتراك في القتال.

ومن الأمثلة على العلاقات السلبية بين الزوجين في الأسرة الأموية عدم احترام أم البنين بنت عبد العزيز مشاعر زوجها الوليد بن عبد الملك حين أقدمت على عشق الشاعر وضّاح اليمن والتقائه سراً من وراء زوجها لينتهي الأمر بمقتله على يد الوليد؛ قال الأصفهاني[٢]: ((... قال : عشقت أم البنين وَضّاحاً ، فكانت ترسل إليه فيدخل إليها ويقيم عندها ؛ فإذا خافت وارته في صندوق عندها وأقفلت عليه ...)).

ولعل قتل أم خالد بن يزيد بن معاوية زوجها مروان بن الحكم يعد أسوأ مثال على العلاقات السلبية بين الزوجين في الأسرة الأموية؛ روى الأصفهاني[٣]: ((أن مروان بن الحكم تزوّج أم خالد بن يزيد بن معاوية ، فناظر خالداً يوماً وأراد أن يضع منه في شيء جرى بينهما ، فقال له : يا ابن الرَّطبة، فقال له خالد : إنك لأُمِّي مختبر، وأنت بهذا أعلم. ثم أتى أُمَّه فأخبرها ، وقال أنتِ صنعتِ بي هذا ، فقالت له : دَعّه فإنه لا يقولها لك بعد اليوم . فدخل مروان عليها فقال لها : هل أخبرك خالدُ بشيء ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين

---

(١) العرجي : الديوان، ص ١٧٩-١٨٠.

(٢) الأصفهاني : الأغاني، ج٦ ، ص ٤٤١ – ٤٤٢. وانظر كذلك: البلاذري: أنساب، ج٨، ص٣٢٧٧-٣٢٧٨. وابن قيم الجوزية: أخبار النساء، ص ٧٧-٧٨.

(٣) الأصفهاني: نفسه : ج١٧ ، ص ٢٢١ . وانظر كذلك : البلاذري : نفسه ، ج٥، ص٣٨٩. وابن طيفور : بلاغات النساء ، ص ٢٢٩-٢٣٠. وأبي حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٢٦٢ .واليعقوبي: تاريخ،م٢ ، ص ٢٥٧ . والطبري : تاريخ الأمم ، ج٧ ، ص ٨٣-٨٤ . وابن عبد ربه : العقد ، ج٥ ، ص ١٣٨ . والمسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٩٧ –٩٨. وابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص ١٣-١٤ . وأبي الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج١ ، ص ٢٤١ . وابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨ ، ص ٦٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خالد أشدُّ تعظيماً لك من أن يذكر لي خبراً جرى بينك وبينه . فلما أمسى وضعت مِرْفَقَةً على وجهه، وقعدت عليها هي وجواريها حتى مات، وأراد عبد الملك قتلها ، وبلغها ذلك، فقالت : أما إنه أشدُّ عليك أن يعلم الناس أن أباك قتلته امرأة ، فكف عنها)).

٢- تعدد الزوجات وأثره:

توحي بعض أخبار الأسرة الأموية أن التعدد كان له أثره السلبي في الأبناء؛ فقد حدثت بعض المشاحنات بين أبناء الخلفاء بسبب تعدد أمهاتهم، ومن أمثلة ذلك ما رواه المدائني بقوله [١]: ((... بينا بنو عبد الملك عنده إذ مد الوليد رجله في حجر أخيه عبد الله ابن عبد الملك ، فنبذها وقال: اقبض رجلك، فقال الوليد : يا أمير المؤمنين الا ترى إلى ابن البربرية ؟ فقال عبد الله: أجل والله، إني لابن البربرية، وأنها لابنة أملاك كرام، وليست كأمك ابنة الأعرابي الجلف البائل على عقبيه...)).

ولعل تعدد الزوجات يقود إلى الحديث عن علاقة الضرائر في الأسرة الأموية؛ إذ لم تختلف عن العلاقة المعروفة بين الضرائر منذ القدم، وهي تتمثل في الغيرة، والفخر على الضرة، ومحاولة الحصول على الحظوة عند الزوج ودفعه لتطليقها، ومن الأمثلة على ذلك شتم فاخته بنت قرظة زوجة معاوية ضرتها أُم يزيد على مسمع من معاوية؛ مشهرةً بعيب خلقي فيها لتنفره منها؛ قال ابن الأثير[٢]: ((نظر معاوية ومعه امرأته ابنة قرظة إلى يزيد وأمه ترجله فلما فرغت منه قبلته بين عينيه فقالت ابنة قرظة : لعن الله سواد ساقي أمك ...)).

وربما تكشف الأبيات التالية التي وجهها يزيد بن معاوية إلى زوجته أم خالد عن مدى الحزن والاضطراب النفسي الذي كانت زوجة الخليفة تُصاب به عند زواجه عليها؛ يقول: [٣]

مَالَكِ أُمَّ هَاشِمٍ تَبْكين مِنْ قَدَرٍ حَلَّ بكُمْ تَضُجّيْنْ
بَاعَتْ على بَيْعِكِ أُمُّ مِسْكينْ مَيْمُونَةً مِنْ نِسْوَةٍ مَيامِينْ

---

(١) البلاذري : أنساب ، ج٧ ، ص ٢٩٧١ . وانظر مثالاً آخر: الخلاف الذي حصل بين محمد وهشام ابنا عبد الملك بسبب اختلاف أمهاتهم : ج٧، ص ٣١٠٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل ، ج٣ ، ص ٤٦٥ . وانظر كذلك : ابن كثير:البداية والنهاية ،ج٨ ،ص٦٢٥-٦٢٦.

(٣) يزيد بن معاوية : الديوان، ص ٦٩. وانظر كذلك :الزبيري: نسب قريش،ص ١٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زارتكِ مِنْ يَثْربَ في حَواريين في مَنْزلٍ كُنْتِ بِهِ تكونَينْ

ومن الأمثلة على علاقة الضرائر في الأسرة الأموية تفاخر نساء الوليد بن عبد الملك بعضهن على بعض خلال جلوسهن على مائدته، ولعل اجتماعهن على مائدته يكشف عن محاولته العدل بينهن؛ قال ابن عبد ربه[١] : ((... كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل: لبابة بنت عبد الله بن عباس، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية، وزينب بنت سعيد بن العاص، وأم جحش بنت عبد الرحمن بن الحرث؛ فكن يجتمعن على مائدته ويفترقن فيفخرن، فاجتمعن يوماً، فقالت لبابة: أما واللهِ إنك لتسوني بِهنّ وإنك تعرف فضلي عليهن!، وقالت بنت سعيد: ما كنت أرى أن للفخر عليَّ مجازاً وأنا ابنة ذي العمامة إذ لا عمامة غيرها! وقالت بنت عبد الرحمن بن الحرث : ما أُحبُّ بأبي بدلاً ولو شئتُ لقلت فَصَدَقْتُ وصدِّقْتُ ! وكانت بنت يزيد بن معاوية جاريةً حديثة السن، فلم تتكلم ، فتكلم عنها الوليد فقال : نطق من احتاج لنفسه ، وسكت من اكتفى بغيره؛ أما والله لو شاءت لقالت: أنا ابنة قادتكم في الجاهلية ، وخلفائكم في الإسلام ...)).

ونجحت ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر في إرغام زوجها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك على تطليق ضرتها أم حكيم بعد أن تمكنت من قلبه، وحصلت على محبته؛ قال أبو الفرج الأصفهاني[٢]: ((... فلم تزل أم حكيم عند عبد العزيز مدة، ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر فملكته وأحبها، وذهبت بقلبه كل مذهب، فلم ترض منه إلا بطلاق أم حكيم فطلقها ...)).

٣- التسري وأثره في الحياة الزوجية عند بني أمية:

ويقود الحديث عن علاقة الضرائر في الأسرة الأموية إلى الحديث عن الجواري وأثرهن في الحياة الزوجية فيها، إذ ساهم شيوع ظاهرة التسري، وحرية امتلاك الجواري في التأثير في العلاقة الزوجية بين الخلفاء وزوجاتهم من خلال إثارة غيرة الزوجة على زوجها بسبب علاقته بالجواري، ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن قيم الجوزية عن معاوية وزوجته؛ فقال [٣]: ((... كان الأحنف بن قيس يوماً جالساً مع معاوية إذ مرت بهما وصيفة

(١) ابن عبد ربه : العقد ، ج٧ ، ص ٩٨ . وطبائع النساء : ص ٤٥.
(٢) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١٦ ، ص ٤٥١ - ٤٥٢.
(٣) ابن قيم الجوزية : اخبار النساء ، ص ٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فدخلت بيتاً من البيوت فقال معاوية: يا أبا بحر أنا واللهِ أحب هذه الجارية وقد أمكنتني منها لولا الحياء من مكانك فقال الأحنف. فأنا أقوم . قال: بل تجلس لئلا تستريب بنا فاطمة فقال الأحنف : شأنك. فقال الأحنف : فقام معاوية إليها فبينا هو يماجنها إذ خرجت بنت قريظة. فقالت للأحنف : يا قواد ، أين الفاسق؟ فأومأ الأحنف إلى البيت الذي هو فيه فأخرجته ولحيته في يدها. فقال الأحنف : ارفقي بأسيرك رحمك الله ! فقالت: يا قواد وتتكلم أيضاً ! فقال معاوية : يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام...)).

وربما يحمل هذا الخبر في طياته بعض المغالطات التي تحتاج إلى توضيح منها أن معاوية لم يكن ضعيف الشخصية لدرجة تتيح لزوجته أن تشتمه وتهينه بهذه الطريقة السافرة ، كما أن الأحنف بن قيس كان يتمتع بمكانة رفيعة في قومه وعصره ولا يعقل ان يقبل هذه الإهانة حتى لو كانت من زوجة الخليفة، إضافة إلى أن الأخباريين القدماء مثل البلاذري [١]، وابن عبد ربه [٢]ذكرا أن العبارة الأخيرة التي أوردها ابن قيم جاءت أثناء حديث بين معاوية وعمرو بن العاص.

ومثّلت الجارية عند يزيد بن معاوية بديلاً مثالياً عن زوجته أم خالد؛ قال المدائني[٣]: ((... دعا يزيد بأمّ خالد لينال منها فأبطأت عليه وعرضت له جارية سوداء من جواريه فوقع عليها، فلما جاءت أم خالد أنشأ يقول:

اسْلَمي أُمَ خَالِدِ رُبَّ ساعٍ لِقاعِدِ
إنَّ تِلْكَ التي تَرَيْنَ سَبَتْني بِوارِدِ))

وبلغ تأثير الجواري في الأسرة الأموية درجة جعلت بعض زوجات الخلفاء يتقربن بهن إلى أزواجهن للحصول على الحظوة عندهم. [٤]

---

(١) البلاذري : أنساب ، ج٥،ص٤١.

(٢) ابن عبد ربه : العقد، ج٧ ، ص ١٠٠ ، وطبائع النساء : ص ٤٩.

(٣) البلاذري : نفسه ، ج٥،ص٣٠٠ .

(٤) انظر امثلة: ص ١٤١-١٤٢ من هذا الفصل . وانظر قصة يزيد بن عبد الملك مع سلامة وحبابة وتأثيرهما الواسع عليه : البلاذري: نفسه، ج٨ ، ص ٣٤٤٢-٣٤٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- الطلاق وأسبابه:

مثّل الطلاق بما تثيره هذه الكلمة من انطباعات توحي بوصول الحياة الزوجية بين الزوجين إلى أسوأ مستوياتها، أول الجوانب السلبية في الحياة الزوجية عند بني أمية؛ إلا أن ما نقلته المصادر التاريخية والأدبية المتاحة من أخبار طلاق أبناء الأسرة الأموية زوجاتهم تُظهر أنه كان تعسفياً مزاجياً في كثير من الأحيان ، فمعاوية طلّق زوجته نائلة بنت عماره الكلبية لا لشيء إلا لوجود علامة مميزة تحت سرّتها؛ قال الطبري[١] : ((... لما تزوج معاوية نائلة قال لميسون " بنت بحدل بن أنيف ... الكلبي " انطلقي فانظري إلى ابنة عمك ، فنظرت إليها فقال: كيف رأيتها ؟ فقالت : جميلة كاملة ، ولكن رأيت تحت سُرّتها خالاً لَيوُضعن رأس زوجها في حجرها فطلّقها معاوية)).

وربما تكون الأخبار الموحية بتطليق خلفاء وأمراء بني أمية زوجاتهم تعسفياً متأثرة بالهوى الشخصي ، والرغبة في تشويه صورتهم، إذ وردت بعض الأخبار التي تؤكد وجود أسباب جوهرية لبعض حالات الطلاق في الأسرة الأموية ومن أمثلتها عدم إقدام معاوية على تطليق ميسون بنت بحدل الكلبية إلا بعد أن أساءت له شعراً، وصرّحت بنفورها من الحياة معه، وحنينها إلى الزواج من أبناء عمومتها في البادية ، فجاء الطلاق زهداً فيها وتلبية لرغبتها؛ قال أبو الفدا[٢] : ((... وكانت أمه ميسون بنت بحدل الكلبية ، أقام يزيد معها بين أهلها في البادية وتعلم الفصاحة ونظم الشعر هناك في بادية بني كلب ، وكان سبب إرساله مع أمه هناك أن معاوية سمع ميسون بنت بحدل تنشد هذه الأبيات:

لَلُبْسُ عَباءةً وتَقَرُ عَيْني أَحَبُّ إِليَّ مِنْ لُبْسِ الشَفُوفِ
وَبَيْتٌ تَخْفُقُ الأَرْيَاحُ فيه أَحَبُّ إِليَّ مِنْ قَصْرٍ مُنِيْفِ
وَبكْرٌ تَتْبَعُ الأَظْعَانَ صَعْبٌ أَحَبُّ إِليَّ مِنْ بَغْلٍ زفوفِ
وَكَلْبٌ يَنْبحُ الأَضْيافَ دوني أَحَبُّ إِليَّ مِنْ هِرٍ أَلُوفِ
وَخِرْقٌ مِنْ بني عَمّي فَقِيْرٌ أَحَبُّ إِليَّ مِنْ عِلجٍ عَنِيْفِ

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ، ج٦ ، ص ١٨٣ . وانظر كذلك : الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١٥ ، ص ٢٩٥ . وابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص ٣٧٢ . وابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨ ، ص ٥٤٠.

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر : ج١ ، ص ٢٣٨-٢٣٩ . وانظر كذلك البصري : الحماسة البصرية ، ج٢ ، ص ٧٢-٧٣ . والبغدادي : خزانة الأدب، ج٨ ، ص ٥٠٣ – ٥٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال لها معاوية : ما رضيت يا ابنة بحدلٍ حتى جعلتني عِلجاً عنيفاً الحقي بأهلك؛ فمضت إلى بادية بني كلب ويزيد معها ...)).

وذكر البلاذري أن يزيد بن معاوية طلّق زوجته أم مسكين بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، لكنه لم يذكر سبب هذا الطلاق [١].

وَنَقَل أبياتاً عن خالد بن يزيد بن معاوية يصرّح فيها بعدم ندمه على طلاق زوجته آمنة بنت سعيد بن العاص، وتهديده زوجته الثانية به إذا لم تصلح من معاملتها له، مما يؤكد أن الطلاق في الأسرة الأموية لم يكن دائماً مزاجياً تعسفياً؛ إذ يقول : [٢]

وَلَّيْتُ آمِنَةَ الطَلاقَ كَرِيْمَةً عِنْدي وَلَمْ يَكْبُرْ عَلَيَّ طَلاقُها
وَلأَقْطَعَنَّ حِبَالَ أُخْرى بَعْدَها يَوْماً إذا لَمْ تَسْتَقِمْ أَخْلاقُها

وكان الطلاق في الأسرة الأموية يحصل أحياناً لعيوب خَلْقية؛ ومن أمثلة هذا النوع من الطلاق تطليق عبد الملك بن مروان زوجته عائشة بنت هشام بن اسماعيل لقصورها العقلي؛ قال الطبري: [٣] ((... ولد هشام بن عبد الملك عام قتل مصعب بن الزبير سنة ٧٢ وأمه عائشة بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانت حمقاء أمرها أهلها أن لا تكلم عبد الملك حتى تلد، وكانت تثني الوسائد وتركب الوسادة وتزجرها كأنها دابة ، وتشتري الكندر فتمضغه وتعمل منه تماثيل، وتضع التماثيل على الوسائد وقد سمّت كل تمثال باسم جارية وتنادى يا فلانة ويا فلانة فطلقها عبد الملك لحمقها ...)).

وطلّق زياد بن أبيه زوجته لأنها لثغاء [٤]: ((... وقال ابن الأعرابي: طلّق زيادٌ امرأته حين وجدها لثغاء، وقال : أخاف أن يجيء ولدي ألثغ وقال :
لَثْغَاءُ تَأْتي بِحَيْفَسٍ أَلْثَغِ تَمِيْسُ في المَوْشيّ والمُصَبَّغِ))

---

(١) البلاذري : أنساب ، ج٥،ص٣٠٣.
(٢) المصدر نفسه : ج٥،ص٣٩١.
(٣) الطبري : تاريخ الأمم ، ج٨ ، ص ١٨٠ . وانظر كذلك : ابن عبد ربه: العقد ، ج٥ ، ص ١٨٠ . وابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص ٣٧٠ .
(٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، م٢ ، ج١٠ ، ص ٧ . والحَيْفَس : القصير السمين وقيل الذميم الخلقة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووقع الطلاق في الأسرة الأموية باشتراط وطلب من الزوجة المقربة للزوج؛ ومن أمثلة ذلك ما رواه الأصفهاني بقوله [١]: ((... فلم تزل أم حكيم عند عبد العزيز[٢] مدة ، ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، فملكته وأحبها ، وذهبت بقلبه كل مذهب ، فلم ترض منه إلا بطلاق أم حكيم، فطلقها...)).

وحصل الطلاق أيضاً خضوعاً لرغبة الزوجات، إذا طلق هشام بن عبد الملك ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر التي تزوجها بعد عبد العزيز إرضاءاً لام حكيم التي تزوجها أيضاً بعد موت عبد العزيز؛ قال الأصفهاني[٣] : ((... فلم ترضَ منه إلا بطلاق أم حكيم، فطلقها، فتزوجها هشام بن عبد الملك ، ثم مات عبد العزيز فتزوج هشام ميمونة أيضاً، وكان شديد المحبة لأم حكيم، فطلق لها ميمونة اقتصاصاً لها منها فيما فعلته بها في إجتماعهما عند عبد العزيز، وقال لها: هل أرضينك منها ؟ فقالت : نعم ، فولدت أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام ..)).

وطُلّقت الزوجة في الأسرة الأموية لخروجها عن المألوف ، وتشبهها بالرجال في زيهم؛ ومن أمثلة هذا النوع من الطلاق ما رواه عبد الملك بن حبيب بقوله[٤]: ((دخل عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز على امرأته وعليها جُمَّة وهي متوشحة؛ فلما رآها قال لها : أنت طالقٌ ثلاثاً)).

وحدث الطلاق أيضاً في الأسرة الأموية بسبب عشق الزوج شقيقة زوجته؛ وربما تقتصر هذه الحالة على الوليد بن يزيد؛ قال البلاذري[٥] : ((... وكان شاعراً وكانت عنده ابنة سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان، فزارتها أختها سلمى بنت سعيد، وكانت من أحسن الناس وجهاً فبُصر بها الوليد فأعجبته وذلك قبل الخلافة فطلّق أختها ...)).

---

(١) الأصفهاني : الأغاني ، ج١٦ ، ص ٤٥١ – ٤٥٢.

(٢) هو عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان.

(٣) الأصفهاني : نفسه ، ج١٦ ، ص ٤٥١–٤٥٢.

(٤) عبد الملك بن حبيب: أدب النساء، عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ص ٢٠٦.

(٥) البلاذري : أنساب، ج٩ ، ص ٣٧٧ . وانظر كذلك : ابن عبد ربه : العقد ، ج٥ ، ص ١٨٥–١٨٦ . والأصفهاني : نفسه ج٧ ، ص ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووقعت بعض حالات الطلاق التعسفي على الزوجة في الأسرة الأموية، إذ طلق عبد الملك بن مروان زوجته لأنها عبّرت عن نفورها من عيبه الخَلْقي، واستخدمت حقها الانساني في كرهها تناول الطعام بعده مباشرة؛ وقد ذكر ابن قتيبة هذا الخبر فقال[١]: ((كان يقالُ لعبد الملك بن مروان : أبو الذِّبَّان لشدة بَخَره - يريدون أن الذباب يسقط إذا قارب فاه من شدة رائحته - قال : ونبذ إلى امرأة له تُفَّاحةً قد عضها ، فأخذت سكيناً ؛ فقال لها: ما تصنعين؟ قالت : أميط الأذى عنها ، فطلّقها)).

وذُكر أن الوليد بن عبد الملك كان يطّلق عدة من زوجاته ويتزوج غيرهن حتى إن مكوث الزوجة عنده أربعة أشهر كانت تُعد فترة طويلة؛ قال المدائني[٢] : ((كان الوليد تزوج في خلافته ثلاثاً وستين امرأة ، فكان يطلق الثلاث والاثنتين والواحدة ، فقالت عاتكة بنت عبد الله بن مطيع لما تزوجها : إنا اشترطنا على الحمالين الرجعة فما رأيك ؟ قال: أقيمي. فصبر عليها أربعة أشهر ثم طلّقها ...)).

وإذا سلمّنا بصحة هذا الخبر فإن عوامل عدة ربما تكون قد يسّرت للوليد التزوج بهذا العدد الكبير من النساء منها: شيوع تعدد الزوجات في العصر الأموي، وتمتع الخليفة بالنفوذ المادي والسياسي، ورغبة بعض أبناء المجتمع الأموي تزويج الخلفاء طمعاً في الحصول على المال والحظوة عندهم.

ومن حالات الطلاق التعسفي التي حصلت في الأسرة الأموية تطليق مسلمة بن هشام بن عبد الملك زوجته أم سلمة بنت يعقوب المخزومية، لأنها اشتكت إلى العباس ابن الوليد إسرافه في الشراب، وعدم إكتراثه بموت أبيه وبالمصائب التي أصابت إخوته بعد موت هشام ، وتولي الوليد بن يزيد مقاليد الحكم؛ قال الأصفهاني[٣] : ((... لمّا قدم العباس بن الوليد لإحصاء ما في خزائن هشام وولده سوى مسلمة بن هشام فإنه كان كثيراً ما يكفّ أباه عن الوليد، ويكلمه فيه ألاّ يعرض له، ولا يدخل منزله . وكانت عند مسلمة أم سَلمة بنت يعقوب المخزومية، وكان مسلمة يشرب. فلما قدم العباس لاحصاء ما كتب

---

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار ، م٢ ، ج١٠ ، ص ٦١ . وانظر كذلك : اليافعي : مرآة الجنان ، ج١ ، ص ٢٧٢ ، وابن كثير: البداية والنهاية ، ج٩ ، ص ٣٧٣.

(٢) البلاذري : أنساب ، ج٨، ص ٣٢٥٤ . وانظر كذلك : ابن طيفور : بلاغات النساء ، ص ٢٤١ . وابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ج١ ، ص ١٥٨.

(٣) الأغاني : الأصفهاني ، ج٧ ، ص ٢٠ . وانظر كذلك : البلاذري : نفسه ، ج٩ ، ص ٣٧٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليه الوليد كتبت إليه أم سلمة : ما يُفيق من الشراب ولا يهتم بشيء مما فيه إخوته ولا بموت أبيه. فلما راح مسلمة بن هشام إلى العباس قال له : يا مسلمة ، كان أبوك يرشحك للخلافة ونحن نرجوك لما بلغني عنك ، وأنَّبه وعاتبه على الشراب ؛ فأنكر مسلمة ذلك وقال : من أخبرك بهذا ؟ قال: كتبت إليَّ به أمّ سلمة؛ فطلّقها في ذلك المجلس، فخرجت إلى فلسطين...)).

ومما يلفت الانتباه أن المصادر الأدبية والتاريخية المتوفرة التي أوردت أخبار حالات الطلاق في الأسرة الأموية لم تتحدث عن أثره في العلاقات الأسرية عند بني أمية، فلم تتحدث عن أثره في الأبناء بما يعنيه الطلاق من حرمانهم من أحد الأبوين؛ ولم تهتم بأثره في المرأة بما يعنيه من آثار نفسية سيئة تصاب بها نتيجة له.

ويبدو أن عاتكة بنت عبد الله بن مطيع كانت مهيئة نفسياً للطلاق منذ بداية زواجها من الوليد بن عبد الملك ، بل ظهرت غير مكترثة به لقولها[١] : ((... إنّا اشترطنا على الحمالين الرجعة فما رأيك ...)) ؛ مما يوحي بتلقي زوجات أبناء الأسرة الأموية للطلاق على أنه أمر واقع.

ولكن هذا لا يعني عدم محاولة بعض مطلقات أبناء الأسرة الأموية الانتقام لكرامتهن منهم ؛ إذ تعمدت أم مسكين بنت عمر بن عاصم بن عمر بن الخطاب الزواج من عبيد الله بن زياد مغايظةً ليزيد بن معاوية؛ قال البلاذري[٢] : ((... طلّق يزيد أمّ مسكين فتزوجها عبيد الله بن زياد، وإنما رضيت به مغايظة ليزيد ، فقتل عنها ابن زياد ، فخطبها محمد بن المنذر بن الزبير، فتزوجته ثم نافرته وقالت : إني واللهِ ما تزوجتك رغبة فيك ولكنني أردت أن أغسل سوءة كنت وقعت فيها ...)).

فقد تزوجت عبيد الله بن زياد لترد ليزيد إهانته لها بتطليقها؛ بدليل أنها تزوجت بعد عبيد الله قرشيٌّ حتى تزيل عن اسمها وصمة زواجها منه.

---

(١) البلاذري : أنساب ، ج٨، ص ١٨٥ . وانظر كذلك ، ابن طيفور : بلاغات النساء ، ص ٢٤١، وابن حزم: جمهرة أنساب العرب ، ج١ ، ص ١٥٨.

(٢) البلاذري: نفسه، ج٥،ص٣٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونكاية بالوليد بن يزيد تزوجت مطلقته سعدة بنت سعيد بشر بن الوليد بن عبد الملك [١]؛ وكان عدو الوليد اللدود. [٢]

واللافت أيضاً أن أبناء الأسرة الأموية استعانوا أحياناً بالرعية لمساعدتهم على حل خلافاتهم الزوجية ، وكانوا يستعينون بالمقربين والظرفاء ، من مثل تدخل عمرو بن بلال للإصلاح بين عبد الملك بن مروان وزوجته عاتكة مشترطاً على عبد الملك أن يعطيه ما يطلبه إن نجح في إقناعها بالرضا عنه؛ قال المسعودي[٣] : ((... كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية - وأمها أُمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر - تحت عبد الملك بن مروان ، فغضبت عليه فطلب رضاها بكل شيء ، فأبت عليه وكانت أحَبَّ الناس إليه، فشكا ذلك إلى خاصته فقال له عمر بن بلال رجل من بني أسد كان قد تزوج بنت زنباع الجذامي : مالي عليك إن أرضيتها ؟ قال: حكمك! فخرج وجلس ببابها يبكي فقالت له خاصتها : مالك تبكي أبا حفص ؟ قال: فزعت إلى ابنة عمي فاستأذنوا لي عليها فأذنت له وبينهما ستر فقال : قد عرفت حالي مع أمراء المؤمنين معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك ، ولم يكن لي غير ابنين فعدا أحدهما على الآخر فقتله ؛ فقال أمير المؤمنين : أنا قاتل المعتدي، قلت له: أنا وليُّ الدم وقد عفوت ، فأبى عليَّ وقال: ما أُحب أن أُعوِّد رعيتي هذا وهو قاتله بالغداة فانشدك الله إلا ما طلبته منه ، فقالت : لا أكلمه، قال: ما أظنك تكسبين شيئاً هو أفضل من إحياء نفس ، ولم يزل بها خواصها وحاشيتها حتى قالت : عليَّ بثيابي، فلبست وكان بينها وبين عبد الملك باباً، وكانت قد ردمته ، فأمرت بفتحه، ثم دخلت فأقبل يشتد فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه عاتكة ، قال : ويلك !! ورأيتها ؟ قال: نعم ، إذ طلعت وعبد الملك على سريره فسلّمت فسكت، فقال : أما واللهِ لولا مكان عمرو بن بلال ما أتيتك ، آللّه أن عدا أحد ابنيه على الآخر فقتله وهو ولي الدم وقد عفا عنه أعزمت لتقتلنه ؟! قال: أي واللهِ وهو راغم ، فأخذت بيده فأعرض عنها ، فأخذت برجله فقبلتها، فقال: هو لكِ ، وتراضيا بعد أن نكحها ثلاثاً وراح عبد الملك فجلس مجلسه للخاصة، فدخل عمرو بن بلال فقال له : يا أبا حفص ألطف الحيلة في القيادة ولك الحكم، فقال: يا أمير المؤمنين ؛

---

(١) ابن عبدربه: العقد ، ج٥ ، ص ١٨٥ .

(٢) انظر في ذلك : حسين عطوان : الوليد بن يزيد ، ص ٧٢.

(٣) المسعودي :مروج الذهب،ج٣ ،ص ١٢٥-١٢٦. وانظر كذلك:الأصفهاني: الأغاني، ج٢، ص٥٨٩-٥٩٠. وابن قيم الجوزية : أخبار النساء ، ص ٩٣، والبغدادي : خزانة الأدب ، ج٢ ، ص ٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألف دينار ومزرعة بما فيها من الآلات والرقيق، قال: هي لك ، قال : وفرائض لولـــدي وأهل بيتي، قال: وذلك كله . وبلغ عاتكة الخبر فقالت : ويلـــي علـــى القّـــواد إنمـــا خدعنـــي)).

وربما يكشف هذا الخبر عن بعض الملامح المتصلة بالحياة الزوجية عند الأسرة الأموية منها أن الخليفة لم يكن يتحرج من شكاية زوجته أمام خاصته، ومنها أيضاً أن الزوجة في العائلة الحاكمة كانت تملك القدرة على حجب زوجها عن الدخول إليها مما يعني أنها كانت تتمتع بقوة الشخصية في مقابل زوجها؛ ومنها أن الرعية كانوا يستغلون رغبة الخلفاء في استرضاء زوجاتهم ليحصلوا على مكاسب مالية وشخصية ؛ ومما يؤكد ذلك استغلال أشعب الظريف لرغبة الوليد بن يزيد في استرضاء مطلقته سعدة بنت سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان على أن يدفع له مبلغاً ضخماً؛ قال أبو الفرج لأصفهاني[١]: ((... بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعد ما طلّق امرأته، فقال : يا أشعب ، لك عند عشرة آلاف على أن تبلغ رسالتي سعدة؛ فقال: أحضر العشرة آلاف درهم حتى أنظر إليها ؛ فأحضرها الوليد ؛ فوضعها أشعب على عنقه وقال : هاتِ رسالتك ؛ قال: قل لها يقول لكِ أمير المؤمنين :

أَسَعْدَةُ هل إليك لنا سَبِيْلٌ وَهَلْ حَتّى القِيامَةِ مِنْ تَلاَقي
بَلىَ ولَعلّ دَهْراً أَنْ يُؤاتي بِمَوْتٍ مِنْ حَلِيْلُكِ أَوْ طَلاَقِ
فَأُصْبِحُ شَامِتاً وَتَقرَّ عَيْني وَيُجْمِعَ شَمْلُنا بَعْدَ افْتِراقِ

فأتى أشعبُ البابَ فأُخبرت بمكانه، فأمرت بفُرش لها ففرشت وجلست وأذنت له. فلما دخل أنشدها ما أمره؛ فقالت لخدمها: خذوا الفاسق ! فقال: يا سيدتي إنها بعشرة آلاف درهم. قالت: واللهِ لاقتلنك أو تبلِّغه كما بلّغتني ؛ قال: وما تهبين لي؟ قالت : بساطي الذي تحتي ؛ قال : قومي عنه ، فقامت فطواه وجعله إلى جانبه، ثم قال: هاتِ رسالتك جُعلتُ فداكِ ؛ قالت قل له:

أَتَبْكي على لُبْنَى وَأَنْتَ تَرَكْتَها فَقَدْ ذَهَبَتْ لُبْنى فَمَا أَنتَ صَانِعُ

(١) الأصفهاني : الأغاني ، ج٧ ، ٢١-٢٢ . وانظر كذلك : ابن عبد ربه: العقد ،ج٥ ، ص ١٨٥ -١٨٦ . وطبائع النساء ، ص ١٧٢-١٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأقبل أشعب فدخل على الوليد؛ فقال : هيه، فأنشده البيت ؛ فقال : أوَّه قتلتني يا ابن الزانية ! ما أنا صانع ؟! ...)) .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى درجة أن يسأل الخليفة أحد خاصته عن رأيه في جمال زوجته ؛ قال ابن عبد ربه[١] : ((... كان روح بن زنباع أثيراً عند عبد الملك ، فقال له يوماً : أرأيت امرأتي العبشمية ؟ قال : نعم . قال : بماذا شبهتها ؟ قال : كمشجب بالٍ قد أُسيء صنعه . قال : صدقت ، وما وضعت يدي عليها قط إلا كأني وضعتها على الشكاعي. وأنا أحبُ أن تقول ذلك إلى ابنيها: الوليد وسليمان ! فقام اليه فزعاً فقبل يده ورجله وقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين ، ألا تعرضني لهما ...)).

(١) ابن عبد ربه : طبائع النساء ، ص ١٥٢ –١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

صلة القربى في الأسرة الأموية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأبوة والبنوة في الأسرة الأموية

١- علاقة الآباء بالأبناء الذكور في الأسرة الأموية

أ- تسمية الأبناء

لعل أول مراحل علاقة الآباء بالأبناء في الأسرة الأموية كانت تبدأ باختيار أسمائهم، إذ تكشف المصادر الأدبية والتاريخية المتاحة من خلال إيرادها جريدة أسماء أبناء الخلفاء والأمراء الأمويين؛ أنهم كانوا يسمّون أبناءهم بأسماء آبائهم في محاولة لاستمرار هذه الأسماء في الأسرة ، وعدم اندثارها بموت حامليها؛ وهي عادة ما زالت مستمرة؛ إذ من الشائع أن يسمى الابن الأكبر أول ابن له باسم أبيه، فيزيد بن معاوية أطلق على ابنه الأكبر اسم معاوية(١)؛ وسمّى محمد بن مروان أحد أبنائه باسم مروان (٢)؛ وعبد الملك أطلق على اثنين من أولاده اسم والده وهما مروان الأكبر ومروان الأصغر (٣)؛ وعمر بن عبد العزيز اختار لأحد أبنائه اسم والده(٤)؛ وهشام بن عبد الملك سمّى ولداً من أولاده باسم والده (٥) ؛ وأطلق الوليد بن يزيد اسم والده على أحد أبنائه(٦)؛ وسمّى يزيد بن الوليد بن عبد الملك أحد أولاده باسم أبيه (٧) .

وأطلق أبناء الأسرة الأموية أسماء آباء زوجاتهم على أولادهم إما استرضاءً، أو مجاملة، أو مكافأة لهن، فمروان بن الحكم أطلق على أحد أبنائه اسم بشر وأمه قطية بنت

---

(١) الزبيري : نسب قريش ، ص ١٢٨. والبلاذري : أنساب ، ج٥ ، ص ٣٧٧.
(٢) الزبيري : نفسه ، ص ١٦٩. والبلاذري : نفسه ، ج٦ ، ص ٣٣٨.
(٣) البلاذري : نفسه ، ج٧، ص ١٩٥. وذكر الزبيري في نسب قريش : ص ١٦٢ ولداً واحداً لعبد الملك اسمه مروان.
(٤) البلاذري : نفسه ، ج٨، ص ٢١٩.
(٥) المصدر نفسه: ج٨، ص ٣٦٨.
(٦) الزبيري : نفسه ، ص ١٦٧. والبلاذري : نفسه ، ج٩، ص ١٢٩.
(٧) البلاذري: نفسه ، ج٩، ص ١٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بشر بن عامر[١]؛ وسمّى محمد بن مروان ابنه يزيد وأمه أم يزيد بنت يزيد بن عبيد الله بن شيبة بن ربيعة بن عبد شمس [٢]؛ وسمّى عبد الملك ابنه يزيد وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية [٣]؛ والوليد بن عبد الملك اختار لابنه من زوجته أم البنين بنت عبد العزيز اسم عبد العزيز[٤]؛ وسمّى سليمان بن عبد الملك ابنه عبد الله على اسم والد زوجته عائشة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان[٥] .

وسمّى بعض خلفاء وأمراء الأسرة الأموية أولادهم باسم أشقائهم ؛ فقد سمّى معاوية بن مروان اثنين من أولاده باسم أعمامهما هما عبد الملك ، وبشر[٦]، وسمى محمد ابن مروان ابنه عبد العزيز باسم شقيقه عبد العزيز بن مروان [٧]، وأطلق يزيد بن عبد الملك على ابنه اسم شقيقه الوليد بن عبد الملك [٨] ؛ وسمّى هشام بن عبد الملك أولاده مسلمة والوليد وسليمان باسم أشقائه. [٩]

وأطلق خلفاء بني أمية وأمراؤهم على أولادهم أسماء الأنبياء والخلفاء الراشدين تيمناً؛ ومن الأمثلة على ذلك تسمية يزيد بن معاوية بعض أولاده؛ محمداً، وأبا بكر، وعثمان [١٠]؛ وتسمية مروان بن الحكم بعض أولاده باسم محمد ،وداود، وأيوب وعثمان[١١]؛ وتسمية عبد الملك بعض أولاده باسم: محمد ، وداود، وسليمان، وأبا بكر[١٢]؛ وتسمية سليمان بن عبد الملك بعض أولاده محمداً ، وأيوب، ويحيى ، وداود ، وعمر[١٣]وتسمية عمر بن عبد العزيز بعض أولاده، اسحق، ويعقوب، وإبراهيم.

---

(١) الزبيري: نسب قريش ، ص ١٦٠. والبلاذري : أنساب، ج٦ ، ص ٣٠٨.
(٢) الزبيري : نفسه ، ص ١٦٩. والبلاذري : نفسه ، ج٦، ص ٣٣٨.
(٣) الزبيري: نفسه، ص ١٦٣. والبلاذري : نفسه، ج٧، ص ١٩٥.
(٤) الزبيري : نفسه ، ص ١٦٥. والبلاذري : نفسه ، ص ٦٦.
(٥) البلاذري: نفسه، ج٨، ص ١٠٠.
(٦) المصدر نفسه : ج٦، ص ٣٠٩.
(٧) الزبيري : نفسه : ص ١٦٩. والبلاذري : نفسه : ج٦، ص ٣٣٨.
(٨) الزبيري: نفسه ، ص ١٦٦. والبلاذري ، نفسه ، ج٨، ص٣٥١.
(٩) الزبيري : نفسه ، ص ١٦٧-١٦٨. والبلاذري : نفسه ، ج٩، ص ٢٩.
(١٠) الزبيري : نفسه ، ص ١٣٠. والبلاذري : نفسه ، ج٥ ، ص ٣٧٧.
(١١) الزبيري: نفسه ، ص ١٦١. والبلاذري : نفسه : ج٦ ، ص ٣٠٧-٣٠٨.
(١٢) الزبيري: نفسه ، ص ١٦٢ ، ١٦٤ . والبلاذري : نفسه : ج٧ ، ص ١٩٥.
(١٣) الزبيري: نفسه ، ص ١٦٥ -١٦٦ . والبلاذري : نفسه ، ج٨ ، ص ٩٩-١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وموسى ومحمد[١]؛ وتسمية يزيد بن عبد الملك لبعض أولاده يحيى وسليمان [٢].

وسمّى بعض الخلفاء غير واحد من أبنائه بالاسم نفسه؛ فمثلاً أطلق يزيد بن معاوية اسم عبد الله على ثلاثة من أبنائه هم عبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وعبد الله أصغر الأصاغر [٣]، وسمّى عبد الملك بن مروان ولدين من أولاده باسم مروان هما مروان الأكبر، ومروان الأصغر[٤]؛ وسمّى عمر بن عبد العزيز ولديه باسم عبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر [٥].

وأطق أمراء بني أمية على أولادهم بعض أسماء الشخصيات التي كان لها ماضٍ عريق؛ أو التي كان لها دور عظيم في الأسرة الأموية تخليداً لتلك الأسماء؛ فقد سمّى يزيد بن معاوية أحد أولاده باسم جده أبي سفيان[٦] ؛ وسمّى مروان بن الحكم أحد أولاده باسم معاوية [٧]؛ وأطلق عبد الملك بن مروان على أحد أبنائه اسم الحكم [٨]؛ وسمّى يزيد بن عبد الملك أحد أولاده باسم أبي سفيان [٩]؛ وسمّى هشام بن عبد الملك بعض أولاده باسم معاوية، ومروان، وقريش [١٠]؛ وأطلق الوليد بن يزيد على بعض أولاده أسماء أشخاص كان لهم مجد سالف مثل فهر ، ولؤي، وقصي، والعاصي [١١].

وأما البنات فأُطلق عليهن أسماءً ممزوجة بالكُنى ، فمثلاً سمّى مروان بن الحكم

---

(١) البلاذري: أنساب ، ج٨، ص٢١٩.
(٢) الزبيري: نسب قريش ، ص ١٦٦-١٦٧ . والبلاذري: نفسه، ج٨، ص ٣٥١.
(٣) البلاذري: نفسه ، ج٥، ص ٣٧٧.
(٤) المصدر نفسه : ج٧ ، ص ١٩٥.
(٥) نفسه: ج ٨ ، ص ٢١٩.
(٦) الزبيري: نفسه ، ص ١٢٨. والبلاذري: نفسه ، ج٥، ص ٣٧٧.
(٧) الزبيري : نفسه ، ص ١٦٠. والبلاذري : نفسه ، ج٦، ص ٣٠٧.
(٨) الزبيري: نفسه ، ص ١٦٤. والبلاذري: نفسه ، ج٧، ص ١٩٥.
(٩) الزبيري: نفسه ، ص ١٦٧. والبلاذري: نفسه ، ج٨، ص ٣٥١.
(١٠) الزبيري : نفسه ، ص ١٦٧-١٦٨. والبلاذري : نفسه ، ج٨ ، ص ٣٦٨.
(١١) الزبيري: نفسه ، ص ١٦٧. والبلاذري : نفسه ، ج٩،ص١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابنتيه بأم عمرو، وأم عثمان [١]؛ وسمّى عبد العزيز بن مروان ابنتيه بأم الحكم،وأم البنين[٢]؛ وأطلق سليمان بن عبد الملك على إحدى بناته اسم أم أيوب [٣]؛ وسمّى عمر ابن عبد العزيز إحدى بناته بأم عمار[٤]؛ وسمى هشام بن عبد الملك بعض بناته : أم يحيى، وأم هشام ، وأم سلمة [٥] .

ب- الحرص على كثرة الإنجاب:

وبدافع زيادة عدد أفراد الأسرة الأموية لتقوى على مواجهة منافسيها أكثر أبناؤها من الإنجاب؛ معتمدين على ما شاع في العصر الأموي من التسري وتعدد الزوجات، فباستثناء معاوية بن أبي سفيان الذي توقف عن الإنجاب لعارض مرضي [٦] كان عدد أبناء الخلفاء والأمراء الأمويين كبيراً؛ فمثلاً أنجب يزيد بن معاوية سبعة عشر ولداً من الذكور والإناث،[٧] ومروان بن الحكم كان عدد أولاده أحد عشر ولداً[٨]؛ وعبد الملك بن مروان أنجب تسعة عشر ولداً [٩]، وأنجب الوليد بن عبد الملك عشرين ولداً [١٠] ، ولُقب ابنه عمر بن الوليد بفحل بني مروان لأن عدد أولاده بلغ ستين ولداً . [١١]

جـ- التباهي بالأبناء:

وكان الخلفاء يتباهون بأولادهم من الذكور، ويحاولون إظهار ما فيهم من الصفات الحميدة، فقد أمر معاوية بن أبي سفيان ابنه يزيد أن يرد على الخطباء الذين أحسنوا في حضرته؛ مظهراً بذلك ما يتمتع به ابنه يزيد من الفصاحة والبلاغة؛ قال

---

(١) الزبيري: نسب قريش ، ص ١٦٠. والبلاذري : أنساب ، ج٦ ، ص ٣٠٧.
(٢) الزبيري: نفسه ، ص ١٦٨. والبلاذري : نفسه : ج٦ ، ص ٣٣٦ ،
(٣) البلاذري: نفسه ، ج٨، ص ١٠٠.
(٤) المصدر نفسه : ج٨، ص ٢١٩.
(٥) الزبيري : نفسه، ص ١٦٨-١٦٨ .
(٦) انظر قصة توقف معاوية عن الإنجاب: الطبري : تاريخ الأمم ، ج٦ ، ص ٨٦.
(٧) الزبيري: نفسه ،ص١٢٨-١٣٠. والبلاذري : نفسه ، ج٥، ص ٣٧٧.
(٨) الزبيري : نفسه ، ص ١٦٠. والبلاذري : نفسه ، ج٦، ص ٣٠٧-٣٠٨.
(٩) الزبيري: نفسه ، ص ١٦١ -١٦٥. والبلاذري : نفسه ، ج٧، ص ١٩٥-١٩٦.
(١٠) الزبيري : نفسه ، ص ١٦٥. والبلاذري : نفسه ، ج٨ ، ص ٦٦.
(١١) البلاذري: نفسه ، ج٨، ص ٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجاحظ[١] : ((... وتكلَّم يوماً عند معاوية الخطباءُ فأحسنوا، فقال : واللهِ لأرمينهم بالخطيب الأشدق ! قم يا يزيد فتكلم ...)).

وأبرز عبد الملك بن مروان فخره بأبنائه شعراً ، معدداً مناقب كل واحدٍ منهم وما يتمتع به من صفات تميزه عن غيره من خلال قوله : [٢]

يَزِيْدٌ زِيَادَةُ الرَحْمنِ فينا وَصَاحِبُ عُرْوَةِ الأَمْرِ الشَدِيدِ
وَمَرْوانُ الصَفِيُّ صفيُ نَفْسي شَبِيْهُ النَفْسِ مِني والجُدُودِ
وَعَبْدُ اللّهِ صَاحِبُ كُلِّ حَرْبٍ وَغَزْوٍ تَحْتَ أَبْدانِ الحَدِيْدِ
فَقَدْ عَلِقْتُ حُبّهُم جَمِيْعاً على أَنَّ الخِلافَةَ لِلْوَلِيدِ
سُلَيْمانُ الشِعَارُ شِعارُ قَلْبي أَحَبُّ إِليَّ مِنْ ذَوْبِ الشُهُودِ
وَرأيي في هِشَامٍ أَنَّ فِيهِ حَيَاةً لِلْجُنودِ وللوُفُودِ

وافتخر الوليد بن عبد الملك بأولاده غير مرة مظهراً ما فيهم من التميز، فقد روى عنه البلاذري أنه كان يقول [٣]: ((... سيدنا عبد العزيز ، وفتانا بشر، وعالِمنا رَوْح ، وفارسُنا العباس، وفحلُنا عمر ".

ونَقَل عنه كذلك قوله[٤] : ((من رأى مِثْلَ ولدي : عبد العزيز على دمشق ، والعباس على حمص، وبشر على قنسرين، وعمر على الأردن ...)) .

د- الحرص على إسناد ولاية العهد للأبناء:

ويقود قول الوليد بن عبد الملك السالف إلى الحديث عن العلاقة السياسية بين الخلفاء وأبنائهم؛ وعلى رأسها البيعة وولاية العهد، فقد حرص خلفاء بني أمية على العهد بولاية العهد لأولادهم ، وبذلوا كل ما في وسعهم للحصول على البيعة لهم من الرعية، وقدموا كل ما يمكن لإبعاد منافسيهم عليها، مستخدمين جميع الوسائل المتاحة من القيام بمحاولات مستمرة لإقناع الرعية ، والإغراء بالمال والإسراف فيه ، وقتل المنافسين لهم حين لم يكن من ذلك مناص.

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ، ج١ ، ص ١٢٢.
(٢) البلاذري: أنساب ، ج٧ ، ص ١٩٨.
(٣) المصدر نفسه : ج٨ ، ص ٧١.
(٤) نفسه : ج٨ ، ص ٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمعاوية بن أبي سفيان بذل جهوداً مضنية على مدى أربع سنوات (٥٦ - ٦٠هـ) لإقناع الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر بالبيعة ليزيد [١]؛ بعد أن حصل على بيعة الرعية ، وتمكن من خداعهم موهماً الرعية بموافقتهم على البيعة ليزيد[٢] ، وأوصاه عند موته بما يتعين عليه القيام به ضدهم بعد توليه الخلافة.

وحرص يزيد بن معاوية قبل موته على أخذ البيعة لابنه معاوية بعد أن أرسل جيشاً للقضاء على منافسه عليها عبد الله بن الزبير [٣].

وتمكن مروان بن الحكم من عقد البيعة لولديه عبد الملك وعبد العزيز بعد أن وصلته أخبار مفادها أن عمراً بن سعيد بن العاص يدعّي بولاية العهد من بعده، مستعيناً بحسان بن مالك بن بحدل؛ وقد روى الطبري تفاصيل نجاح مروان في تحقيق غايته فقال[٤]: ((... لما هزم عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق مصعب بن الزبير حين وجهّه أخوه عبد الله إلى فلسطين، وانصرف راجعاً إلى مروان، ومروان يومئذ بدمشق قد غلب على الشأم كلها ومصر، وبلغ مروان أن عمراً يقول إن هذا الأمر لي من بعد مروان ويدّعي أنه قد كان وعده وعداً، فدعا مروان حسان بن مالك بن بحدل فأخبره أنه يريد أن يبايع لعبد الملك وعبد العزيز ابنيه من بعده، وأخبره بما بلغه عن عمرو بن سعيد، فقال: أنا أكفيك عمراً ، فلما اجتمع الناس عند مروان عشيّاً قام ابن بحدل فقال إنه قد بلغنا أن رجالاً يتمنون أمانيّ قوموا فبايعوا لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده فقام الناس فبايعوا من عند آخرهم)) .

---

(١) انظر في هذه المحاولات : الطبري : تاريخ الأمم ، ج٦ ، ص ١٦٩ –١٧٠ . وابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص ٣٥٣ – ٣٥٥. وحسين عطوان : نظام ولاية العهد ووراثة الخلافة في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت ، ص ٧–٣٤.

(٢) انظر قصة هذه الخدعة : الطبري : نفسه ، ج٦، ص ١٧٠. وابن الأثير : نفسه ، ج٣ ، ص ٣٥٣ –٣٥٥.

(٣) انظر في هذه الأحداث: الطبري : نفسه ، ج٧ ، ص ١٦–١٨ . وابن الأثير : نفسه ، ج٣ ، ص ٤٦٧–٤٦٨.

(٤) الطبري: نفسه ، ج٧ ، ص ٨٣ . وابن الأثير : نفسه ، ج٤ ، ص ١٢–١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتنفس عبد الملك بن مروان الصعداء بعد موت شقيقه وولي عهده عبد العزيز بن مروان سنة خمس وثمانين لأنه أخفق في اقناعه بالتنازل عن الخلافة لولده الوليد ، فعهد بولاية العهد لولديه الوليد ومن بعده سليمان ؛ قال الطبري[١] : ((... وفي هذه السنة بايع عبد الملك لابنيه الوليد ثم من بعده لسليمان وجعلهما وليّي عهد المسلمين وكتب ببيعته لهما إلى البلدان فبايع الناس ...)).

ولم يكتفِ عبد الملك بن مروان بالبيعة لاثنين من أولاده؛ بل أخذ عليهما أن يبايعا لولدين آخرين له هما يزيد ومروان حرصاً منه على عدم خروج الخلافة من أولاده ؛ وقد روى الطبري ذلك بقوله[٢] : ((... كان عبد الملك أخذ على الوليد وسليمان أن يبايعاً لابن عاتكة ولمروان بن عبد الملك من بعده ...)).

ويبدو أن هناك سبب آخر لحرص خلفاء بني أمية على البيعة لأولادهم بولاية العهد هو حب الوالد لولده، وعدم تقديم أحد عليه حتى لو كان الأخ الشقيق ، ولعل هذا السبب يتأكد من خلال قول معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد[٣]: ((... ما ألقى الله بشيء أعظم في نفسي من استخلافك)) .

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم، ج٨ ، ص ٥٥-٥٦ . وابن الأثير: الكامل ، ج٤ ، ص ٢٣٥ -٢٣٦ .

(٢) الطبري : نفسه : ج٨ ، ص ١١٨ . وانظر محاولات الوليد بن عبد الملك خلع شقيقه سليمان والبيعة لابنه عبد العزيز : البلاذري : أنساب ، ج٨، ص ٣٢٧٥. والطبري : نفسه ، ج٨ ، ص ٩٩. وبيعة سليمان بن عبد الملك لابنه أيوب : البلاذري : نفسه ، ج٨ ، ص ٣٢٧٥ .والطبري : نفسه ، ج٨ ، ص ١١٨ . وبيعة يزيد بن عبد الملك لابنه الوليد بعد شقيقه هشام : البلاذري : نفسه ، ج٨ ، ص ٣٥٥٧-٣٥٥٨ . والطبري: نفسه ، ج٨، ص ٢٨٨. وابن عبد ربه : العقد، ج٥ ، ص ١٧٦-١٧٧ . وابن الأثير: نفسه ، ج٤ ، ص ٣٤٧ . ومحاولات هشام بن عبد الملك خلع الوليد بن يزيد من ولاية العهد لصالح ابنه مسلمة : البلاذري : نفسه ، ج٩ ، ص ٣٧٤٤. والطبري: نفسه ، ج٨ ، ص ٢٨٨ . والأصفهاني: الأغاني ، ج٧ ، ص ٦ . وابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٢ . وبيعة الوليد بن يزيد لولديه الحكم وعثمان : البلاذري : نفسه ، ج٩ ، ص ٣٧٨٠-٣٧٨١ .واليعقوبي : تاريخ ، م٢ ، ص ٣٣١. والطبري : نفسه ، ج٨ ، ص ٢٩٤ .وبيعة مروان بن محمد لولديه عبيد الله وعبد الله: البلاذري : نفسه ، ج٩، ص ٣٨٤٩. والطبري : نفسه ، ج٩، ص ٥٦. وابن الأثير:نفسه،ج٥، ص٨.

(٣) البلاذري : نفسه ، ج٥ ، ص ٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصوّر الوليد بن يزيد البيعة الناتجة عن الحب لأولاده بقوله : [١]

سَرَى طَيْفُ ذَا الظّبْيِ بالعَاقِدا نِ لَيْلاً فَهَيّجَ قَلْباً عَمِيدَا
وَأَرَّقَ عَيْني عَلى غِرَّةٍ فَبَاتَتْ بُحزْنٍ تُقاسِي السُّهُودَا
نُؤَمِّلُ عُثْمانَ بَعْدَ الوَلِيـ ـدِ أَوْ حَكَماً ثُمَّ نَرْجُو سَعِيدَا
كمَا كَانَ إِذْ كانَ في مُلْكِهِ يَزِيدُ يُرْجِّي لِتِلْكَ الوَلِيدَا
مُلُوكٌ تَوارَثُ في مُلْكِها وأَفْعَالُها العُرْفُ مَجْداً تَلِيدَا

هـ- الحرص على إشراك الأبناء في الجهاد والغزو .

وحرص الخلفاء على مشاركة أبنائهم في الجهاد والغزو مساواةً لهم مع الرعية، ومشاركة لهم في واجب الفتوحات والجهاد، ورغبة في إكسابهم الخبرة التي تشد من عزيمتهم، وتقوّي شوكتهم، وتجعلهم أقدر على مواجهة أعباء الحياة.

ولعل ما يؤكد إشراك الخلفاء لأبنائهم في الغزو مساواةً لهم مع غيرهم من غزاة المسلمين ما جرى بين معاوية بن أبي سفيان وولده يزيد؛ ورواه البلاذري فقال[٢]: ((... أغزى معاوية الناس في سنة خمسين وعليهم سفيان بن عوف، وأمر يزيد بالغزو فتثاقل واعتلّ فأمسك عنه، وأصاب الناس في غزاتهم جوع وأمراض ، فأنشأ يزيد يقول:

مَا إِنْ أُبَالي بِما لاقَتْ جُمُوعُهُمُ بالقَرْ قَذونَةِ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ مُومِ
إِذا اتَّكأْتُ على الأَنْماطِ في غُرَفٍ بِدَيْرِ مُرّانَ عِنْدي أُمُّ كُلْثُومِ

وأم كلثوم امرأته، وهي بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيْز، فبلغ معاوية شعره، فأقسم عليه ليلتحقن بسفيان في أرض الروم ليصيبه ما أصاب الناس ولو مات، فلحق به في فُرسِ أنطاكية وبعلبك وجماعة أنهضهم معه، فبلغ بالناس الخليج وضرب بسيفه باب الذهب ، وهزم الروم، وخرج وسفيان بالناس)).

---

(١) الوليد بن يزيد : الديوان ، ص ١٤٩.

(٢) البلاذري : أنساب، ج٥، ص ٩٣-٩٤. وانظر كذلك اليعقوبي : تاريخ ، م ٢ ، ص ٢٢٩.والمسعودي: مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٣٣ . والأصفهاني : الأغاني ، ج١٧ ، ص ١٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعبّر يزيد عن امتعاضه من إصرار والده معاوية بن أبي سفيان على توليته قيادة الغزو في الصائفة؛ يقول ابن عبد ربه[١] ((... أراد معاوية أن يقدم ابنه يزيد على الصائفة فكره ذلك يزيد، فأبى معاوية إلا أن يفعل ، فكتب إليه يزيد :

نَجِيٌّ لا يَزَالُ يَعُدُّ ذَنْباً لِتَقْطَعَ وَصْلَ حَبْلِكَ مِنْ حِبَالي
فَيوُشِكُ أَنْ يُرِيْحَكَ مِنْ أَذَاتِي نُزُولي في المَهالِكِ وارْتِحَالي))

وذكر الطبري أن عبد الملك بن مروان أغزى ابنه الوليد سنة ثمانين للهجرة[٢] ، وأغزى ابنه عبيد الله سنة إحدى وثمانين ففتح قاليقلا [٣]؛ وقاد مسلمة بن عبد الملك والوليد بن عبد الملك الجيش الذي فتح حصن طوانة سنة ثمان وثمانين [٤] ؛ وغزا العباس ابن الوليد بن عبد الملك أرض الروم سنة ثلاث وتسعين [٥]؛ وغزا شقيقه مروان بن الوليد في هذه السنة أيضاً [٦] ؛ وفي سنة سبع وتسعين استعمل سليمان بن عبد الملك ابنه أيوب على الصائفة [٧]؛ وأغزاه أرض الروم سنة تسع وتسعين ففتح حصن المرأة مما يلي ملطية[٨]؛ وغزا معاوية بن هشام أرض الروم سنة تسع ومئة [٩].

و- الحرص على تولية الأبناء موسم الحج.

ولعل إثبات الزعامة الدينية إلى جانب الزعامة السياسية هو الذي دفع خلفاء بني أمية إلى أن يولوا أبناءهم الحج بالناس، فقد كلّف معاوية بن أبي سفيان ابنه يزيد هذه المهمة سنة إحدى وخمسين [١٠]؛ وأسند عبد الملك بن مروان هذا الواجب لولديه الوليد [١١]؛ وسليمان[١٢] سنة تسع وسبعين وإحدى وثمانين للهجرة.

---

(١) ابن عبد ربه : العقد ، ج٥ ، ص ١٠٩ . وفي الديوان : تحقيق واضح الصمد ص ٥٨ : (تجنّى) .
(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ج٨ ، ص ٥ . وابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص ١٩٥ .
(٣) المصدران نفسهما ، ج٨ ، ص ٥ . و ج٤،ص١٩٥.
(٤) نفسهما ، ج٨، ص ٦٤. وج٤، ص ٢٤٦.
(٥) نفسهما ، ج٨ ، ص ٨٣ . وج٤ ، ص ٢٨٧ .
(٦) نفسهما : ج٨، ص ٨٣. وج٤ ، ص ٢٧٨.
(٧) نفسهما: ج٨، ص ١١٣. وج٤، ص ٣٠٣.
(٨) نفسهما : ج٨، ص ١٢٦. و ج٤، ص ٣١٠.
(٩) نفسهما : ج٨، ص ١٩١. و ج٤، ص٣٨٢ – ٣٨٣.
(١٠) نفسهما: ج٦، ص ١٦١. وج٣، ص ٣٣٨.
(١١) الطبري : نفسه : ج٧ ، ص ٢٨١.
(١٢) الطبري: نفسه، ج٨ ، ص ١١. وابن الأثير : نفسه ، ج٤ ، ص ٢٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسار الوليد بن عبد الملك على نهج أبيه فولى ابنه عبد العزيز موسم الحج سنة ثلاث وتسعين [١]، وحاول هشام بن عبد الملك إصلاح أخلاق ولده مسلمة وتهيئته لولاية العهد من خلال توليته الموسم سنة عشرين ومائة [٢].

ز- الحرص على تعليم الأبناء.

ولم تكن أعباء الخلافة والاضطرابات السياسية التي حدثت خلال حكم بني أمية منذ نشوء دولتهم حتى سقوطها، تشغل الخلفاء والأمراء الأمويين عن تربية أولادهم وتنشئتهم التنشئة الصحيحة عقلياً وجسمياً، وقد استعانوا لتحقيق هذه الغاية بمعلمين ومؤدبين ليتابعوا أولادهم، ويكسبوهم من الصفات الحميدة ما يجعلهم مؤهلين للتعامل مع المجتمع، ويغذوا عقولهم بمختلف أنواع العلوم والمعارف.

فمعاوية بن أبي سفيان اختار دغفلاً النسابة ليكون معلماً لابنه يزيد[٣]، وكلف عبد الملك بن مروان اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر أن يعلم أولاده [٤]؛ وضم عبد العزيز بن مروان صالح بن كيسان إلى ابنه عمر لتعليمه [٥]؛ واختار الوليد بن عبد الملك أبا عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر لتأديب ولده عبد العزيز [٦].

وكان الخلفاء يوجهون هؤلاء المعلمين قبيل مباشرتهم العمل في تعليم أولادهم وتأديبهم ، مبينين لهم الغاية المنشودة من اختيارهم؛ والعلوم والمفاهيم والقيم التي ينبغي عليهم أن يغرسوها فيهم ؛ ثم يحددون لهم أجرهم لقاء عملهم ؛ ومن الأمثلة على ذلك ما رواه البلاذري فقال[٧] : ((... دعا عبد الملك بمؤدب ولده فقال : إني قد اخترتك لتأديب

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم، ج٨ ، ص ٩٠ . ابن الأثير : الكامل، ج٤ ، ص ٢٧٩.

(٢) نفسهما : ج٨ ، ص ٢٤٧ . و ج٤ ، ص ٤٣٣.

(٣) ابن حبيب: المحبر، ص ٤٧٨.

(٤) المصدر نفسه : ص ٤٧٦.

(٥) نفسه : ص ٤٧٧.

(٦) نفسه : ص ٤٧٧.

(٧) البلاذري : أنساب ، ج٧ ، ص ٢٨٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولدي وجعلتك عيني عليهم وأميني، فاجتهد في تأديبهم ونصيحتي فيما استنصحتك فيه من أمرهم، علمهم كتاب الله عز وجل حتى يحفظوه، وقفهم على ما بيّن الله فيه من حلال وحرام حتى يعقلوه، وخذهم من الأخلاق بأحسنها، ومن الآداب بأجمعها، ورّوهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أصدقه، وجنبهم محادثة النساء ومجالسة الأظناء، ومخالطة السفهاء، وخوفهم بي، وأدبهم دوني، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يفهموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم، وأنا أسأل الله توفيقك وتسديدك ، ثم أسمى له الرزق، وبدأه بصلةٍ حسنة)).

ولم يكن عبد الملك بن مروان يكتفي بهذه التوجهات، بل كان يزور أولاده في مكاتب تعليمهم ويناقشهم، مطالباً المعلم بتأديبهم على أكمل صورة لافتاً انتباهه إلى بعض الأمور التي تحقق هذه الغاية؛ قال البلاذري [١]: ((... كان عبد الملك يلبس جبَّةً ورداءً ويجلس للناس وينظر في أمورهم، ويقف على بنيه في الكتّاب فيقول للمعلم : أحسن تأديبهم ويكلمهم، وقال عبد الملك لاسماعيل بن مهاجر مؤدب مسلمة ويزيد وعنبسة: علّم بنيَّ القرآن، وخذهم بمكارم الأخلاق، وحثهم على صلة الأرحام، ووقّرهم في الملأ ، وأخفهم في السر، فإن الأدب أملك بالغلام من الحسب ... علّم بنيَّ الصدق حتى إن قتل أحدهم قتيلاً اعترف به على نفسه ...)).

وإلى جانب التوجيهات المتعلقة بالأخلاق والعلوم أعطى عبد الملك توجيهات لمؤدب أولاده تتصل بصحتهم الجسدية؛ ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن كثير عن المدائني فقال [٢]: ((... قال عبد الملك لمؤدب أولاده : ... واحف شعورهم تغلظ رقابهم، وأطعمهم اللحم يقووا ، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا ، ومرهم أن يستاكوا عرضاً ، ويمصوا الماء مصاً ولا يعبوا عباً ...)).

---

(١) البلاذري : أنساب، ج٧ ، ص ٢٩٤٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأوصى هشام بن عبد الملك مؤدب ولده وصيةً رواها أبو حاتم السجستاني فقال[١]: « وذكر بعض أهل العلم أن هشام بن عبد الملك أرسل إلى سليمان الكلبيّ، وكان رجلاً جامعاً للأدب فاضلاً، ذا رأي. قال سليمان: فدخلت عليه، وهو في غرفة له، قد علا نفسي، وانتفخ سحري، فسلمت عليه، فردّ عليّ، وأَضْرب عني حتى سكن جأشي، ثم قال لي: يا سليمان، قد بلغني عنك ما أحب، وإذا بلغني عن أحد من رعيتي مثل الذي بلغني عنك أسرعت إليه بما يجب، واستعنت به على مهم أمري، وإن محمد ابن أمير المؤمنين بالمكان الذي بلغك، وهو جلدة ما بين عيني، وإني أرجو أن يبلِّغ الله به أفضل ما بلّغ بأحد من أهل بيته، وقد ولاّك أمير المؤمنين تأديبه وتعليمه، ومآله، والنظر فيما يُصلح الله به أمره، فعليك بتقوى الله، وأداء الأمانة فيه، فإنك تقصد فيه بخصال، لو لم تكن إلا واحدة كنتَ قِمناً أَلاّ تضيّعها، فكيف إذا اجتمعت؟. أما أولها فإنك مؤتمن عليه، وَحُقّ لك أداء الأمانة فيه؛ وأما الثانية فأنا إمام ترجوني، وتخافني؛ وأما الثالثة فكلما ارتقى الغلام في الأمور درجة ارتفعت معه، ففي هذا ما يرغّبك فيما أوصيك به، فادخل عليه في خاصّة أهل القرآن، وذوي الأسنان، فإنك منهم بين خصلتين، إما أن يسمع منهم كلاماً فيعيه ويحفظه فيكون لك صونه وذكره، وإما أن يراهم الناس يخرجون مِن عنده فيرون أنكم على مثل ما هم عليه. ولا تدخل عليه الفُسّاق ولا شَرَبَة الخمر، فإنك منهم بين خصلتين، إما أن يسمع منهم كلاماً قبيحاً فيعيه ويحفظه ويأخذ به فتريد تحويله عن ذلك فلا تقدر عليه، وإما أن يراهم الناس يخرجون من عندكم فيرون أنكم على مثل ما هم عليه.

وانظر إذا سمعت منه الكلمة العوراء فلا تؤنبه بها فتمحِّكَه، ولكن احفظها عليه، فإذا قام من مجلسه فانقله إلى ما هو أحسن منه؛ وإذا سمعت منه الكلمة المعجبة ففطِّن

---

(١) أبو حاتم السجستاني: المعمرون والوصايا، عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، ص١٣٧-١٣٩ . وابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ، ج٦ ، ص ٢٧٩-٢٨٠ . وقد نسبها أبو حنيفة الدينوري في : الأخبار الطوال، ص ٣٠٠-٣٠١ . لسليمان بن عبد الملك . وذهب د. حسين عطوان إلى مجانبة أبي حنيفة للصواب في ذلك : انظر كتابه: الرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت ، ص١٣. وانظر مثالاً آخراً على وصية خلفاء بني أمية لمؤدبي أولادهم: وصية عمر بن عبد العزيز لسهل مولاه: ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز، مطبعة الإمام ، مصر، ص٢٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القوم لها، فإنهم عسى ألا يكونوا فهموها وفهمتها باهتمامك بها، حتى يقوموا وقد سمعوا منه كلاماً حسناً، ويروونه عنه، ويرفعونه به.

... وخذه بعلم نسبه في العرب حتى لا يخفى عليه منه قليل ولا كثير، وعلّمه منازل القمر، وأنواع الخطب، ومواضع الكلام، ومعرفة الجواب.

وإن هو احتبس عن تأديبه ومُرُوّاته فادخل عليه، وإن كان مع أهله في لحافه حتى تجّر برجله إلى ما ينفعه الله به، وإياك أن تكتم عليه، فيؤدي ذلك إلى غيرُك، فأنزلَ لك عما يَسُرُّك إلى ما يَضُرُّك، ولا يخرجن إلا مُعْتّماً، ولا يركبنَّ محذوفاً، ولا مهلوباً، ولا يُعقدنّ له ذنب دابه إلا من لثق، ولا يركبن سرجاً صغيراً فتبدو منه أَلْيَتاه كفعل الفُساق، ولا يسيرنّ متلفِّتاً ولا طامحاً.

فخذه بهذه الخصال، وزده من عندك ما استطعت ، فإني سأقيس عقله اليوم وبعد اليوم، فإن رأيته قد ازداد خيراً إلى ما كان عليه رؤى فضلُ أمير المؤمنين عليك، وإن كانت الأخرى فلا تلم إلا نفسك . وقد أجريت عليك ألف درهم في كل شهر، سوى كسوتك وجائزتك)).

وكان عمر بن عبد العزيز يباشر تعليم أولاده بنفسه وفق نظام محدد وضعه لهم؛ قال ابن عساكر[١]: ((... كان عمر بن عبد العزيز يأذن لبنيه يوم الجمعة قبل أن يدخل الناس فإذا قال إيهاً قرأ الأكبر منهم، فإذا قال أيّهاً، قرأ الذي يليه، حتى يقرأ طائفة منهم)).

ح-تقديم الوصايا النافعة للأبناء:

واعتمد خلفاء وأمراء بني أمية وسيلةً أخرى لتعليم أولادهم وتهذيبهم تمثلت بمجموعة من النصائح الاجتماعية، والسياسية، والتعليمية التي تهدف إلى صقل شخصياتهم، فمعاوية بن أبي سفيان نصح لولده وولي عهده يزيد نصيحة بيّن له فيها كيفية استمالة أصحاب النفوذ والجاه؛ قال البلاذري[٢]: ((... قال معاوية ليزيد : يا بني اتخذ المعروف عند ذوي الإحسان لتستميل به مودتهم، وتعظم به في أعينهم، وتكَف به عنك عاديتهم وإياك والمنع فإنّه مفسدة للمروّة وإزراء بالشريف)).

---

(١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج٧، ص ٨٣.

(٢) البلاذري : أنساب ، ج٥ ، ص ٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الوصايا السياسية التي كانت توجه غالباً عند تولية الخليفة أحد أبنائه مصراً من الأمصار قول مروان بن الحكم لابنه عبد الملك حين ولاه فلسطين[١]:((مُر حاجبك أن يخبرك بما يحضر بابك في كل يوم فتأذن أو تحجب، وآنس من يدخل عليك بالحديث يبسطوا إليك، ولا تعجل بالعقوبة إذا أشكل عليك أمرٌ فإنك على العقوبة إذا أردتها أقدر منك على ارتجاعها إذا أمضيتها)) .

وشبية بهذه الوصية ما وصى به مروان بن الحكم ابنه عبد العزيز حين ولاّه مصر؛ وفيها يقول[٢] : ((أرسل حكيماً ولا توصه. أي بني ، انظر إلى عمالّك، فإن كان لهم عندك حقٌ غدوةٌ فلا تؤخرهم إلى عشية، وإن كان لهم عشيةً فلا تؤخرهم إلى غدوة، وأعطهم حقوقهم عند محلها تستوجب بذلك الطاعة منهم. وإياك أن يظهر لرعيتك منك كذب، فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدّقوك في الحق. واستشر جلساءك وأهل العلم، فإن لم يستبن لك فاكتب إليَّ يأتيك رأيي فيه إنشاء الله تعالى. وإن كان بك غضب على أحد من رعيتك فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب، واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب منطفىء الجمرة؛ فإن أول من جعل السجن كان حليماً ذا أناة؛ ثم انظر إلى ذوي الحسب والدين والمروءة فليكونوا أصحابك وجلساءك؛ ثم ارفع منازلهم منك على غيرهم، على غير استرسال ولا انقباض، أقول هذا واستخلف الله عليك)) .

وجاءت وصية عبد الملك بن مروان لابنه وولي عهده الوليد قصيرةً تلخّص أسس العلاقة بين الخليفة والرعية؛ قال ابن عبد ربه[٣]:((... وقال عبد الملك بن مروان لابنه الوليد وكان ولي عهده : يا بُنيَّ ، اعلم أنه ليس بين السلطان وبين أن يملك الرعية أو تملكه إلا حرفان: حزمٌ وتوان)).

وأوصى هشام بن عبد الملك ابنه محمداً حين ولاه الصائفة بتقوى الله في كل تصرفاته؛ قال البلاذري[٤] : ((كتب هشام لابنه محمد بن هشام وأراد أن يبعثه على

---

(١) المصدر نفسه: ج٦ ، ص ٢٥٥٦.

(٢) ابن عبد ربه: العقد ، ج١، ص ٣١-٣٢.

(٣) المصدر نفسه : ج١ ، ص ٣٣ .

(٤) البلاذري: أنساب، ج٨، ص ٣٥٩٤-٣٥٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصائفة كتاباً نسخته : وقد كان مما أحدث الله لي فيك من النعمة ، ما أسأل الله تمامه، وحسن المزيد فيه، والعون على أداء شكره عليه، فإنه قد أراني فيك من معالم الفضل، وأمارات الخير ما قذف به في نفسي توجيهك لما وجهتك له من الأمر الذي أرجو أن يجعله الله لك إلى قصوى غايات الفضل سبباً وسبيلاً، فيما يعرّفنا من بصرك بالأمور، واستقلالك بالقيام لله بالنصيحة، وحسن السياسة، والرفق في مستقبل أمرك، ومفتاح عملك، فليكن أول ما تبدأ به إيثار تقوى الله ربك بالاجتهاد في طاعته، والحيطة لدينه وعباده؛ ليجزيك بذلك جزاء كريم سلفك الماضين ، وصلحاء أهلك الباقين، فإنه به تمام كل نعمة، وإليه منتهى كل رغبة)).

وثمة نصائح ووصايا اجتماعية منها قول سعيد بن العاص لابنه[١] : ((... يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا تمازح الدنيءَ فيحتوي عليك)).

ومنها أيضاً قول عبد الملك بن مروان لأولاده يعلمهم ويوجههم: ((... عليكم بطلب الأدب ؛ فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالاً، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالاً))[٢].

وقال لأولاده أيضاً [٣]: ((... كفّوا الأذى، وابذلوا المعروف، واعفوا إذا قدرتم ، ولا تبخلوا إذا سُئلتم ولا تُلحفوا إذا سَأَلتُمْ؛ فإنه من ضَيَّق ضُيّقَ عليه ومن أعطى أخلف الله عليه)).

وكان عبد الملك يحض أبناءه على الكرم والجود مستشهداً في أثناء ذلك بالشعر، قال المسعودي[٤] : ((... وكان عبد الملك مواظباً على حث أولاده على اصطناع المعروف وبعثهم على مكارم الأخلاق، وقال لهم : يا بني عبد الملك، أحاسبكم، أحاسبكم صونوها ببذل أموالكم، فما يبالي رجلٌ منكم ما قيل فيه من الهجو بعد قول الأعشى :

تَبِيْتُونَ في المَشْتى مِلاءٌ بُطُونُكُمْ وَجاراتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَّ خَمائِصا

---

(١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج٢١ ، ص ١٣٧.

(٢) ابن عبد ربه : العقد ، ج٢ ، ص٢٣١-٢٣٢.

(٣) المصدر نفسه : ج٣، ص ٨٩.

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ١٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما يبالي قومٌ ما قيل فيهم من المدح بعد قول زهير:

على مُكْثِريْهِم حَقُّ مَنْ يَعْتَريهم وَعِنْدَ المُقِلِّيْنَ السَماحَةُ والبَذْلُ))

ووصى عمر بن العزيز ابنه عبد الملك بما ينفعه في أمر دنياه وآخرته؛ روى البلاذري[١] ((أن عمر بن عبد العزيز قال لعبد الملك ابنه : يا بني إن الشَبابَ عونٌ على مساوىء الأخلاق، فاذكر فضل الله علينا، واغتنم فراغ نفسك، وإياك والغفلة عن أمر معادِكَ؛ فإن الله قد أحسن إلينا في اللطيف والجليل من أمرنا)).

وحتى في سياق الموت حرص خلفاء بني أمية وأمراؤهم على توصية أولادهم بما ينفعهم سياسياً، واجتماعياً، وتعليمياً، فقد دعا معاوية بن أبي سفيان ولده يزيد وهو على فراش الموت، وأوصاه بما يتعين عليه القيام به كي ينجح في إدارة شؤون الدولة؛ روى الطبري[٢]: ((... أن معاوية لما مرض مرضته التي هلك فيها دعا يزيد ابنه فقال : يا بُنيَّ إني قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطأت لك الأشياء وذلّلت لك الأعداء، وأخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك من جمع واحد، وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر؛ فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة، وإذا لم يبق أحدٌ غيره بايعك، وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً؛ وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم ليس له همة إلا في النساء واللهو، وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب فإذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير، فإن فعلها بك فقدرت عليه فقطّعه إرْباً إرباً...)).

---

(١) البلاذري: أنساب ، ج٨، ص ٣٣٦٣.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ج٦ ، ص ١٧٩-١٨٠ . وانظر كذلك : الجاحظ : البيان والتبيين ، ج٢ ، ص ١٣١. والبلاذري : نفسه ، ج٥ ، ص ١٩٩٦. وأبي حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٢٠٩ . والمبرد: التعازي والمراثي ، ص ١٣٩. وابن عبد ربه : العقد ، ج٥، ١١٥. وابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص ٣٦٨-٣٦٩ . وأبي الفدا: المختصر في أخبار البشر ، ج١ ، ص ٢٣٢. واليافعي : مرآة الجنان ، ج١ ، ص ١٧١. وابن كثير : البداية والنهاية، ج٨، ص ٥١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجمع عبد الملك بن مروان أولاده وهو على فراش الموت، وأوصاهم وصية جامعة لما يجب أن تكون عليه علاقتهم مستقبلاً، وما يجب عليهم القيام به كي يحافظوا على ما حققه والدهم من إنجازات؛ وقد روى المبرد هذه الوصية فقال [١]: ((وأوصى عبد الملك بن مروان حين حضرته الوفاة فقال لبنيه : أوصيكم بتقوى الله فإن بها عصمة باقية، وجُنَّةً واقية، والتقوى خير زاد وأفضل في المعاد، وأحصنُ كهف، وأزينُ حِليةٍ، ليعطف الكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير منكم حق الكبير مع سلامة الصدور والأخذ بجميل الأمور؛ فإنكم إذا فعلتم ذلك كنتم للعز خلقاء، وهابتكم الأعداء . إياكم والتباغي والتحاسد فإن بهما هلك الملوك الماضون وذوو العز المتكبرون. انظروا يا بنَيَّ مسلمة بن عبد الملك فاصدروا عن رأيه، فإنه نابكم الذي تَفتُّرون عنه، ومِجَنّكم الذي تستجنُّون به ، وأكرموا الحجاج فإنه الذي وطأ لكم المنابر، وكفاكم قحم تلك القناطر. كونوا أولاداً أبراراً، وفي الحرب أحراراً، وللمعروف مناراً، واحلولوا في مرارة، ولينوا في شدة، ثم رفع رأسه إلى الوليد فقال: لا أُلْفينَّك إذا وضعتني في حُفْرتي تُعَصِّر عينيك كما تفعل الأمة، بل شمِّر وأتزر، والبس جلد نمر، وادع الناس إلى البيعة، فمن قال بعنقه هكذا فقل بالسيف هكذا. أوصيك بأخيك عبد الله بن عبد الملك وبعمر بن عبد العزيز وأوصيك بابن عمنا هذا خيراً ، لا تعزلهما ولا تستبدل بهما. يعني علي بن عبد الله بن العباس - فأما الحجاج فلست تستغني عنه ...ثم دعا بقداح بعدَّة ولده فأمر بها فجمعت ثم دفعها إلى الوليد فقال: اكسرها فلم يقدر على ذلك فدُفعت إلى آخر، ثم آخر حتى استقراهم جميعاً، فأعياهم كسرها، فأمر بها ففرقت، ثم دفع إلى كل واحد منهم قِدحاً ، وأمره بكسرها ففعل، فقال : هكذا أنتم بعدي إن اجتمعتم لم يكسركم أحد ، وإن تفرقتم كُسرتم . وقال :

انْفُوا الضَّغَائِنَ عَنْكُمُ وَعَلَيْكُمُ عِنْدَ المَغِيبِ وفي الحُضُورِ الشُّهَّدِ
بِصَلاَحِ ذَاتِ البَيْنِ طُوْلَ بَقَائِكُمْ إِنْ مُدَّ في عُمُري وَإِنْ لَمْ يُمْدَدِ
فَلِمثْلِ رَيْبِ الدَّهرِ أُلِّفَ بَيْنَكُمْ بِتَواصِلٍ وَتَراحُمٍ وَتَوَدِّدِ
حَتَّى تَلِيْنَ قُلُوبُكُمْ وَجُلُودُكُمْ لِمُسَوَّدٍ مِنْكُمْ وَغَيْرَ مُسَوَّدِ

---

(١) المبرد : التعازي والمراثي، ص ١٤٣-١٤٤ . وانظر كذلك : أبو مخنف: نصوص من تاريخ ، ج٢ ، ص ١٩٦. والبلاذري : أنساب ، ج٧ ، ص ٢٣٣٩. والمسعودي : مروج الذهب، ج٣ ، ص ١٧٠. وابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص ٢٣٧. والذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٦ ، ص ١٤٣-١٤٤ . والسيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إِنَّ القِداحَ إذا اجْتَمَعْنَ فَرَامَها بِالْكَسْرِ ذُو حَنَقٍ وكَسْرِ أُيِّدِ
عَزَّتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَإِنْ هِيَ بُدِّدَتْ فَالْوَهْنُ والتَّكسِيرُ لِلْمُتَبَدِّدِ))

ط- القسوة على الأبناء ابتغاء تعليمهم.

وكان بعض الخلفاء الأمويين يشتدون على أولادهم،ويغلظون لهم في القول حرصاً على استقامتهم وصلاحهم؛ روى البلاذري[١] : ((أن عبد الملك رأى عند بعض ولده حديث المغازي، فأمر به فأحرق ، وقال : عليك بكتاب الله فاقرأه ، والسنة فأعرفها واعمل بها...)).

وكتب عمر بن عبد العزيز رسالة قاسية إلى ابنه حين بلغه عنه ما يكره، في محاولة لتعليمه، وإعادته إلى جادة الصواب؛ قال البلاذري[٢] : ((... بلغ عمر عن ابنه عبد الملك أمرٌ كرهه فكتب إليه : بلغني عنك ما أكره ولو كنتُ تقدمت إليك فيه لأتاك مني ما تكرهه، واذكر أن أباك كان عند أبيه مُطَّرحاً يفضّل عليه الكبير، ويؤثر عليه الصغير، واذكر أن أمك كانت أمَةً من الأعاجم وليست من خيارهم، فلئن عدت ليأتينك مني مالا تُحب إن شاء الله)).

وحرم هشام بن عبد الملك ابنه من الدابة عاماً كاملاً كي يعلمه عدم التهاون في أداء الصلاة؛ قال الطبري [٣] : ((... وتفقد هشام بعض ولده ولم يحضر الجمعة فقال له : ما منعك من الصلاة ؟ قال : نفقت دابتي ؛ قال : أفعجزت عن المشي فتركت الجمعة؟! فمنعه الدابة سنة ...)) .

وحرم كذلك ابنه سعيداً من تولي أي عمل بسبب مجونه واستهتاره بعد أن ضربه وبكته؛ قال ابن عبد ربه[٤]: ((... كان سعيد بن هشام بن عبد الملك عاملاً لأبيه على حمص، وكان يُرمى بالنساء والشراب ، فقدم حمصيّ لهشام فلقيه أبو جعد الطائي في

---

(١) البلاذري: أنساب ، ج٧، ص ٢٩٣٢.

(٢) المصدر نفسه : ج٨ ، ص ٣٣٣٢.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم، ج٨،ص٢٨٥ . وانظر كذلك : المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٢٢٢، وابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٦٦ . وابن العبري: تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٠.

(٤) ابن عبد ربه : العقد ، ج٥ ، ص ١٨١-١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طريق ، فقال له : هل ترى أن أعطيك هذه الفرس - فإني لا أعلم بمكان مثلها - على أن تبلغ هذا الكتاب أمير المؤمنين ، ليس فيه حاجة بمسألة دينار ولا درهم ؟ فأخذها وأخذ الكتاب، فلما قدم على هشام سأله ما قصة هذا الفرس ؟! فأخبره فقال: هات الكتاب، فإذا فيه:

أَبْلِغْ إِلَيْكَ أَمِيْرَ المُؤْمِنِينَ فَقَدْ أَمْدَدْتَنا بِأَمِيْرٍ لَيْسَ عِنِّيْنا
طَوْراً يُخَالِفُ عَمْراً في حَلِيْلَتِهِ وَعِنْدَ سَاحَتِهِ يُسْقى الطِّلا دِينا

فلما قرأ الكتاب بعث إلى سعيدٍ فأشخصه؛ فلما قدم عليه علاه بالخيرزانة وقال: يا ابن الخبيثة، تزني وأنت ابن أمير المؤمنين !... واللهِ لا تلي لي عملاً حتى تموت ! قال: قال : فما ولي له عملاً حتى مات)).

ك- الإجابة عن أسئلة الأبناء ابتغاء تعليمهم.

ولم يبخل خلفاء بني أمية على أولادهم في الإجابة عن أسئلتهم التي كانوا يطرحونها بين الحين والآخر، وجاءت هذه الإجابات تعليمية مؤثرة؛ ومن الأمثلة على ذلك ما رواه البلاذري فقال[١] : ((... بلغنا أن يزيد بن معاوية قال لأبيه: يا امير المؤمنين ، متى يكون العلم ضاراً ؟ قال : إذا نقصت القريحة، وفصلت الرواية)).

وأجاب عبد الملك بن مروان ولده الوليد عن سؤاله عن ماهية السياسة جواباً مختصراً يسهل عليه حفظه وفهمه؛ قال ابن قتيبة[٢] : ((... وقال الوليد لعبد الملك : يا أبتِ ما السياسة ؟ قال: هيبة الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصَّنائع)).

٢- علاقة الآباء بالبنات في الأسرة الأموية:

وأما علاقة الخلفاء ببناتهم فلم يُحفظ منها إلا النزر اليسير؛ إما لقلتها، أو تحرزاً من الخطأ الموقع في قذف المحصنات.

وما وصل من أخبار هذه العلاقة يكشف أنها كانت مثل علاقة أي أب ببناته مبنية على العطف، والمحبة، والتوجيه، ومتابعتهن في حياتهن الزوجية، وربما يظهر

(١) البلاذري : أنساب ، ج٥ ، ص ١١٦.
(٢) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج١ ، م١، ص ١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأي خلفاء بني أمية ببناتهم من هذا الحوار الذي جرى بين عمرو بن العـــاص ومعاويـــة

ورواه ابن قتيبة فقال [١]:((... دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشـــة ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين فقال: هذه تفاحة القلب فقال : انبذها عنك، قال : ولـــم ؟ قال : لأنهن يلدن الأعداء ، ويقرِّبن البُعداء، ويورثن الضغائن ؛ فقال : لا تقـــل ذاك يـــا عمرو، فواللهِ ما مرّض، المرضى ولا نَدبَ الموتى، ولا أعان على الأحزان مثلهن، وإنك لواجدٌ خالاً قد نفعه بنو أخته؛ فقال له عمرو: ما أعلمك إلا حببتهنَّ إليَّ ...)) .

وكان معاوية بن أبي سفيان يتابع بناته في حياتهن الزوجية بدليل أنه تمنى طلاق ابنته رملة من زوجها عمرو بن عثمان بن عفان لأنها لم تكن سعيدة في زواجهـــا ؛ قال البلاذري[٢]: ((... قدمت رملة بنت معاوية على أبيها فقال : أطلقّكَ عمرو ؟ فقالـــت :لا ، فقال ليته فعل)).

ويتضح شقاء رملة في حياتها الزوجية مع عمرو من قولها لوالدها حـــين زارتـــه وسألها عن تطليق عمروٍ لها [٣]: ((... الكلب أَضنُّ بشحمته ...)) .

وتعامل مع ابنته الثانية هند بحكمة وعقلانية حين منعت زوجها من قضاء حاجته منها ليلة زفافها ؛ إذ هدّأ من روعها، وكسر في نفسها حاجز الخوف؛ وقد تفرد ابن كثير برواية هذه الحادثة فقال [٤]: ((... وهند بنت معاوية تزوجها عبد الله بـــن عـــامر، فلمـــا أدخلت عليه بالخضراء جوار الجامع أرادها على نفسها؛ فتمنعت عليه، وأبت أشد الإباء، فضربها فصرخت، فلما سمع الجواري صوتها صرخن، وعلت أصواتهن، فسمع معاويـــة فنهض إليهن، فاستعلمهن ما الخبر؟ فقلن : سمعنا صوت سيدتنا فصحنا، فدخل فإذا بهـــا تبكي مـــن ضربه، فقال لابن عامر: ويحك !! مثل هذه تُضرب في مثل هذه الليلة؟ ثـــم قال: أخرج من ها هنا ؛ فخرج ابن عامر وخلا بها معاوية فقال لها : يا بُنية إنه زوجـــك الذي أحله الله لكِ ؛ أوما سمعتِ قول الشاعر:

مِنَ الخَفِراتِ البِيْضُ أَمَّا حَرامُها فَصَعْبٌ وأَمَّا حِلُها فَذَلولُ ؟

---

(١) ابن قتيبة : نفسه ، م٢، ج٧، ص ٩٩. وابن عبد ربه : العقد ، ج٢ ، ص ٢٤٤.

(٢) البلاذري : أنساب ، ج٥ ، ص ٨٠.

(٣) المصدر نفسه : ج٥ ، ص ٥٢.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ، ج٨، ص٥٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم خرج معاوية من عندها وقال لزوجها: أدخل فقد مهدت لك خلقهـا ووطأتـه. فدخل ابن عامر فوجدها قد طابت أخلاقها فقضى حاجته منها ...)) .

وصرّح عبد الملك بن مروان بأن ابنته فاطمة كانت عنده أهم شيء خلّفـه فـي حياته؛ مما يكشف عن حبه الشديد لها، ويوضح طبيعة العلاقة الحميمـة بـين الخلفـاء الأمويين وبناتهم؛ وقد روى الذهبي هذا الخبر فقال[١] : ((... لما أيقن عبد الملك بـالموت دعا مولاه أبا عِلاقة فقال: واللّهِ لوددت أني كنت منذ ولدت إلى يومي هذا حمّالاً . ولـم يكن له من البنات إلا واحدة ، وهي فاطمة وكان قد أعطاها قِرطي مارية، والدرة اليتيمة، وقال : اللهم إني لم أُخَلِّف شيئاً أهم منها إليّ فاحفظها ...)) .

وذُكر أن عمر بن عبد العزيز كان يوجّه بناته حتى في طريقة نومهن؛ قال عبـد الملك بن حبيب[٢] : ((... حدثني أصبغ بن الفرج ... عن الشعبي عن حميـدة حاضنـة عمـر بن عبد العزيز أنه كان ينهي بناته أن ينمن مستلقيات)).

وكان هشام بن عبد الملك يحمل ابنته عائشة معه في موكبه؛ مما يدل على رفعـة مكانتها عنده، قال البلاذري[٣] : ((... كانت عائشة تسير مع هشام في موكبه لإعجابه بها، وكانت لها خيل تسبق)).

وبلغ من حرص بعض خلفاء بني أمية وأمرائهم على البنات أن أوصوا بعدم خروجهن من بيوتهن إلا إلى القبر؛ قال ابن عساكر[٤] : ((... كان سعيد بن العاص والياً لمعاوية على المدينة ... فلما احتضر دعا ابنه عَمْراً فقال : ... وانظر بناتي فلتكن قبورهن بيوتهن إلا من الأكفان ...)) .

وأوصى مروان بن محمد بن مروان خادمه أن يقتل ابنته أثناء فراره من دعاة الدولة العباسية خوفاً من وقوعها في أيديهم؛ قال الجاحظ [٥] : ((... وقد كان مروان بن

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج٦، ص ١٤٣.
(٢) عبد الملك بن حبيب : كتاب أدب النساء ،ص ٢٠٦.
(٣) البلاذري: أنساب ، ج٩ ، ص ٢٩.
(٤) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق، ج٢١، ص ١٣٤.
(٥) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣ ، ص ٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد حين أحيط به دفع البُردّ والقضيب إلى خادمٍ له ، وأمره أن يدفنهما في بعض تلك الرمال، ودفع إليه بنتاً له ، وأمره أن يضرب عنقها)).

٣- علاقة الأمهات بالأبناء في الأسرة الأموية:

وليس في المصادر المتاحة شيء ذا بال حول علاقة أمهات أمراء بني أمية بهم، فقد أوردت هذه المصادر النزر اليسير من الأخبار المتصلة بهذه العلاقة، وما رشح من هذه الأخبار لا يعد كافياً لاعطاء صورة متكاملة عن طبيعة هذه العلاقة ، وهي في معظمها تكشف عن العاطفة الفطرية للأمهات تجاه أبنائهن المتمثلة في العطف عليهم، والعناية بهم، والغضب من أجلهم ومن ذلك أن أُم الحكم شقيقة معاوية بن أبي سفيان غضبت على معاوية بن حديج، وأهانته على مسمع من معاوية لأنه أعاد ابنها ورفض تولية معاوية له على مصر؛ قال الطبري [١]: ((... استعمل معاوية ابن أم الحكم على الكوفة فأساء السيرة فيهم فطردوه فلحق بمعاوية وهو خاله فقال له : أُوليّك خيراً منها، مصر قال: فولاه فتوجه إليها، وبلغ معاوية بن حديج السكوني الخبر، فخرج فاستقبله على مرحلتين من مصر فقال: ارجع إلى خالك فلعمري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة . قال فرجع إلى معاوية، وأقبل معاوية بن حديج وافداً؛ قال: وكان إذا جلس قُلّست له الطريق يعني ضربت له قباب الريحان. قال: فدخل على معاوية وعنده أم الحكم فقالت: من هذا يا أمير المؤمنين ؟! قال : بخ هذا معاوية بن حديج ؟ قالت لا مرحباً به تسمع بالمعيديّ خيرٌ من أن تــراه...)) .

وذكر أبو الفرج الأصفهاني [٢]: ((... أن ميسون بنت بحدل الكلبية كانت تزيِّن يزيد بن معاوية وتُرجِّل جُمَّتَهُ ...)) .

واستشاطت أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب غضباً حين أصيب ابنها عمر بن عبد العزيز في جبينه؛ وعاتبت زوجها لعدم تكليفه أحد الخدم أن يعتني به ؛ روى الطبري [٣]: ((... أن عمر بن عبد العزيز رمحته دابة وهو غلام بدمشق، فأُتيت به أُمُّه أم

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ، ج٦، ١٧٤. وانظر كذلك: أبي مخنف : نصوص من تاريخ ، ج٢، ص٢٤. وابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص ٣٥٨-٣٥٩. وابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨، ص ٤٧٥.

(٢) الأصفهاني: الأغاني ، ج١٧،ص١٣٦.

(٣) الطبري: نفسه، ج٨، ص١٣٧-١٣٨ . وانظر : الأصفهاني : نفسه ، ج٩، ص ١٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فضمته إليها وجعلت تمسح الدم عن وجهه، ودخل أبوه عليها على تلك الحال، فأقبلت عليه تعذله وتلومه وتقول : ضيّعت ابني ولم تضم إليه خادماً ولا حاضناً من مثل هذا ؛ فقال لها : اسكتي يا أم عاصم فطوباك إذا كان أشج بني أمية...)).

وصوّر الدكتور حسين عطوان علاقة زينب بن محمد بن يوسف بابنها الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال[١]: ((... ويفترض افتراضاً يرجحه صبابة يزيد بالحسان وخضوعه لهن، وإدلال زينب عليه بجمالها، لما نالت من حظوة عنده، أن زينب نشَّأت الوليد نشأة ناعمة مترفة، وأحاطته برعايتها وحنانها، ومحضته خالص ودها وعطفها ... وقد سعت إلى إقناع زوجها بالإهتمام بابنها الوليد ، ونجحت في سعيها ، فمال يزيد إليه ، واحتفل به، وفضّله على إخوته . وعملت لتزكيته لولاية العهد، وأفلحت بما شاءت، وفازت به، إذ عيّنه يزيد ولي عهده الثاني ...)) .

٤- رثاء الأبناء وتأبينهم:

ولم تكن مشاعر الأبوة من خلفاء بني أمية تجاه أولادهم تقتصر على المحبة لهم، والحرص عليهم أثناء حياتهم، بل أظهروا مشاعر الحزن على من مات منهم؛ فعبد الملك ابن مروان حزن حزناً شديداً على موت ولده مروان وكان يحبه حباً شديداً ولكنه رضي بقضاء الله وقدره محتسباً الأجر والثواب عنده جل جلاله ؛ وقد صور المبرد هذا الحزن فقال[٢]: ((... كان مروان بن عبد الملك،وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، من أحب ولد عبد الملك إليه، فتوفي في حياة عبد الملك، فكان أهل العلم بعبد الملك بن مروان يرون أنه لو بقي لثلّث به في العهد. فكتب إلى عبد الملك بعض عمومته من بني الحكم، وهو غائب، يعزيه عنه، ويسأله كيف كان صبره؛ فكتب إليه عبد الملك :

كَتَبْتَ تَسْأَلُ عَنْ صَبْرِي لِتَعْلَمَهُ عَلَى الرَّزِيَّةِ في المَأْمُولِ مَرْوَانِ
فَقَدْ صَبَرْتُ بِعَوْنِ اللهِ مُحْتَسِباً لِمَوْعِدِ اللهِ مِنْ فَوْزٍ ورِضْوَانِ
ولَوْ حَزِنْتُ فَلَمْ أَصْبِرْ لِفُرْقَتِهِ مَا كَانَ في فَقْدِهِ مَنْهاةُ أَحْزَانِي

---

(١) حسين عطوان : الوليد بن يزيد ، ص ٦١.

(٢) المبرد : التعازي والمراثي ، ص ١٦٢-١٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

... وبلغني أن عبد الملك أمر غاسله إذا فرغ من جهازه أن يؤذنه ففعل، فكشف عن وجهه، ثم قال: الحمد للهِ الذي يقتل أولادنا ونُحبُه)).

ورثى سليمان بن عبد الملك ابنه أيوب معلناً عن تكّدر الحياة بعده؛ قال الجاحظ[١] :((... لما دفن سليمان بن عبد الملك ابنه أيوب وقف ينظر إلى قبره ، وأنشأ يقول:

كُنْتَ لنا أُنْساً فَفَارَقْتَنا فَالعَيْشُ مِنْ بَعْدِكَ مُرُّ المَذَاقِ

ولما قربت دابته ليركبها ، وقف على قبره وقال:

وُقُوفُكَ على قَبْرٍ مُقِيْمٍ بِقَفْرَةٍ مَتاعٌ قَلِيْلٌ مِنْ حَبِيْبٍ مُفَارِقِ))

وقد لاحظ أحد القراء قلة صبر سليمان بن عبد الملك على موت ابنه أيوب فوعظه ليصبر ويحتسب؛ وقد روى المبرد هذه الموعظة فقال[٢] : ((... جزع سليمان بن عبد الملك على ابنه أيوب، فقال له رجل من القراء: يا أمير المؤمنين ، إن امرءاً حدّث نفسه بالبقاء في الدنيا، وظن أنه يَعْرى من المصائب فيها لغير جيد الرأي، فكان ذلك أول ما تسلى به)).

ووقف عمر بن عبد العزيز على قبر ابنه عبد الملك مؤبناً ومعدداً مناقبه وصفاته الحميدة، داعياً له بالرحمة؛ قال البلاذري [٣]: ((... قام عمر على قبر ابنه حين دفنه فقال: رحمك الله إن كنت لتسرني حياً فأنا بك اليومَ أسرُّ، فرحم الله من قال : رحمك الله يا عبد الملك ...)).

وروى المبرد عنه أيضاً أنه وقف على قبر ابنه عبد الملك وقال [٤]: ((... رحمك الله يا بني، لقد كنت ساراً مولوداً ، وباراً ناشئاً ، وما أحبُ أني دعوتك فأجبتني ...)) .

وفُجع الوليد بن يزيد بابنه مؤمن فرثاه قائلاً : [٥]

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ، ج٤ ، ص ٥٨-٥٩ . والبلاذري : أنساب . ج٨، ص ٣٣٠٤.

(٢) المبرد : التعازي والمراثي ، ص ٥٢.

(٣) البلاذري : نفسه ، ج٨ ، ص ٣٣٠٤. وانظر كذلك : الجاحظ : نفسه، ج٤ ، ص ٥٨-٥٩.

(٤) المبرد: نفسه، ص ٨٩. وابن عبد ربه: العقد ، ج٣ ، ص ١٧٦.

(٥) الوليد بن يزيد : الديوان ، ص ٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَتَاني سِنَانٌ بالوِدَاعِ لِمُؤْمِنٍ فَقُلْتُ لَهُ: إنِّي إلى اللهِ رَاجِعُ
وَكَيْفَ بُكائِي مُؤْمِناً وَلَقَدْ أَرَى بِأَنِّي لَهُ يا نَفْسُ لا بُدَّ تَابِعُ
أَلا أَيُّها الحاثي عَلَيْهِ تُرابَهُ تَعِسْتَ وَشَلّتْ مِنْ يَدِيكَ الأَصَابِعُ
يَقُولونَ: لا تَجْزَعْ وَأَظْهِرْ جَلادةً فَكَيْفَ بِما تُحْنى عَلَيْهِ الأَضَالِعُ

٥- علاقة الأبناء بالآباء في الأسرة الأموية:

وأما طبيعة علاقة الأبناء بآبائهم في الأسرة الأموية؛ فلم تورد المصادر المتوافرة من الأخبار ما يكفي لتكوين فكرة كافية عنها، إذ دارت معظم الأخبار التي وصلت إلينا على العلاقة بين يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ووالده لما لهذه العلاقة من أهمية خاصة عند القدماء، إذ يغلب على الظن أنهم اهتموا بها اهتماماً كبيراً لما نتج عنها من تغيير في مفهوم الخلافة.

وكان معاوية يسع ابنه يزيد، ويحلم عن سوء تصرفه، وقلة كياسته، يريد أن يربيه ويعلمه؛ ومن الأمثلة على ذلك دخول يزيد عليه من غير استئذان؛ قال الجاحظ[١] :((ويقال إن يزيد بن معاوية كان بينه وبين أبيه باب : فكان إذا أراد الدخول عليه قال: يا جارية ؛ انظري هــل تحرّك أمير المؤمنين ؟ فجاءت الجارية مرة حتى فتحت الباب ، فإذا معاوية قاعدٌ وفي حجره مصحف، وبين يديه جارية تصفحُ عليه . فأخبرت يزيد بذلك، فجاء يزيد فدخل على معاوية، فقال له: أي بُنَيَّ إني إنما جعلت بيني وبينك باباً ، كما بيني وبين العامة ؛ فهل ترى أحداً يدخل من الباب إلا بإذن ؟! قال: لا . قال: فكذلك فليكن بابك، فإذا قرع عليك فهو إذنك)) .

ومنها أيضاً تدخله في خصوصيات والده، ومحاولة ضرب جواريه؛ قــال البــلاذري[٢] : ((... كان معاوية معجباً بجارية له ، فدخل عليه يزيد يوماً وهي جالسة على السرير ومعاوية على الأرض، وفي يدها قضيب تلويه على رأسه فقال يزيد : أَوَهذا أيضاً؟! وهمّ بها، فبادرت فدخلت بيتاً، فقال معاوية : ويحكِ شُدي لِزاز الباب دونه، وأراد يزيد دفع الباب فنهاه معاوية، ثم قال: ومن يعذرنا من هذا ! يدخل علينا ويضرب

(١) الجاحظ : التاج في أخلاق الملوك، أحمد زكي ، المطبعة الأميرية، القاهرة، ص ١٢٦.
(٢) البلاذري : أنساب ، ج٥ ، ص ٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جوارينا، ارجع يا بنيّ فإن الجواري لعب، والرجل في بيته مع أهله بمنزلة الصبي، فاستحيا يزيد وخرج ».

وحين أصرّ معاوية على توليته الصائفة، كتب إليه يزيد أبياتاً تدل على عدم اللباقة في مخاطبة الابن لوالده؛ قال ابن عبد ربه[١] : « ... أراد معاويـــة أن يقدّم ابنه يزيد على الصائفة فكره ذلك يزيد، فأبى معاوية إلا أن يفعل فكتب إليه يزيد:

تَجَنّى[٢] لا يَزَالُ يَعّدُ ذَنْباً لِتَقْطَعَ وَصْلَ حَبْلِكَ مِنْ حِبَالي
فَيُوْشِكُ أَنْ يُرِيحَكَ مِنْ أَذاتي نُزُوليَ في المَهَالِكِ وارْتِحالي »

وروى ابن شاكر الكتبي بيتين ليزيد بن معاوية أرسلهما إلى أبيه يدلان على جفاء طبعه وغلظة نفسه في معاملته له؛ يقول[٣]: «... ولما تحقق معاوية أن يزيد يشرب الخمر عزَّ عليه ذلك وأنكر عليه وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من ابتلى بشيء من هذه القاذورات فليستتر، وإنك تقدر على بلوغ لذتك في ستر ؛ فتماسك عن الشرب ثم دعته نفسه لما اعتاده فجلس على شرابه، فلما استخفه الخمر وداخله الطرب قال يشير إلى أبيه :

أمِنْ شَرْبَةٍ مِنْ مَاءِ كَرْمٍ شَرِبْتُها غَضِبْتَ عليَّ ؟! الآنَ طَابَ لَي السُكْـرُ
سَأَشْرَبُ فأَغْضَبْ لا رَضِيْتَ، كِلاهما حَبِيْبٌ إلى قَلْبي : عُقُوقكَ والخَمْـرُ»

وربما كان هاذان البيتان مما وضع على يزيد للتشهير به، لأن ابن شاكر تفرد بروايتهما.

ولكن يزيد كان رقيق العاطفة مع ابيه في المواقف التي تستدعي ذلك، فقد حزن لوفاة أبيه حزناً شديداً عبّر عنه فقال [٤]:

---

(١) ابن عبد ربه : العقد ، ج٥ ، ص ١٠٩ .

(٢) في الأصل (نَجِيٌّ) والتصحيح من الديوان، تحقيق واضح عبد الصمد، ص ٥٨.

(٣) الكتبي : فوات الوفيات ، إحسان عباس، دار صـــادر ، بيـــروت ، م٤ ، ص ٣٣٣ . وانظـــر كـــذلك : الابشيهي: المستطرف، ج٢ ، ص ٢٥٩ ولم يجزم أنها ليزيد بن معاوية. ويزيد بن معاوية : الديوان، ص ٤٤.

(٤) المبرد : التعازي والمراثي، ص ١٣٨ . وانظر كذلك البلاذري : أنساب ، ج٥ ، ص ١٦١ . والطبري: تاريخ الأمم ، ج ٦ ، ص ١٨٢-١٨٣ . وابن عبـــد ربـــه : العقـــد ج٥ ، ص ١١٥ . والأصـــفهاني:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جَاءَ البَرِيْد بِقِرْطَاسٍ يَخُبُّ بِهِ ... فَأَوْجَسَ القَلْبُ مِنْ قِرْطَاسِهِ جَزَعَا
قُلْنَا : لَكَ الوَيْلُ مَاذَا في صَحِيْفَتِكُمْ ... قال : الخَلِيْفَةُ أَمْسَ مُثْبَتاً وَجِعَا
فَمَادَتْ الأَرْضُ أَوْ كَادَتْ تَمِيْدُ بِنَا ... كَأَنَّ أَغْبَر مِنْ أَرْكَانِها انْصَدَعَا
ثُمَّتَ مِلْنَا إلى عِيسٍ مُزمَّمَةٍ ... نَغْشى الفِجَاجَ بِها لا نَأْتلي سَرَعَا
لَسْنَا نُبَالي إِذَا بَلَّغْنَ أَرْحُلَنَا ... مَنْ مَاتَ مِنْهُنَّ بالبَيْدَاءِ أَوْ ظَلَعَا
حَتَّى دَفَعْنَا لِرَأْسِ النَّاسِ كُلِّهِمُ ... هَدْياً وَخَيْرِهِمْ فِعْلاً ومُصْطَنَعَا
مَنْ لَمْ تَزَلْ نَفْسُهُ تُوفى على شَرَفٍ ... تُوْشِكُ مَقَادِيْرُ تِلْكَ النَّفْسِ أَنْ تَقَعَا
لَمَّا انتَهَيْنا وَبَابُ الدَّارِ مُنْصَفِقٌ ... لِصَوْتِ رَمْلَةَ رِيْعَ القَلْبُ فَانْقَلَعَا

وكان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز يشحذ همة والده، ويدعوه إلى الحزم في امضاء الأمور؛ قال ابن عبد ربه[١] : ((... وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر : يا أبتِ ، مالك لا تَنْفُذُ في الأمور، فواللهِ لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور. قال له عمر: لا تعجل يا بني، فإن الله تعالى ذم الخمر في القرآن مرتين وحرّمها في الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملةً فيدفعوه وتكون فتنة)).

وكان لهشام بن عبد الملك مهابة عند ولده ولذلك كان بعضهم يكتب إليه بحاجته كتابة ولا يعرضها عليه شفوياً؛ قال الطبري[٢] : ((... وكتب سليمان بن هشام إلى أبيه أن بغلتي قد عجزت عني؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بدابة فعل. فكتب إليه قد فهم أمير المؤمنين كتابك وما ذكرت من ضعف دابتك، وقد ظن أمير المؤمنين أن ذلك من قلة تعهُّدك لعلفها، وإن علفها يضيع فتعهد دابتك في القيام عليها بنفسك ويرى أمير المؤمنين رأيه في حملانك)).

الأغاني ، ج١٧ ، ص ١٣٧ . وابن الأثير : الكامل ج٣ ، ص ٣٧١ . وابن كثير : البداية والنهاية، ج٨، ص ٥٣٩. ويزيد بن معاوية : الديوان ، ص ٤٦-٤٨ .

(١) ابن عبد ربه : العقد ، ج١ ، ص ٣٠ . وانظر : الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٦ ، ص ٤١٩ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم، ج٨ ، ص ٢٨٥ . وانظر كذلك : البلاذري : أنساب ، ج٨، ص ٣٥٥٩ . والمسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٢٢٢ . وابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص ٤٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علاقة الأخوة عند بني أمية

١- بعض الجوانب الإيجابية:

ظهر في علاقة الأخوة عند بني أمية بعض الجوانب الإيجابية، فقد كان بعضهم يحزن حزناً شديداً عند موت شقيقه؛ ومن الأمثلة على ذلك ما قاله معاوية بن أبي سفيان بعد موت شقيقه عتبة قال البلاذري [١]: ((... قال معاوية حين مات عتبة أخوه: لولا أنَّ الدنيا بُنيت على نسيان الأحبة لظننت أنّي لا أنسى أخي عتبة أبداً)) .

ورثى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز أخاه عاصماً حين مات رثاءً حزيناً يكشف عن مدى الحب الذي كان يكنه لأخيه؛ إذ يقول : [٢]

إنْ تَكُ أَحْزَانٌ وَفَائِضُ عَبْرَةٍ أَثَرْنَ دَماً مِنْ دَاخِلِ الجَوْفِ مُنْقعَا
تَجَرَّعْتُها في عاصِمٍ فَاحْتَسَبْتُها لأَعْظَمُ منها ما احْتَسَى وَتَجرَّعا
فَلَيْتَ المَنايا كُنَّ صَادَفْنَ غَيْرُه فَعِشْنا جَميعاً أَوْ ذَهَبْنَ بِنَا مَعا

وأورد البلاذري خبراً يوحي بأن أبناء الوليد بن عبد الملك كانوا متحابين متماسكين، يوقر صغيرهم كبيرهم؛ إذ يقول[٣] : ((... قالوا : وكان بنو الوليد ثمانية عشر سراةً فكانوا يركبون، فإذا رجعوا مضوا مع أكبرهم إلى منزله، فإذا دخل انصرفوا مع الذي يليه إلى آخرهم)).

وسبب حبهم وتماسكهم هو اقتداؤهم بسيرة والدهم الحسنة، وتعطفه على أخوته، قال المسعودي[٤]:((... وكان الوليد متحنناً على إخوته، مراعياً لسائر ما أوصاه به عبد الملك...)).

---

(١) البلاذري: أنساب، ج٥ ، ص ٤٥.
(٢) المبرد : التعازي والمراثي، ص ٩١.
(٣) البلاذري: نفسه ، ج٨ ، ص ٣٢٥٩.
(٤) المسعودي: مروج الذهب، ج٣ ، ص ١٧٣ –١٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- بعض الجوانب السلبية:

وتأثرت علاقة الأخوة في الأسرة الأموية بالتنافس على الخلافة سلباً وإيجاباً؛ فالخلاف بين عتبة وعنبسة شقيقي معاوية بن أبي سفيان كان بتأثير مباشر من هذا العامل، إذ نشب الخلاف بسبب عزل معاوية لعنبسة عن ولاية الطائف وتولية عتبة، لأنه شقيقه لأمه وأبيه؛ قال البلاذري[١]: ((... ولّى معاوية عنبسة بن أبي سفيان وأمه ابنة أبي أُزيْهر، الطائف ، ثم عزله وولى الطائف عتبة بن أبي سفيان ، وأمه هند بنت عتبة ، فقال له عنبسة : يا أمير المؤمنين والله ما نزعتني عن ضعف ولا خيانة ! فقال معاوية : إن عتبة ابنُ هندٍ ، فولّى عنبسة وهو يقول :

كُنّا لِحَرْبٍ صَالِحاً ذَاتُ بَيْنِنا جميعاً فأمست فَرَّقَتْ بَيْنَنا هِنْدُ
فَإِنْ تَكُ هِنْدٌ لَمْ تَلِدْنِي فإنّني لِبَيْضَاءَ يَنْمِيها غَطارِفَةٌ مُجْدُ
أَبُوها أبو الأَضْيَافِ في كُلِّ شَتْوَةٍ ومأوى ضِعَافٍ قَدْ أَضَرّبِها الجَهْدُ))

وتمنى سليمان بن عبد الملك موت أخيه الوليد بسبب خطئه في قراءة آية أمام الرعية؛ روى الذهبي[٢]: ((أن الوليد بن عبد الملك قرأ على المنبر : « يَا لَيْتَها كَانَتِ القاضِيَةَ» -برفع القاضية- وتحت المنبر عمر بن عبد العزيز وسليمان بن عبد الملك، فقال سليمان : وددْتُها والله)).

وقضى مروان بن عبد الملك نحبه إثر شتم شقيقه له لخلاف حدث بينهما ؛ قال المبرد [٣]: ((... وكان سبب موت مروان بن عبد الملك أنه وقع بينه وبين أخيه سليمان كلام فعّجل عليه سليمان، فقال له: يا ابن مُلخِّين أمه، ففتح فاه ليجيبه وإلى جانبه عمر بن عبد العزيز فأمسك على فيه ورَدّ كلمته وقال : يا أبا عبد الملك أخوك وإمامك وله السِّنُ عليك. فقال : يا أبا حفص ! قتلتني . قال : وما صنعتُ بك ؟ قال : ردَدْتَ في جوفي أحرّ من الجمر؛ ومال لجنبه فمات)).

---

(١) البلاذري: أنساب ، ج٥ ، ص ٤٥ -٤٦ . وانظر كذلك : الزبيري: نسب قريش، ص١٢٥. وابن الكلبي: جمهرة النسب ، ص ٥٠. والطبري : تاريخ الأمم ، ج٦ ، ص ١٨٥-١٨٦.

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٦ ، ص ٤٩٩.

(٣) المبرد : التعازي والمراثي، ص ١٦٣ . وانظر كذلك الزبيري: نفسه ، ص ١٢٦. والذهبي: نفسه، ج٦ ، ص ٤٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويكشف الحوار التالي بين مسلمة بن عبد الملك وشقيقه هشام عن مصارحة بعضهم لبعض بخصائصه النفسية والخلقية؛قال الجاحظ [١]: ((... وقال مسلمة بن عبد الملك لهشام بن عبد الملك : كيف تطمع في الخلافة وأنت بخيل وأنت جبان ؟ قال: لأني حليم وأنّي عفيف)) .

وكان بعض الأخوة في الأسرة الأموية سيء الظن في أخيه، متهماً له بالمجون والفسق؛ قال البلاذري [٢]: ((... وكان سليمان ممـــن سعى على الوليد أخيه، فغسل ابن فروة الرأس ووضعه في سفط، وأتى به سليمان فقال أخوه : أشهد أنه كان شروباً للخمر، ماجناً فاسقاً ، ولقد أرادنـــي على نفســـي فأبيـــتُ ...)) .

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ، ج٢ ، ص ١٦٩.

(٢) البلاذري : أنساب ، ج٨ ، ص ١٨١ – ١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العمومة عند بني أمية

١- بعض الجوانب الإيجابية:

حرصت المصادر المتوفرة على عدم إظهار الجوانب الإيجابية في العلاقات الأسرية عند بني أمية؛ انسياقاً مع الهوى الشخصي، وإسترضاءً للعباسيين، مما جعل هذه الجوانب شحيحة لا تساعد على تكوين صورة متكاملة عن الجانب الحسن من علاقة العمومة في هذه الأسرة، وما وصل من أخبار عن هذا الجانب يوحي بتأثير العامل السياسي فيه أيضاً، فقد تأثر الوليد بن يزيد تأثراً عظيماً حين توفى عمه مسلمة لأنه كان يكف عمه هشاماً عنه، وقد صوّر حزنه على موته بقوله يرثيه : (١)

أَتَانَا بَرِيدَان مِنْ وَاسطٍ يَخُبّانِ بالكُتُبِ المُعْجَمَهْ
أَقُولُ وَمَا البُعْدُ إلا الرَّدَى أَمَسْلَمَ لا تَبْعَدَنْ مَسْلَمَهْ
فَقَدْ كُنْتَ نُوراً لِنا في البِلادِ تُضِيءُ فَقَدْ أَصْبَحَتْ مُظْلِمَهْ
كَتَمْنا نَعِيُّكَ نَخْشَى اليَقِيْنَ فَجَلّى اليَقِيْنُ عَنِ الجَمْجَمَهْ
وكم مِنْ يَتِيمٍ تَلافَيْتَهُ بأَرْضِ العَدُوِّ وَكَمْ أَيِّمَهْ
وكُنْتَ إذا الحَرْبُ دَرَّتْ دَماً نَصَبْتَ لها رَايةٌ مُعْلَمَهْ

وقال أيضاً يرثيه :(٢)

أَهَيْنَمَةٌ حَدِيْثُ القَوْمِ أَمْ هُمْ سُكُوتٌ بَعْدَما مَتَع النَّهارُ:(٣)
عَزِيْزٌ كانَ بَيْنَهُمُ نَبِيّاً فَقَوْلُ القَوْمِ وَحْيٌ لا يُحَارُ:(٤)
كَأَنّا بَعْدَ مَسْلَمَةَ المُرَجّى شُروبٌ طَوَّحَتْ بِهِمُ عُقَارُ:(٥)
أَو الأَفٌ هِجَانٌ في قُيودٍ تَلَفّتُ كُلّما حَنّتْ ظُؤَارُ

---

(١) الوليد بن يزيد : الديوان ، ص ١١٩.
(٢) المصدر نفسه : ص ٦٠.
(٣) الهينمة: الكلام الخفي لا يفهم.
(٤) الوحي: الإشارة أو الكلام الخفي، ولا يحار: لا يفهم.
(٥) الشروب والشرب : القوم يجتمعون على الشراب. طوحت بهم : توهتهم وذهبت بهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَلَيْتَكَ لَمْ تَمُتْ وفَداكَ قَوْمٌ تُرِيحُ غَبِيّهُمْ عَنّا الدِّيارُ
سَقِيْمُ الصَّدرِ أَوْ شَكِسٌ نَكِيْدٌ وآخَرُ لا يَزُورُ ولا يُزَارُ

ومن أمثلة علاقة العمومة الإيجابية غير المرتبطة بالعامل السياسي غيرة يزيد ابـــن معاوية بن أبي سفيان على عمته، حين شبب بها عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ومطالبته والده بقتله؛ قال البلاذري[١] : ((... شبَّبَ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري بأخت معاوية، فغضب يزيد؛ فقال لمعاوية: يا أمير المؤمنين ، اقتل عبد الرحمن بن حسّان ، قال: ولم يا بني ؟ قال : لأنه شبب بعمتي ...)) .

ولم يؤثر التنافس السياسي في العلاقة بين ابن هشام بن عبد الملك وابن عمه؛ إذ آثر كل واحد منهما الآخر على نفسه؛ قال ابن عبد ربه[٢] : ((... وجّه هشام بن عبد الملك ابنه على الصائفة، ووجّه معه ابن أخيه ، وأوصى كل واحد منهما بصاحبه، فلما قدم عليه قال لابن أخيه : كيف رأيت ابن عمك؟ فقال : إن شئت أجملت وإن شئت فسَّرت قال: بل أجمل. قال: عُرضت بيننا جادَّة فتركها كُلٌّ واحد منا لصاحبه، فما ركبناها حتى رجعنا إليك ...)) .

٢- بعض الجوانب السلبية:

وكان للعامل السياسي أثر في تحديد طبيعة العلاقة بين أبناء العمومة ؛ فقد ساءت العلاقة بين الوليد بن يزيد وعمه هشام بتأثير مباشر من تنافسهما في طلب الخلافة وقد تفاقم الخلاف بينهما حتى لم تسلم النساء من آثاره السيئة؛ قال أبو الفرج الأصفهاني [٣] : ((... كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال :

فَحَسْبُ أبي العَباسِ كَأْسٌ وقَيْنَةٌ وَزِقٌّ إِذا دارَتْ بِهِ في الذَوائِبِ

فقال الوليد يهجوه ويعيّره بشرب أمه الشراب:

---

(١) البلاذري: أنساب ، ج٥ ، ص ٢٥. والأصفهاني : الأغاني ، ج١٥ ، ص ٧٦.
(٢) ابن عبد ربه: العقد ، ج٢ ، ص ٢٣٩.
(٣) الأصفهاني : نفسه ، ج١٦، ص ٤٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إِنَّ كَأْسَ العَجُوزِ كَأْسٌ رَوَاءٌ لَيْسَ كَأْسٌ ككَأْسِ أُمِّ حَكيْمِ[١]

إِنَّها تَشْرَبُ الرَّسّاطُونَ صِرْفاً في إناءٍ مِنَ الزُّجَاجِ عَظِيمِ[٢]
لَوْ بِهِ يَشْرَبُ البَعْيرُ أَوْ الفِيـْـ ـلُ لَظَـلاَّ في سَكْرَةٍ وغُمُومِ
وَلَدَتْهُ سَكْرى فَلَمْ تُحْسِنِ الطّلْـ ـقَ فَوافَى لِذاكَ غَيْرَ حَلِيمِ))

وساءت العلاقة بين مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد لاختلاف أهوائهما السياسية، فقد كان العباس يود أن يكون أخوه عبد العزيز ولي عهد يزيد بن عبد الملك ، ولكن مسلمة حال بينه وبين ذلك [٣]، وكان مسلمة بعد ذلك يطعن على العباس؛ روى البلاذري[٤] : ((... أن مسلمة بن عبد الملك كان يتنقص العباس بن الوليد بن عبد الملك حين بعث يزيد بن عبد الملك بهما لمحاربة يزيد بن المهلب بالعراق، ويحمقه فبلغ العباس ذلك فكتب إليه كتاباً فيه هذه الأبيات :

أَلا تَقْني الحَياءُ أَبا سَعِيْدٍ وتُقصِرُ عَنْ مُلاحاتي وَعَذْلي؟
فَلَوَلاْ أَنَّ أَصلَكَ حِيْنَ تَمْنى وَفَرْعُكَ مُنْتَهى فَرعْي وَأَصْلي
وَإني إِن رَمَيْتُكَ هِضْتُ عَظمي وَنَالَتْني إِذا نَالَتْكَ نَبْلي))

---

(١) أم حكيم هي زوجة هشام بن عبد الملك : ((... وكانت منهومة بالشراب مدمنة عليه لا تكاد تفارقه، وكأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس ...)). الأصفهاني : نفسه، ج١٦ ، ص ٤٥٢.

(٢) الرساطون: أهل الشام يسمون الخمر رساطون: اللسان ، مادة (رسط) .

(٣) انظر في هذه الحادثة : البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٥٥٧-٣٥٥٨. وابن عبد ربه : العقد ، ج٥ ، ص ١٧٦-١٧٧.

(٤) البلاذري : نفسه ، ج٨ ، ص ٣٥٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علاقة الخؤولة عند بني أمية

١- بعض الجوانب الإيجابية:

واستكمالاً لدراسة العلاقات الأسرية عند بني أمية يتعين الإلمام بعلاقة الخؤولة، لما كان لها من أهميةٍ خاصة عندهم، جاءت من حرص الخلفاء على الاقتران بالعربيات العريقات النسب، وقد ظهرت أهميتها من خلال اسناد بعض الخلفاء الأمويين بعض الوظائف المهمة في الدولة لأخوالهم، فهشام بن عبد الملك ولّى خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي مكة والمدينة والطائف سنة ستة ومائة . (١)

وولىّ خاله محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي مكة سنة ثلاث عشر ومائة.(٢)

وعندما آلت الخلافة إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولّى خاله يوسف بن محمد ابن يوسف الثقفي المدينة ومكة والطائف. (٣)

وكان يزيد بن معاوية يفخر بأفعال أخواله الكلبيين؛ قال البلاذري(٤) : ((... أُتي معاوية بصريع فقال ليزيد : أما في أخوالك من يصارع هذا ؟ قال: بلى ، الزبان خالي، فأتي به فصرعه، فقال يزيد:

أَقُولُ لَهُ والعَبْدُ يَكْبو لِوَجْهِـهِ لَقَدْ فَعَلَ الزبّانُ ما كُنْتُ أَعْرِفُ))

وافتخر ابن أم الحكم شقيقة معاوية على يزيد بخؤولتـه في قريـش؛ قال البلاذري(٥): ((... وقال ابن أم الحكم ليزيد : خالي من قريش وخالك من كلب فجئني بخالٍ مثل خالي ...)) .

---

(١) الزبيري : نسب قريش، ص ٣٢٩. وابن الكلبي: جمهرة النسب ، ص ٨٨. والطبري: تاريخ الأمم ، ج٨ ، ص ١٨٢ . وابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص ٣٧٦.

(٢) الزبيري : نفسه ، ص ٣٢٩. وابن الكلبي : نفسه ، ص ٨٨. والطبري: نفسه، ج٨، ص ١٨٢ . وابن الأثير : نفسه ، ج٤ ، ص ٣٧٦.

(٣) الطبري : نفسه ، ج٨، ص ٢٩٩. وابن الأثير: نفسه ، ج٤، ص ٣٧٦.

(٤) البلاذري: أنساب، ج٥، ص ١١٧ . وانظر كذلك : يزيد بن معاوية: الديوان، ص ٥١.

(٥) البلاذري: نفسه، ج٥، ص ٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقضى هشام بن عبد الملك عن المطلب بن عبد الله دينه الكبير لأنه كان من أخواله؛ إذ كانت أم المطلب أموية؛ قال البلاذري[١] : ((... قدم المطلب بن عبد الله بن حنطب، وأمه أم سلمة بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية على هشام بسبب هذه الخؤولة، فقضى عنه سبعة عشرة ألف دينار ...)).

٢- بعض الجوانب السلبية:

وظهرت بعض الجوانب السلبية في هذه العلاقة عند بني أمية؛ فمعاوية بن أبي سفيان رفض تزويج ابن اخته أم الحكم لأنه ليس مناسباً لابنته ولا يليق بها؛ قال البلاذري[٢] : ((... خطبت أم الحكم إلى معاوية ابنته على ابنها فأبى تزويجه. فقالت : قد زوج أبوك أباه، وأنا خير من ابنتك، وهو خير من أبيه، فقال : إن أبا سفيان كان سُوقةٌ ونحن اليوم ملوك، وكان أبو سفيان يُحب الزبيب والزبيب عندنا كثير . فقال ابن أم الحكم: إنَّ عليّاً زوّج ابنته ابن أخته! فقال معاوية : إنَّ عليّاً قرشيٌّ وأنت ثقفي ...)).

وهجا الحكم بن الوليد بن يزيد أخواله بعد مقتل أبيه لأنهم لم ينصروه فقال: [٣]

فَلَيْتَ خُؤُلَتي مِنْ غَيْر كَلْبٍ وَكَانَتْ في ولادَةُ آخَرينا

(١) البلاذري: أنساب، ج٩، ص ٣٧٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ج٥، ص ١٤٦.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم ، ج٩، ص ١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــة

يُستنتج مما سبق أن التعرف إلى صورة الأسرة الأموية وعلاقات أبنائها في الأدب الأموي يتأتى من خلال مقارنتها مع صورة الأُسر وعلاقات أفرادها في المجتمع الذي كانت تعيش فيه، واستخلاص وجوه الاتفاق والاختلاف بين هاتين الطبقتين.

وتبدأ المقارنة من التمهيد الذي ناقش تقاليد الزواج في المجتمع الأموي؛ فتبين أن أفراد المجتمع الأموي قد مارسوا فيه تقاليد عدة يتفق بعضها مع تلك التي سار عليها أبناء الأسرة الأموية، منها إرسال الوسطاء أو اللجوء إلى الدَّلاَّلة للحصول على زوجات تتفق صفاتهن الخَلْقية والخُلُقية مع رغباتهم، كما كانوا يرفضون تزويج بناتهم للرجال الذين يقلون عنهن في النسب، حتى وإن كانوا من علية القوم، وربما يكون السبب في ذلك هو عصبية العرب لأنفسهم، وإحساسهم بالتفوق على غيرهم من الشعوب، ولذلك كانوا يرفضون تزويج الموالي أو أولاد أمهات الأولاد، وتبين أيضاً أن العرب كانوا يرفضون تزويج الفتاة للرجل الذي شبب بها دفعاً للشبهة وخوفاً من الفضيحة.

واتضح من هذه التقاليد أن أبناء الأسرة الأموية وأفراد الرعية التزموا بتقليد خطبة النكاح فاستخدموه لنقل رغبة الخاطب إلى أهل المخطوبة للحصول منهم على الإيجاب والقبول.

وبدا كذلك أن أفراد الطبقتين التزموا بدفع حقوق الزوجة التي نص عليها الإسلام من مهرٍ وتوابعه، لكنهم تعاملوا معه على أساس طبقي؛ إذ كان مهر العروس يتفاوت حسب عراقة نسبها، ومكانة قبيلتها في المجتمع .

وتبين أن العروس كانت تحظى إلى جانب المهر بالأثاث والعطاء من خلال تقليد الجلْوة الذي يتماشى مع تعاليم الإسلام بضرورة نظر الخاطب والمخطوبة بعضهما إلى بعض، ثم منح الخاطب للمخطوبة ما تجود به نفسه من هدايا وعطايا.

وظهر أن المرأة كانت تُزين باستخدام بعض وسائل التجميل قبل زفافها، من مثل وضع بعض النقاط من الزعفران على وجهها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتبين من تقاليد الزواج أن التعبير عن الفرحة بالزفاف كان يتم من خلال وسائل عدة، منها الغناء والنقر على الدفوف، وتشييع العروس إلى بيت زوجها بحملها مع مرافقاتها في الهوادج، ومرافقة المشيعين لها إلى بيت زوجها الذي كان يولم للناس ويدعوهم إلى طعامه ابتهاجاً بزواجه.

واتضح أن أبناء الأسرة الأموية تميزوا عن أفراد الرعية بتقاليد تنسجم مع خصوصيتهم كطبقة حاكمة، منها دخول الشعراء بعد إجراء عقد النكاح لتهنئة العروسين شعراً يتداوله الناس، ثم توزع الأعطيات على الحضور، وتقضى الحاجات ابتهاجاً بهذا الزواج السلطاني.

وفي معرض مناقشة جوانب الحياة الزوجية تبين أن فيها جوانب إيجابية متشابهة تقريباً في كلا الطبقتين إذ هام بعض أفرادهما حباً بزوجاتهم عبروا عنه بقصائد غزلية بثوا فيها لواعج عواطفهم الجياشة، وتغنوا من خلالها بجمالهن وحسنهن.

وظهر أن بعض الأفراد من الطبقتين مدحوا زوجاتهم مركزين على نسبهن وعراقته، واتضح أن هذا النوع من المدح قد شح عند الطبقتين خوفاً من استعلاء الزوجات على أزواجهن.

وبدا أن الزوجات قد ساهمن في إضفاء الإيجابية على الحياة الزوجية في كلا الطبقتين من خلال وفائهن لأزواجهن في حياتهم وبعد مماتهم.

واتضح أن الأزواج في الطبقتين كانوا يفجعون بفقد أحدهما للآخر فعبروا عن أحزانهم شعراً رثوا فيه بعضهم بعضاً منوهين فيه بصفات المرثي الطيبة ومناقبه الحميدة.

وتبين أيضاً وجود بعض الجوانب الإيجابية التي تميزت بها الحياة الزوجية عند بني أمية انسجاماً مع تميز الأسرة الحاكمة، منها أن الزوجة كانت تتمتع بمكانة رفيعة تمثلت في تقبل الخلفاء لنقدها، وإجابة طلباتها، ومشاورتها في بعض الأمور والأخذ بهذه المشورة واصطحابها معهم في مواكبهم إلى الحج، كما تبين أن أن زوجات الخلفاء والأمراء الأمويين قد ساهمن في إيجابية الحياة الزوجية من خلال إظهارهن الخوف على أزواجهن من العامة والخاصة، ومحاولة استرضائهم بأية وسيلة للحصول على الحظوة عندهم حتى ولو كان ذلك على حساب مشاعرهن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واتضح أن الحياة الزوجية في كلا الطبقتين قد ظهر فيها جوانب سلبية مشتركة، من أهمها الملاحاة بين الزوجين بسبب سوء أخلاق الزوجة مع زوجها أو العكس، وإفراط الرجال في استخدام حقهم الشرعي في تعدد الزوجات، وامتلاك الجواري، واستغلال ذلك في مغايظة الزوجات والإضرار بهن؛ مما جعله جانباً سلبياً في الحياة الزوجية؛ مستفيدين مما نتج عن الفتوحات الإسلامية من المال الوفير، والسبي الكثير؛ فأدى ذلك إلى حصول الخلافات بين الزوجين بسبب غيرة الزوجة الفطرية من ضرتها وجواري زوجها.

وظهر أن الرجال في كلا الطبقتين لجأوا إلى التسري وتعدد الزوجات للتمتع بالمرأة، وإكثار النسل.

وبدا أن تعسف الرجال في كلا الطبقتين في استخدام حقهم الشرعي في الطلاق قد أدى إلى انهيار كثير من الأسر في المجتمع الأموي. واتضح أن الطلاق وقع عندهم بشكل عام لأسباب متشابهة منها تحريض الزوجات بعضهن على بعض، ونشوز الزوجة، وسوء أخلاقها مع زوجها، ولعيوب خلقية في الزوجة، وباشتراط من إحدى الزوجات، وتلبية لرغبة الزوجة.

وتبين أن المصادر المتوافرة لم تتحدث عن أثر الطلاق في العلاقات الأسرية في الأسرة في كلا الطبقتين بما يعنيه الطلاق من انتهاء للحياة الزوجية، وفقدان الأبناء لرعاية أحد الأبوين، وما له من آثار نفسية سيئة عند المرأة.

واتضح أن بعض الأخبار التي أوردتها تلك المصادر مما يتعلق بتطليق خلفاء بني أمية وأمرائهم لزوجاتهم تعسفياً فيها شيءٌ من الهوى السياسي والموقف الشخصي لرواتها للتشنيع على بني أمية وتشويه صورتهم.

وبدا تفرد الرعية ببعض الجوانب السلبية في الحياة الزوجية، منها مخاصمة أحد الزوجين للآخر عند ولي الأمر، وضرب أحدهما لصاحبه، وهجاء بعض الأزواج لزوجاتهم شعراً عبروا فيه عن كرههم لهن، ومللهم من طول عشرتهم معهن بسبب ذهاب جمالهن، وطعونهن في السن، وسوء أخلاقهن.

وتبين أن المرأة في كلا الطبقتين كانت تتمتع بشخصية قوية تؤهلها لحجب زوجها عن الدخول إليها أو طلب الطلاق منه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظهرت في الحياة الزوجية عند الأسرة الأموية بعض الأمور التي ميزتها عن الرعية منها أن أمراء هذه الأسرة لم يكونوا يتحرجون من شكاية زوجاتهم أمام خاصتهم من الرعية، وأنهم كان يستعينون بالمقربين والظرفاء منهم لاسترضاء زوجاتهم فاستغل هؤلاء رغبتهم في ذلك للحصول على مكاسب مالية وشخصية.

ومن تلك الأمور توظيف الزواج عند أبناء هذه الأسرة لتحقيق مآرب سياسية باستخدام المصاهرة والنسب مع خصومهم لحل المنازعات السياسية معهم، أو لضمان ولائهم، أو لإبعادهم عن منافستهم في الخلافة سواءً أكانوا من أفراد الأسرة الأموية أم من غيرها من خصومهم؛ واتضح في هذا المجال فشل هذه الزيجات في تحقيق أهدافها لمعرفة خصومهم لأهدافهم منها.

ومن تلك الأمور أن خلفاء بني أمية وأمراءهم وضعوا أسساً لاختيار زوجاتهم، منها: الحرص على الزواج من الأمويات والقرشيات الشريفات، والعربيات العريقات الكريمات حرصاً على خؤولة أولادهم، وانسجاماً مع العصبية القبلية التي شاعت في العصر الأموي، ومنها الحرص على الزواج من بنات عثمان بن عفان وحفيداته لإضفاء الشرعية على خلافتهم؛ وضماناً لعدم مطالبة أبناء عثمان وحفدته بالخلافة التي وصلوا إليها بسبب تعاطف الناس مع مطالبتهم بدمه، ومنها الزواج من الهاشميات لاستلال الضغائن من نفوسهم بسبب عنفهم بهم، ومنها حرص أمراء الفرع المرواني على الإصهار إلى الفرع السفياني تقرباً ؛ وضماناً لعدم منافستهم لهم على الخلافة ومطالبتهم باستعادتها، ومنها الحرص على الإصهار إلى أشراف القبائل توداداً إليهم، وضماناً لولائهم ولاستخدام نفوذهم في مقاومة خصومهم ومنافسيهم على الخلافة، ومنها الحرص على الزواج من بنات العم لزيادة التآلف بين أبناء الأسرة الواحدة، وتكاثر ذرية الأسرة الحاكمة، ونتج عن هذا الحرص تزوج الأمراء الأمويين للمطلقات والأرامل من نساء الأسرة حتى لا يتزوجن من خارجها.

واتضح أنهم اعتمدوا أسساً معينة لاختيار أزواج بناتهم، من أهمها تزويجهن في البيت الأموي، وتزويجهن أبناء عثمان بن عفان وحفدته تأكيداً لغايتهم في إبعادهم عن منافستهم لهم على الخلافة، وعدم تزويجهن من ذكور آل هاشم خشية على بناتهم من الانتقام والتنكيل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتبين في علاقة الأبوة والبنوة في كلا الطبقتين أن الآباء فيهما حرصوا على توجيه أولادهم وتعليمهم بالاعتماد على مجموعة من الوصايا التي تنفعهم في مجالات الحياة كلها، كما تبين أن الآباء فيهما قد عبّروا عن حزنهم العميق عند وفاة أحد أبنائهم ورثوهم شعراً صوروا فيه هذا الحزن.

وظهر أن علاقة الآباء بالبنات في كلا الطبقتين انبنت على العطف، والمحبة، والمتابعة لهن في حياتهن الزوجية، والخوف على أعراضهن من المس.

وتبدَّى بعض التمييز في علاقة الآباء بالأبناء في الأسرة الأموية انسجاماً مع خصوصية الأسرة الحاكمة، منها أنهم كانوا يسمون أبناءهم بأسماء آبائهم وأجدادهم الذين كان لهم مجدٌ وفضل في الأسرة حتى لا تندثر تلك الأسماء بموت أصحابها، وأنهم أطلقوا على بعض أبنائهم أسماء آباء زوجاتهم استرضاءً لهن، وأنهم سمّوا بعض أولادهم بأسماء الأنبياء والخلفاء الراشدين تيمناً بهذه الأسماء، وأنهم سمّوا أولادهم بأسماء أشقائهم تودداً لهم، وأنهم أطلقوا على بناتهم بعض الكنى المحببة.

وتبين أن خلفاء بني أمية وأمراءهم قد حرصوا على كثرة الإنجاب لزيادة عدد أفراد الأسرة لكي تقوى على مواجهة منافسيها معتمدين في ذلك على ما شاع في العصر الأموي من التسري وتعدد الزوجات، وأنهم كانوا يتباهون بأولادهم من الذكور بإظهار ما فيهم من الصفات الحميدة، وأنهم كانوا يحرصون على إسناد ولاية العهد لأبنائهم مقدمين كل ما يمكن لإبعاد منافسيهم عليها؛ ومستخدمين جميع الوسائل المتاحة من القيام بمحاولات مستمرة لإقناع الرعية، أو إغرائها بالمال، أوقتل المنافسين لهم حين لم يكن من ذلك مناص، وأنهم حرصوا على مشاركة أبنائهم في الجهاد والغزو مساواة لهم مع الرعية، أداءً لواجب الجهاد والقتال في سبيل الله، ورغبة في إكسابهم الخبرة التي تشد من عزيمتهم، وتقوي شوكتهم، وتجعلهم أقدر على مواجهة أعباء الحياة، وأنهم حرصوا كذلك على توليتهم موسم الحج لإثبات الزعامة الدينية إلى جانب الزعامة السياسية.

وعني خلفاء بني أمية بتربية أولادهم وتنشئتهم تنشئة صحيحة عقلياً وجسمياً باختيار المعلمين المشهورين لهم، ومتابعتهم أثناء التعلم بزيارتهم، وتوجيه معلميهم إلى الغاية المنشودة من تعليمهم، والأهداف التي يطمحون إلى تحقيقها من هذا التعليم، وأنهم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانوا يتشددون على أولادهم، ويغلظون لهم في القول أحياناً حرصاً على استقامتهم وصلاحهم.

ولم تورد المصادر المتاحة شيئاً ذا بال عن علاقة أمهات أمراء بني أمية بهم، وأن ما رشح من هذه الأخبار لا يعد كافياً لإعطاء صورة وافية عن طبيعة هذه العلاقة، ولكنها تكشف عن العاطفة الفطرية للأمهات تجاه أبنائهن والمتمثلة في العطف عليهم، والعناية بهم، والغضب من أجلهم.

وتبين من علاقة الأبناء بالآباء أن لهذه العلاقة في المجتمع الأموي جوانب ايجابية تمثلت في بر الوالدين، والفخر بهم، ورثائهم شعراً صوروا فيه حزنهم العميق على موت أحد الوالدين.

وظهر أن بعض أبناء الخلفاء والأمراء الأمويين كانوا يتصرفون مع آبائهم بإيجابية، فشحذوا هممهم، ودعوهم إلى الحزم في إمضاء الأمور، وحزنوا لوفاتهم فرثوهم شعراً.

واتضح أن بعض الأبناء في المجتمع الأموي قد تصرفوا مع آبائهم بسلبية تتضح في عقوقهم، وسوء الأدب معهم، وضربهم، واغضابهم استرضاءً لزوجاتهم، ولكن سلبية بعض أمراء بني أمية مع آبائهم لم تصل إلى المستوى الذي وصلت إليه عند الرعية خوفاً من البطش بهم، وأن هذه السلبية لم تتعدَ تدخل بعضهم في خصوصيات آبائهم، ودخولهم عليهم دون استئذان، ومحاولة الاعتداء على جواريهم بالضرب.

وبدا أن المصادر الميسرة لم تورد من أخبار علاقة أبناء الخلفاء والأمراء الأمويين بآبائهم ما يكفي لتكوين صورة كاملة عنها؛ إذ ظهر أن معظم هذه الأخبار قد دارت على العلاقة بين يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ووالده لما لهذه العلاقة من أهمية خاصة عند القدماء، ويغلب على الظن أنهم اهتموا بها اهتماماً كبيراً لما نتج عنها من تغيير في مفهوم الخلافة.

وتبين في معرض الحديث عن علاقة الأخوة عند الأسرة الأموية وعند الرعية أن فيها بعض الجوانب المشتركة، من مثل حب بعض الأشقاء لبعضهم، والحزن الشديد لموت الشقيق، والتعبير عن ذلك شعراً .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظهر أن بعض الأشقاء في المجتمع الأموي قد تعاملوا مع أشقائهم بسلبية تمثلت في التباغض والتحاسد المرتبط بالمال وتوفره عند الشقيق دون شقيقه. في حين اتضح أن علاقة الأخوة في الأسرة الأموية تأثرت سلباً بالعامل السياسي المتمثل في التنافس على الخلافة.

وأما علاقة العمومة في المجتمع الأموي فقد اتضح أن فيها بعض الجوانب الإيجابية المشتركة منها الفخر بأبناء العمومة، ورثاؤهم بعد موتهم شعراً، وأن فيها بعض الجوانب السلبية تمثلت عند الرعية في التباغض والتحاسد؛ وعند بني أمية في العداوة الناتجة عن التنافس على الخلافة.

وتبين من علاقة الخؤولة عند الطبقتين أن فيها جانباً إيجابياً مشتركاً تمثل في الفخر بالأخوال والاعتداد بنسب الأم مما جعلهم يحرصون على الزواج من العربيات العريقات النسب.

وتكشّف أن بعض خلفاء بني أمية قد أسندوا لأخوالهم بعض الوظائف الهامة في الدولة حبّاً فيهم واسترضاءً لهم.

وتبين أن بعض الأفراد من كلا الطبقتين قد تعامل مع أخواله بسلبية اتضحت في هجائهم هجاءً مقذعاً لأسباب منها خذلانهم له عند حاجته إليهم.

وظهر أن حالات الخلاف مع الأخوال عند الرعية قد انتهت بقتل بعض الأفراد لخاله. في حين رفض بعض الخلفاء الأمويين تزويج بناتهم لأبناء شقيقاتهم لأنهم لا يكافئوهن في النسب.

وتمخضت مناقشة العوامل المؤثرة في الأسرة الأموية عن نتائج عدة منها أن هذه العوامل تنقسم إلى ثلاثة أنواع : سياسي، تمثل في التنافس على الخلافة، وأدى إلى تردي العلاقات الأسرية عند بني أمية، وإلى انهيار حكمهم بتأثير مباشر منه بعد تآمر بعضهم مع الرعية على بعض، وما نجم عن هذا التآمر من حقد وانتقام وإزهاق لأرواح بعض أمراء هذه الأسرة . واجتماعي: تمثل بتباغض أبناء الأسرة الأموية، وتشاحنهم، وتفاخر بعضهم على بعض بسبب نسب الفرد من جهة أمه إذا كانت الأم غير عربية؛ أو عربية لا تنتمي لقبيلة لها مكانة رفيعة في المجتمع، وتبين في هذا الصدد أن خلفاء بني أمية قد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسهموا في تباغض أولادهم بسبب تحيزهم لأبناء الحرائر منهم على حساب أولاد أمهات الأولاد. واقتصادي: تمثل في الأثر السلبي للمال في العلاقات بين أمراء الأسرة الأموية بسبب التمييز بين الأولاد في العطاء، أو غضب بعض الخلفاء من إسراف أشقائه في إنفاق المال، أو تهديد بعض الخلفاء لبعض أمراء الأسرة بقطع العطاء عنه وما نجم عن هذا التهديد من ضغائن وأحقاد، أو التحاسد بينهم على أنصبتهم من الخراج ونشوب العداوة بينهم بسبب ذلك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصـــــــادر الأدبية والتاريخية

- القرآن الكريم.
- إبراهيم بن هَرمة القرشي، ت(١٧٦هـ) الشعر، تحقيق محمد نفّاع، حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق.
- الإبشيهي، شهاب الدين بن محمد، ت(٨٥٠هـ)، المُستطرَف في كل فن مُستظرَف، تحقيق د. عبد الله أنيس الطباع، ٢ج في ١م، دار القلم، بيروت.
- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، ت(٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ١٠م، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- الأحوص بن محمد الأنصاري، ت(١٠٥هـ)، حياته وشعره، تحقيق محمد علي سعد ، ط١، دار الآفاق الأبجدية، بيروت، ١٩٨٢م.
- أبو الأسود الدؤلي، ت(٦٠هـ)، الديوان، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين،ط٢ منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت،١٩٨٨.
- الأصفهاني، علي بن الحسين، ت(٣٥٦ هـ) ، الأغاني، ط١ ، ٢٤ ج في ١٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤م.
- الأقيشر الأسدي ، المغيرة بن عبد الله، ت(٨٠هـ) ، صنعة د. محمد علي دقة ، ط١، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٧م.
- البحتري، الوليد بن عبيد ، ت(٢٨٥هـ) ، الحماسة، تحقيق لويس شيخو، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، ت(١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، ٨م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.
- البكري، عبد الله بن عبد العزيز، ت(٤٨٧هـ) ، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق عبد العزيز الميمني، ٢ م + ذيل ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦م.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، ت(٢٧٩هـ) ، جُمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكّار ، رياض زركلي، ط١، ١٣ ج، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦م.
- التبريزي، يحيى بن علي ، ت (٥٠٢هـ)، شرح ديوان الحماسة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ٤م، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ت(٢٣٢هـ) ، كتاب الوحشيات (الحماسة الصغرى) ، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت(٤٢٩هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٨٥م.
- نفسه ، لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الإبياري، حسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، ١٩٦٠م.
- نفسه ، المنتخب في محاسن أشعار العرب، تحقيق د. عادل سليمان جمال ، ط١، ٢م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م.
- الجاحظ ، عمر بن بحر، ت(٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ٤م، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.
- نفسه، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، ط١، المطبعة الأميرية، القاهرة ، ١٩١٤م.
- جرير بن عطية الخطفي، ت (١١٤هـ)، الديوان شرحه وقدّم له مهدي محمد ناصر الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٦م.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، ت(٥٩٧هـ) ، سيرة عمر بن عبد العزيز، مطبعة الإمام ، مصر.
- الحارث بن خالد المخزومي، ت(٨٥ هـ) الديوان، تحقيق د. يحيى الجبوري، ط١ ، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧٢م.
- ابن حبيب، محمد بن حبيب، ت(٢٤٥ هـ)، المُحبَّر برواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق إيلزة ليختن شيتر،١م، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية،حيدرآباد، ١٩٤٢م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت(٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م.
- ابن الحكم، عبد الله بن الحكم، ت(٢١٤هـ) ، سيرة عمر بن عبد العزيز، على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق أحمد عبيد، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٥٤م.
- أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود، ت(٢٨٢هـ) ، الأخبار الطّوال ، تحقيق د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم ، بيروت، ١٩٩٥م.
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، ت(٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٧م.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت(٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- خليفة بن خياط، ت(٢٤٠هـ) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، ط٢، دار القلم ، دمشق، ١٩٧٧م.
- أبو دهبل الجمحي، وهب بن زمعة، ت(٦٣هـ) ، الديوان برواية أبي عمرو الشيباني، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، ط١، مطبعة النجف الأشرف، ١٩٧٢م.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ت(٧٤٨هـ) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير ووفيات الأعلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري،ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٩٩١م.
- ذو الرمة، غيلان بن عقبة، ت (١٧٧هـ)، الديوان، شرحه وضبطه د. عمر فاروق الطبّاع، ط١، مكتبة الأرقم ، بيروت، ١٩٩٨م.
- الراعي النميري، عبيد بن حصين ، ت (٩٠هـ) ، الديوان، شرح د. واضح الصَّمد، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥م.
- الزبيري، المصعب بن عبد الله ، ت(٢٣٦هـ) . نسب قريش ، نشر ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ١٩٥٣م.
- السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد، ت(٢٥٠هـ) ، المعمّرون والوصايا، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١م.
- سراقة بن مرداس البارقي، ت(٧٩هـ)، الديوان، تحقيق حسين نصّار، ط١،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت(٩١١ هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٢م.
- ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة، ت(٥٤٢هـ)، الحماسة الشجرية، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م.
- الطبري، محمد بن جرير، ت(٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك،١٣ج في ٦م، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩.
- الطرماح بن حكيم الخارجي، ت(١٢٥ هـ)، تحقيق د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم. دمشق. ١٩٦٨م.
- ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، ت(٢٨٠هـ)، بلاغات النساء وطرائف كلامهن ومُلح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية والإسلام، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الفضيلة، القاهرة.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، ت(٣٢٨هـ)، طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وغرائب واسرار، تحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان،ط١ ٨م، دارالفكر، القاهرة، ١٩٤٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عبد الله بن الزبير الأسدي ، ت(٧٥هـ) ، الشعر، جمعة وحققه د. يحيى الجبوري، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٤م.
- عبد الملك بن حبيب، ت(٢٣٨هـ)، كتاب أدب النساء الموسوم بكتاب الغاية والنهاية، تحقيق عبد المجيد تركي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ١٩٩٢م.
- ابن العبري، غريغوريس أبو الفرج بن أهرون، ت(٦٨٥هـ)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م.
- أبو عبيدة ، مَعْمر بن المثنى، ت(٢١٠هـ)، كتاب العققة والبررة ، نوادر المخطوطات، تحقيق عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.
- عبيد الله بن قيس الرقيات، ت(٧٥هـ)، الديوان ، دار صادر، بيروت .
- عدي بن الرقاع العاملي، ت (١٠١هـ)، الديوان، تحقيق د. نوري حمودي القيسي، ود. حاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م.
- العرجي ، عبد الله بن عمر، ت(١٢٠هـ)، جمع وتحقيق د. سجيع جميل الجبيلي، دار صادر ، بيروت.
- عروة بن أذينة، ت(١٣٠هـ)، الشعر تحقيق د. يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد.
- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، ت(٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمر العمروي، ٨٠م، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- نفسه ، تهذيب تاريخ مدينة دمشق، هذّبة ورتّبة الشيخ عبد القادر بدران، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٩٨٧م.
- عمر بن أبي ربيعة المخزومي، ت(٩٣هـ) ، الديوان ، شرحه محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٢ ، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٠م.
- أبو الفدا، عماد الدين اسماعيل بن علي، ت (٧٣٢هـ) ، المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، ويحيى سيد حسين، ومحمد فخري الوصيف، ط١، دار المعارف، القاهرة،١٩٩٨م.
- البصري، علي بن أبي الفرج البصري، ت(٦٥٦هـ)، الحماسة البصرية، تحقيق مختار الدين أحمد، ط٣، ٢ج، عالم الكتب ، بيروت، ١٩٨٣م.
- الفرزدق همام بن غالب، ت(١١٠هـ)، الديوان، شرحه وضبطه علي فاعور، ط١، دارالكتب العلمية،بيروت، ١٩٨٧م.
- القالي، إسماعيل بن القاسم، ت(٣٥٦هـ)، كتاب الأمالي، ط٢، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ودار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- نفسه، كتاب ذيل الأمالي والنوادر، ط٢، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ودار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م.
- القتّال الكلابي، عبد الله بن مجيب، ت(٧٢هـ) ، الديوان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٨٩م.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، ت(٢٧٦ هـ)، الإمامة والسياسة، مكتبة مصطفى الباب الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٦٩م.
- نفسه، عيون الأخبار، ٢م، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية لسنة ١٩٢٥م.
- القطامي، عمير بن شييم، ت(١٣٠هـ)، الديوان، تحقيق د. ابراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م.
- قيس بن ذريح، ت(٦٨هـ)، الديوان، جمع وتحقيق وشرح د. عفيف نايف حاطوم، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن بكر الزرعي، ت(٧٥١هـ)، كتاب أخبار النساء، ط١، مطبعة التقدم العلمي، القاهرة، ١٣١٩هـ.
- الكتبي، محمد بن شاكر، ت (٧٦٤ هـ) ، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ١٩٧٤م.
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، ت(٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الرحمن اللادقي، ومحمد غازي بيضون، ط٢، ١٠ م، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.
- ابن الكلبي، أبو هشام بن محمد بن السائب، ت(٢٠٤هـ)، جمهرة النسب برواية السكري عن أبي حبيب، تحقيق د. ناجي حسن، ط١، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م.
- المبرِّد، محمد بن يزيد، ت(٢٨٥هـ)، التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، تحقيق إبراهيم محمد حسن الجمل، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣م.
- نفسه ، الكامل في اللغة والأدب، ٢ج في ١م، مؤسسة المعارف، بيروت.
- المتوكل بن عبد الله بن نهشل الليثي، ت(٨٥هـ)، الشعر، تحقيق د. يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد.
- أبو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد، ت(١٥٧هـ)، نصوص من تاريخ أبي مخنف، استخراج وتنسيق وتحقيق كامل سليمان الجبوري، ط١، ٢ج،دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٩٩٩م.
- المرزباني، محمد بن عمران، ت(٣٨٤هـ)، أشعار النساء، تحقيق د. سامي مكي العاني، وهلال ناجي، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المسعودي ، علي بن الحسين بن علي، ت(٣٤٦ هـ) التنبيه والإشراف، تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوي، المكتبة التاريخية، ١٩٣٨.
- نفسه، ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٣، مؤسسة السعادة، مصر ، ١٩٥٨م.
- مسكين الدرامي، ت(٨٩هـ)، الديوان، جمعه وحققه عبد الله الجبوري وخليل ابراهيم العطية، ط١، دار البصري، بغداد، ١٩٧٠م.
- ابن منظور ، محمد بن مكرم ، ت(٩١١هـ)، لسان العرب، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، إعداد يوسف خياط ١٥م ، دار الجيل ، ودار لسان العرب، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن ميادة، الرماح بن أبرد، ت(١٤٩هـ)، الشعر، جمعة وحققه د. حنا جميل حداد، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٢م.
- نابغة بني شيبان، عبد الله بن مخارق، ت(١٢٥هـ)، الديوان، شرح وتقديم قدري مايو، ط١، دار الكتاب العربي، ١٩٩٥م.
- أبو النجم العجلي، ت (١٢٤ هـ) ، الديوان ، جمعه وحققه وشرحه، د. سجيع الجبيلي، ط١، دار صادر ، بيروت، ١٩٩٨م.
- نصيب بن رباح، ت(١٠٨هـ)، الديوان، جمع وتقديم، د. داود سلوم، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧م.
- هدبة بن الخشرم العذري، ت(٥٠هـ)، الشعر، جمعه وحققه د. يحيى الجبوري ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، بغداد، ١٩٧٦م.
- الوليد بن يزيد ، ت (١٢٦هـ) ، الديوان، تحقيق د. حسين عطوان، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨م.
- اليافعي، عبد الله بن أسعد، ت (٧٦٨ هـ) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، تحقيق عبد الله الجبوري، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٨٤م.
- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله ، ت (٦٢٦ هـ) ، معجم البلدان ، ٥م ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- يزيد بن معاوية، ت (٦٤هـ) ، الديوان، جمعة وحققه ، د. واضح الصمد، ط٢ ، دار صادر ، بيروت، ١٩٩٨م.
- اليزيدي ، محمد بن العباس ، ت (٣١٠ هـ) ، المراثي، (مراثٍ وأشعار في غير ذلك، وأخبار ولغة)، تحقيق محمد نبيل الطريفي، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، ١٩٩١م.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، ت (٢٩٢ هـ) ، تاريخ اليعقوبي، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجـــــع

- إحسان عباس ، شعر الخوارج، ط ٤ ، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٨١م.
- إحسان النص، الخطابة العربية في عصرها الـــذهبي ، ط٢ ، دار المعـــارف، مصـــر، ١٩٦٩م.
- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصـــور العـــرب الزاهـــرة (العصـــر الأموي)، ط٣ ، ٣ج ، مكتبة ومطبعة مصطفى الباب الحلبي وأولاده ، مصر ،١٩٦٢م.
- أسيمة العظم، المجتمع في العصر الأموي، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٩٦م.
- حسين عطوان، الرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأمـــوي، ط١، دار الجيـــل ، بيروت، ١٩٨٨م.
- نفسه، نظام ولاية العهد ووراثة الخلافة فـــي العصـــر الأمـــوي ، ط١ ، دار الجيـــل ، بيروت، ١٩٩١م.
- نفسه، الوليد بن يزيد (عرض ونقد) ، مكتبة المحتسب ، عمان ، ١٩٨١م.
- علي حسني الخربوطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٥٩م.
- نبيه عاقل، خلافة بني أمية،دار الفكر، بيروت. دمشق ، ١٩٧٢م.
- نوري حمودي القيسي، شعراء أمويون، ق٣، مطبعة المجمع العلمي العراقي،١٩٨٢م.
- يوليوس فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة ، لجنـــة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٨م.
- نفسه، الدولة العربية وسقوطها، ترجمة د. يوسف العش، مطبعـــة الجامعـــة الســـورية، دمشق ، ١٩٥٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

The thesis Title : the Amawian Family in the Amawian Literature Prepared by : Ahmed Ibraheem Salim Al-Adwa'an Supervised by :Dr. Hussein Ahmed Attwan.

The present study dealt with the subject of the Amawian Family in the Amawian literature through discussing the familial relationships existent among the descendants of this family.

The importance/significance of this thesis lies in its attempt to discuss the familial relationships among the descendants of the ruling family in the Amawian era so as to realize the role of these relationships in causing the collapse of its reign on the one hand, and to compare these relationships between the ruling class and the nationals on the other hand this comparison aims at identifying the agreements and disagreements in the existing relationship between the two classes .

Due to the historical character that characterized the news related to the familial relationships existent between the two classes in the historical and literary sources dated to the Amawian era, this thesis followed the descriptive analytical methodology of research in investing this news in such away that served /helped in achieving the objectives of this thesis.

It consisted of an introduction, four chapters, and a conclusion.

In the introduction, the traditions of marriage in the Amawian society was discussed, because marriage was the base from which the family relationships, with all its forms, arise emerge. Among these traditions the following : the role of intermediary (the role of a person who act as a mean of communication between to or more others), sending the agents to the wife's parents, setting special attributes for the wife, adhering to equivalence of ancestry, preventing marriage with the patrons, preventing the marriage of the man from the woman who has been flirted /courted by him, engagement for the sake of wedlock, preparation of the bride's furniture, the dowry, the bride's ornamentation, the singing, the wedding ceremony, and the banquets.

In the first chapter, the thesis discussed the negative and the positive aspects in the marital life of the patrons. It also cross-examined these aspects in the relationship existent between the fathers and the sons, the sons and the fathers, the brothers, as well as these in the relationship among the uncle ship members, and the maternal unclehood members.

In the second chapter, the thesis touched on the factors affecting the familial relationships among the Amawian descendants / nationals.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

These factors are : the political factor represented by the competition for succession and its effect, the social factor related to the effect of the mothers ancestry on the familial relationship among the princes of the Amawian nationals, and the economic factor related to the effect of money on the familial relationships existent among the members of the Amawian family.

The third chapter dealt with the negative and positive aspects of marital life in the Amawian family.

The fourth chapter concerned with the study with the study of the negative and positive aspects in the relationship existent between the fathers and the sons (and vice versa), among the brothers, within the members of uncle ship and maternal unclehood in the Amawian family.

Finally, the thesis presented a conclusion which summarized the most important results that it reached through the comparison it held between the familial relationships of the Amawian family's members and the same relationships of the patrons, reaching to the aspects of agreements and disagreements in these relationships existing between the two classes.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit